

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس -

كلية الآداب واللغات والفنون

- قسم اللغة والأدب العربي -

جمالية الأجناس الأدبية لدى البشير الإبراهيمي

جمالية الأجناس الأدبية لدى البشير الإبراهيمي

-مقاربة أسلوبية-

بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي

إشراف الدكتور:

محمد فتحي

إعداد الطالب:

معمر حاكمي

أعضاء اللجنة المناقشة

أ.د. عباس محمد	رئيسا	جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
أ.د. فتحي محمد	مشرفا ومقررا	جامعة سيدي بلعباس
أ.د. دكّار أحمد	مناقشا	جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
أ.د. بن عزّة عبد القادر	مناقشا	جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
أ.د. باقي محمد	مناقشا	جامعة سيدي بلعباس
د. قندسي عبد القادر	مناقشا	جامعة سيدي بلعباس

السنة الجامعية: 2018/2019



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ

بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ

وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ النحل: الآية: 103.

قال حاجي خليفة:

إنّ التّأليف على سبعة أقسام لا يؤلّف عالم عاقل  
إلاّ فيها، وهي إمّا شيء لم يسبق إليه فيخترعه أو  
شيء ناقص يتمّمه، أو شيء مغلق يشرحه، أو شيء  
طويل يختصره، دون أن يخلّ بشيء من معانية، أو  
شيء متفرّق يجمعه، أو شيء مختلط يرتّبّه، أو شيء  
أخطأ فيه مصنّفه فيصلحه. و ينبغي لكلّ مؤلّف  
كتاب في فنّ قد سبق إليه أن لا يخلو كتابه من خمس  
فوائد: استنباط شيء كان معضلا أو جمعه إن كان  
مفرّقا أو شرحه إن كان غامضا أو حسن نظم وتأليف  
أو إسقاط حشو و تطويل.

كشف الظنون ص: 35

## إهداء

إلى كلِّ من يحبُّني و يتمنّى لي الخير صديقا  
كان أم قريبا، وأخصّ بالذكر: جلول معرّف و  
علي سحنين ومحمد فايد ومحمد بكيري.

إلى كلِّ الذين مدّوا لي يد العون ولو بالكلمة  
الطّيبة، وكانوا بالنّسبة لي بمثابة النّاصح الأمين.  
وإلى الذين عانوا بسبب انشغالي عنهم بهذه  
الرّسالة، وصبروا على ذلك: زوجتي و أبنائي.  
إلى كلِّ هؤلاء أهدي ثمرة هذا البحث.

## شكر وتقدير

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ

وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ النمل: الآية: 19

شكراً لله عز وجل - أولاً - على أن وفقني لإتمام هذه

الرسالة، ثم أتوجه بالشكر الجزيل - ثانياً - لمن رافقني

وتعب معي طيلة سنوات هذا البحث لإنجاز هذه

الرسالة الأستاذ الفاضل: محمد فتحي الذي كان لي

ناصرًا ومُعِينًا. كما أسدي خالص شكرى وامتناني

لأعضاء لجنة المناقشة، الذين تحمّلوا عبء قراءة هذا

البحث؛ و الله أسأل أن يجازي الجميع أحسن الجزاء،

فهو وليّ ذلك والقادر عليه.

## دلالة بعض الرموز المستعملة في البحث

الرمز	الدلالة	الرقم	الرمز	الدلالة	الرقم
تَبْ	تبويب	11	دت	دون تاريخ	1
تَحْ	تحقيق	12	دط	دون طبعة	2
تَخْ	تخريج	13	مج	مجلد	3
تَرْ	ترجمة	14	شَرْ	شرح	4
تص	تصحيح	15	صَ	صفحة	5
تَقْ	تقديم	16	ضَبْ	ضبط	6
تَعْ	تعليق	17	طـ	طبعة	7
تن	تنقيح	18	ع	عدد	8
ج	جزء	19	قِرْ	قراءة	9
جَمْ	جمع	20	مطْ	مطبعة	10

مُقَدِّمَةٌ



## مقدّمة:

لا شك أنّ الخطابة و الرّسالة و المقالة و الخاطرة و الشّعْر كلّها ألوان أدبيّة، تأتي الواحدة منها نتيجة ظروف و عوامل و مقامات... و قد رأيت علما من أعلام الجزائر- و أحد مؤسّسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - و هو الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي تكتنز مؤلّفاته بالتنوّع و التعدّد، و تحتوي إضافة إلى تنوّعها جماليات أسلوبية، لا يلبث القارئ أن يقرأها و يعاود قراءتها جرّاء الأسلوب المانع، والأصوات المتجانسة و المتضامّة مع نسق الخطاب و ملابسات الحياة اليومية.

ولهذا رأينا جيلا ينفعل بانفعال الكلمات، و يستقيم باستقامة العبارات، و يتأثر باعتباطية الصّوت المنبعث من نفس صادقة دأبها التّقويم الاجتماعي، وصناعة الإنسان الجزائري. ولما كان الأسلوب الإبراهيمي ميزة تمتاز بها تعابيره في شتىّ الفنون الأدبيّة آثرت إجراء مقارنة أسلوبية لجملة التّأثيرات الأسلوبية الكائنة في الخطاب على تنوّعه و تعدّده، فلم نتعمّد قراءة كلّ شاردة و واردة في الخطاب، بل كان عملنا منحصرا في الوقوف على المظاهر الأسلوبية التي جادت بها قريحة البشير الإبراهيمي في شتىّ الفنون الأدبيّة، بغرض إبراز جمالياتها وطريقتها في المعالجة اللّغوية التي يتحوّل الخطاب فيها من سياقه الإخباري إلى وظيفته التّأثيرية الجمالية، التي قد تسلّم بأدبية النّص.

وإنّ من شأن هذه الدّراسة أن تلفت النّظر إلى معالم الأسلوب الإبراهيمي، و نسق الخطاب لديه، فالفنّ الأدبي يتبدّل و يتعدّد عنده، غير أنّ استراتيجيات الخطاب و براعة الكتابة تصير ههنا نموذجا إبراهيميا يتوق البحث ترجمته ترجمة دلالية.

ولمّا كان منظور التحليل الأسلوبي يستدعي بادئ ذي بدء الوقوف على المظاهر والتأثيرات الأسلوبية في النص الواحد، كنت حينها آخذ دور القارئ الرّاجي معرفة بواطن التعبير، فكانت قراءتي في حقيقتها قراءات وقراءات تحاول استجلاء ما غمض من التعبير، أرجأت بيان الحقيقة الدلالية حينما أخذت دور المحلّ الأسلوبي الذي يبتغي الوقوف على الدالّ و المدلول متمّما ذلك ببيان الدلالة التي هي ضرب من البنية العميقة التي يصبو البحث إلى كشفها.

اقتضت الدّراسة أن يقسّم البحث إلى مدخل وأربعة فصول مع تمهيد وخاتمة و ملحق، ورتّبت مستويات الدّراسة حسب قوّة التّأليف التي وجدتها تتّسع كثيرا في جنسي المقالة و الخطبة، و تندر في الأجناس الأخرى. وتجدر الإشارة هنا إلى أنني ذيلت هذه الرّسالة بملحق، تضمّن المتون المدروسة، فقد رأيت أنّ نماذجها قيّمة على جميع الأصعدة: الدّينية، والجمالية والأدبيّة، والوطنية، والعالمية.. و لذلك رحلت أنتقي عبر أصواته و كلماته وعباراته ( تراكيبه) الظواهر الأسلوبية المهيمنة على أغلب نصوصه، ولمّا كان الحكم على الشّيء جزءاً من تصوّره، ابتغيت حصر التأثيرات على اختلافها في فنون أدبية شتى، كي تظهر آليات الأسلوب و عوامل البناء الفكري في أدب البشير الإبراهيمي.

ففي المدخل تحدّثت عن الأسلوبية كمنهج للبحث والدّراسة، وظاهرة الأجناس الأدبية لدى البشير الإبراهيمي، حيث ركّزت على ماهية الأسلوبية واتجاهاتها ومقولاتها، ثمّ عزّجت على أبرز الآثار التي جادت بها قريحة البشير الإبراهيمي.

أما الفصل الأول فخصّصته للمستويات الأسلوبية الصوتية في فنّ المقال والخطابة و الرسالة، كون هذه الألوان الأدبية تكتنز بتلكم الظواهر التي نحسبها تأثيرات أسلوبية يتحسّسها القارئ، و يعيش لحظتها الفعلية الأديب. ولما كانت الكلمة الإبراهيمية تمفصلا دلاليا مختارا و منتقى بنوازع روحية عبر الفنون الأدبية على اختلافها، فقد آثرت التعرّيج في الفصل الثاني على المستويات الأسلوبية الصّرفية، مركزاً على تلكم التّنوعات التي طالت البنية الصّرفية، وانعكاساتها على البنية العامّة للأرجوزة الشعريّة.

ثمّ التفتّ بعد ذلك نحو أسلوبية البنية التركيبيّة، فعرّجت على تنوّعات الجملة وتلوّناتها في أوّل خطبة للإبراهيمي بعد الاستقلال، و وقفت على الأسلوب الذي تأنّقت به البنية التركيبيّة الإبراهيمية، إذ أنّه بدا ثمرة التّعبير الذي يضحى كلّ من يقرأه يعرف انزياحاته، و هو في حقيقته تشكيل حيّ للمظاهر الأسلوبية التركيبيّة، ومن هاهنا رأيت الانزياح بلونيه ظاهرة لا يكاد يستغني عنها الإبراهيمي في مختلف آثاره، وهو ما دفعني إلى جعل دراستي تهتمّ إلى حدّ بعيد بالأبعاد الدلالية للانزياح.

وحيثما ظهرت الحقول الدلالية المؤتلفة عبر تعدّد نسق الخطاب شكّل تجانسها عبر هذه الألوان الأدبية ظاهرة أسلوبية دلالية جعلتني ألتفت صوب نسجها، وأحاول تبرير مدى استعمالها في الخطاب الإبراهيمي. وأنهيته البحث بخاتمة تعدّ نتائج لهذا التّحليل الأسلوبي، و إضاءات قد يستعين بها القارئ لمؤلّفات البشير الإبراهيمي لمعرفة استراتيجيات الأسلوب لديه، لألحق الدّراسة بملحق متكوّن من شقّين: تضمّن أوّلها السيرة الحياتية للبشير الإبراهيمي، وشهادات المعاصرين له،

و تضمّن شقّه الثاني مختارات الفنون التي اتخذتها ميدانا للبحث، و التي وسعت هذه المظاهر الأسلوبية أو بعضا منها.

وبغية بلوغ الأهداف المنشودة لُذت بالمنهج الأسلوبي البنيوي الإحصائي، فاتخذته وسيلة لاستكشاف بعض آثار البشير الإبراهيمي و إبراز مظاهرها الجمالية، نظراً لقيام هذا المنهج على آلية الوصف والتحليل واستخلاص النتائج، ورجاء التعمق في دراسة الآثار الإبراهيمية المختارة وإشباعها دراسة وتحليلاً، لُذت بالعديد من كتب الأسلوبية والبلاغة والصّوتيات والدلالة والنحو والأدب، وفرضت أمّهات الكتب العربية حضورها في هذه الرسالة مثل : "الكتاب لسبويه" و"دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة و معجم التعريفات للجرجاني"، و"مفتاح العلوم للسكاكي" و"المنصف و الخصائص و اللّمع في العربية، و سرّ صناعة الإعراب لابن جنى" و"المفصل للزمخشري" و"الإيضاح والتّخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني"، ولم يغفل البحث استغلال الكتب الحديثة خاصّة كتب الأسلوبية والبلاغة مثل: "الأسلوبية والأسلوب" و"الشّروط في القرآن" و "مدخل إلى النّقد الحديث لعبد السلام المسدي" و"الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)" لأحمد الشّايب، و"البلاغة والأسلوبية" لمحمد عبد المطّلب، و "فنون بلاغية" لأحمد مطّوب، و "اللّغة العربية معناها ومبناها" و "البيان في روائع القرآن" و "مناهج البحث في اللّغة لتّمّام حسان وكتاب"البنى الأسلوبية"لحسن ناظم و كتاب "اتّجاهات البحث الأسلوبي" لشكري محمّد عيّاد، وخصائص الأسلوب في الشّوقيات لمحمّد الهادي الطّرابلسي، وغيرها.

غير أنّ المعوّقات التي اصطدم بها البحث، خاصّة في جانبه التّطبيقي هي ندرة المقاربات التي تعرضت لآثار البشير الإبراهيمي وفق المناهج النّسقية،

وخاصة المنهج الأسلوبي، خلافا للفنون الشعريّة والقصصية التي أشبعت درسا وتحليلا، ولم أجد دراسة تطبيقية ذات شأن، أستشير بها في بحثي إلا محاولات قليلة، حاولت إمطة اللثام عن هذه الآثار المنسية، مثل رسالة محمد عباس المعنونة ب: (الإبراهيمي أدبيا)، ودراسة تحليلية لخطبة إبراهيمية نشرها عبد المالك مرتاض في المجلة السعودية جذور، عنونها ب: (محمد البشير الإبراهيمي: أمير البيان، كرائم اللغة وفصاحة اللسان) ومحاولة أخرى للحبيب موني حلّ من خلالها أول خطبة جمعية بعد الاستقلال بمسجد كتشاوى؛ لذلك كان الخوض في دراسة آثار الإبراهيمي على غير المتمرسين في تصوّري-ضرب من المجازفة غير محسوبة العواقب، لكن وبالرغم من جسامة الصعوبات التي اعترضتني فقد أتممت- بحمد الله- إنجاز هذا البحث، آملاً أن أكون قد وفّقت، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي، مادام النقص سمة في النفس الإنسانية.

و أخيرا لا يسعني في مقام الذكر هذا إلا أن أتوجه بخالص شكري و تقديري للأستاذ الدكتور محمد فتحي على مرافقته لي في هذا البحث طيلة سنوات الدراسة، فله منّي أزكى التّحايا و خالص التّقدير.

# مدخل

الأسلوبية وظاهرة  
الخطاب اللغوي لدى  
البشير الإبراهيمي

مما لا شكّ فيه أنّ أيّ بحث أدبي تطبيقي لا بدّ أن تتصدّره دراسة نظرية، تتناول التعريف بالمنهج الذي اختير لهذه الدراسة وأبرز اتجاهاته وسماته، كما تتناول أيضاً الإطار النظري لموضوع الدراسة، « إذ لا يمكن للباحث أن يخوض في مجال التطبيق دونما إلمام منه بمفردات منهجه ودواعي تحضيره»<sup>1</sup> كي يقدم على موضوعه وقد تسلّح بالأدوات المنهجية التي تمكّنه من الولوج إلى أعماقه بغية الوصول إلى نتائج موضوعية، ومن هنا همس فكري إلى قلبي بأن يتناول في المدخل جانبيين أساسيين هما: - نظرة موجزة حول ماهية الأسلوبية وأبرز اتجاهاتها ومقولاتها - والإنتاج الأدبي للبشير الإبراهيمي.

### أولاً: مفهوم الأسلوبية:

أحدثت لسانيات فردينان دي سوسير <sup>2</sup> Ferdinand de Saussure في مطلع القرن العشرين ثورة منهجية في مجالات علمية عديدة، وقد تولّد عن اتّصالها بالظاهرة الأدبية مذهب جديد أطلق عليه اسم: "الأسلوبية" أو "الأسلوبيات" أو "علم الأسلوب" Stylistique. «فمنذ خمسينيات هذا القرن أصبح مصطلح الأسلوبية يطلق على منهج تحليلي للأعمال الأدبية؛ يقترح استبدال "الذاتية" و"الانطباعية" في النقد التقليدي بتحليل "موضوعي" أو "علمي" للأسلوب في النصوص الأدبية.»<sup>3</sup> والأسلوبية- بحسب عبد السلام المسدي- كلمة آتية من المصطلح الفرنسي

<sup>1</sup> فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، -دراسة في تحليل الخطاب-مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ط1، 2003، ص:140.

<sup>2</sup> لساني سويسري، (1857-1913)، درس اللسانيات العامة في جنيف سنة 1907.

<sup>3</sup> محمد عبد المنعم خفاجي، ومحمد السعدي فرهود وعبد العزيز شرف، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1992، ص:11.

Stylistique الحامل للثنائية الأصولية الآتية: الجذر أسلوب: " Style " وهو ذو مدلول إنساني، واللاحقة "ية" ذات المدلول العلماني، وبالتالي الموضوعي، لأن تفكيك الوجدتين إلى مدلوليهما يعطي عبارة علم الأسلوب Science de Style.<sup>1</sup>

ونظرا لشيوع مصطلح الأسلوبية فقد فضلت استعماله دون غيره من المصطلحات الأخرى، غير أنه وبالرغم من اختلاف الترجمة إلا أنه يمكن القول أن الأسلوبية تستهدف دراسة الأسلوب الأدبي دراسة علمية، كما تستهدف - أيضاً - تخليص النص الأدبي من الأحكام المعيارية والأحكام الذوقية بغرض علمنة الظاهرة الأدبية والنزوع بالأحكام النقدية - قدر الإمكان - عن الانطباعات غير المعللة، كما أنها تكشف عن القيم الجمالية بعد تفكيك الظواهر اللغوية والبلاغية للنص.<sup>2</sup> لذلك « تعرف الأسلوبية بدهاءة بالبحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب».<sup>3</sup>

ويعرفها شارل بالي<sup>4</sup> Charl bally : «بأنها تعنى بدراسة الجانب العاطفي والوجداني في الظاهرة اللغوية، وتقوم باستقصاء الكثافة الشعورية التي يشحن بها المتكلم خطابه في استعماله النوعي».<sup>5</sup>

<sup>1</sup> ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب: نحو بديل أسني في نقد الأدب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط 2، 1982، ص: 33، 34.

<sup>2</sup> ينظر: حمادي صمود ، المناهج اللغوية في دراسة الظاهرة الأدبية ( مقال ضمن اللسانيات واللغة العربية)، تونس، 1981، ص: 230.

نقلا عن: رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مديرية النشر، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، دط، دت، ص2.

<sup>3</sup> :M.Riffater, essais de Stylistique structurale, paris,1971,p : 12 .

نقلاً عن: عبد السلام المسدي، نفسه المرجع، ص34

<sup>4</sup> بالي لساني سويسري، وتلميذ سوسير، أرسى قواعد الأسلوبية الأولى في العصر الحديث.من مؤلفاته" مصنف الأسلوبية الفرنسية.

<sup>5</sup> -Charles Bally, traité de stylistique française, paris, 1951,p16 . انظر.

نقلا عن: رابح بوحوش، ص14.



و يستفاد من هذا أنّ الأسلوب عنده هو مجموعة من العناصر اللغوية المؤثرة عاطفياً على المتلقي، ومهمّة «الأسلوبية» دراسة وقائع التعبير في اللغة المنظّمة من ناحية محتواها العاطفي، أي التعبير عن وقائع الإحساس عبر اللغة. و فعل اللغة في الإحساس»<sup>1</sup>، والبحث عن العلاقات المتبادلة بين مختلف الدوال ومدلولاتها عبر التحليل العميق لها.

أمّا رومان جاكوبسون Roman<sup>2</sup> jakobson فقد عرّفها بالقول أنّ: «الأسلوبية بحث عما يميّز به الكلام الفنّي من بقية مستويات الخطاب أولاً؛ ومن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانياً.»<sup>3</sup> ويستنتج من هذا التعريف أنّ النصّ الذي يتمتّع بخصوصية فنيّة هو الأنسب لتطبيقات الأسلوبية، وهو ميدان حركيتها وفاعليتها. ففي نظر نور الدين السّد أنّ الأسلوبية تستهدف: «دراسة النصّ كظاهرة لغوية وكنظام إشاري يتضمّن أبعاداً دلالية، فهي لا تدرس جانباً فيه دون جانب آخر، وإنما تدرس كلّ مكونات النصّ من أصغر وحدة لغوية فيه إلى أكبر وحدة لغوية فيه، مع محاولة إدراك الأبعاد الدلالية التي تتضمنها السياقات المنزاحة عن مرجعيتها اللسانية.»<sup>4</sup> و من هنا كانت «لغة النصّ دائرة مغلقة، يبقى على الباحث الأسلوبية

<sup>1</sup> - سليمان العطار، الأسلوبية علم وتاريخ، مجلة فصول، مج:1، ع2، مناهج النقد الأدبي المعاصر، الهيئة المصرية العامة 1981، ص: 133. وللتوسيع أكثر ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص: 97-98.

<sup>2</sup> ولد جاكوبسون بموسكو سنة 1896، وهو مؤسس النادي اللساني بموسكو الذي تولّدت عنه مدرسة الشكليين الروس.

<sup>3</sup> Roman jakobson, essais de linguistique générale, ed :minuit,tome1,paris,1968,p21

نقلاً عن: عبدالسلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 37.

<sup>4</sup> - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب: دراسة في النقد العربي الحديث، (الأسلوبية والأسلوب)، ج 1، دار هومة للطباعة والنشر، (دط، دت) ص: 18.

أن يحلّها»<sup>1</sup> و ذلك بإبراز الملامح الجمالية للنسق اللغوي، والوقوف عند العناصر التي انزاحت وانحرفت عن المألوف، لأنها تضيف على النص صبغة الجمالية والوضوح.<sup>2</sup> و بهذا تتمكّن من إبراز الكثافة الشعورية التي تستهوي المتلقّي، فيقبل على العمل الإبداعي إقبال المولع بظواهره الجمالية، الرّاغب في إمتاع خاطره وإشباع نهمة المعرفي.

إنّ هذا المدلول هو الذي دفع عدنان بن ذريل إلى القول: « إنّ الأسلوبية علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب الاعتيادي، أو الأدبي خصائصه التعبيرية والشعرية، فتميّزه عن غيره وتتعدّى مهمّة تحديد الظاهرة إلى دراستها بمنهجية علمية لغوية، وتعدّ الأسلوب ظاهرة لغوية في الأساس تدرسها ضمن نصوصها».<sup>3</sup> و يمثل هذا أهمّ دعائمها؛ لانبثاقه من مقولة النّقد المعاصرة الدّاعية إلى العناية ببنية النصّ الأدبي؛ لذلك أطلق على هذا الاتجاه اتّجاه الأسلوبية البنوية.

يتجلّى ممّا سبق أنّ قيمة المنهج الأسلوبي تكمن في استكشاف العلاقات اللغوية القائمة في الأثر الأدبي، والظواهر المميّزة التي تشكّل سمات خاصّة فيه، ثمّ محاولة التعرّف على العلاقات القائمة بينها وبين شخصية الكاتب، الذي يشكّل

<sup>1</sup> - محمد الحناش ، البنية في اللسانيات، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1، 1980، ص:36-38.

<sup>2</sup> -ينظر:رينيه ويليك ،وواطسن وارين ، نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص:186.

<sup>3</sup> - عدنان بن ذريل، الأسلوبية، مجلّة الفكر العربي المعاصر، ع25، 1982، ص: 242

نقلا عن: فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النّقد العربي الحديث، ص:16.

مادته اللغوية وفق أحاسيسه ومشاعره التي تدفعه بقوة نحو أساليب معينة، فيستخدم صيغاً لغوية تشكّل في مجملها ظواهر أسلوبية لها دلالتها في النص الأدبي. وقد ارتكزت الأسلوبية باعتبارها نظرية في الأسلوب في بداية ظهورها على يد "فون دير قابلنتر" سنة 1875 على مقولة بيفون **Buffon**<sup>1</sup> الشهيرة: "الأسلوب هو الرجل"، وتتطلق من فكرة العدول عن المعيار اللغوي، موضوعها دراسة الأسلوب من خلال الانزياحات اللغوية والبلاغية في الصناعة الأدبية.<sup>2</sup> لكون تلك البدائل الاستعارية مفعمة بالدلالة والثراء اللفظي، الذي يساعد الباحث على إيصال رسالته في أحسن حلّة وبأجمل طريقة.

غير أنّ الأسلوبية حسب معظم مؤرخيها لم تتبلور بشكل أفضل، إلا على يد "شارل بالي **Charles Bally** الذي أصلها عام 1902، وأسس قواعدها الأساسية، مثلما وضع فردينان دي سوسير **Ferdinand de Saussure**<sup>3</sup> أصول اللسانيات الحديثة، فقد ابتكر الأسلوبيات التعبيرية وأسس قواعدها العلمية وأهدافها في كتابين هما: "محاولات في الأسلوبية الفرنسية" و"المجمل في الأسلوبيات"<sup>4</sup>، وتلاه ليوسبتزر **Léo spitzer**<sup>5</sup> حين شرع في التمهيد للأسلوبيات الأدبية محاولاً إبراز العلاقات الموجودة بين العناصر الأسلوبية والعالم النفسي للكاتب.

<sup>1</sup> -عالم في الطبيعيات وأديب أيضاً، عاش ما بين سنتي 1707-1788 اهتم بقيمة اللغة ومن أشهر مقالاته: "مقالات في الأسلوب"

<sup>2</sup> -ينظر: جورج مونان، مفاتيح الأسنية، تر: الطيب البكوش، منشورات الجديد، تونس، ط1، 1981، ص: 131-144.

<sup>3</sup> لساني سويسري، (1857-1913)، درّس اللسانيات العامّة في جنيف سنة 1907.

<sup>4</sup> - رايح بوجوش، المرجع السابق، ص: 13.

<sup>5</sup> - لساني وناقد، نمساوي النشأة، ألماني التكوين، فرنسي الاختصاص، عاش ما بين (1887-1960) من مؤلفاته: الأسلوبية والنقد الأدبي.

وحاول جول ماروزو Gules marouzeau توجيه الدراسات الأسلوبية إلى الاهتمام بالصناعة الأدبية والحدث الجمالي، حين قرّر أنّ الأسلوبيات يجب أن تدرس المظهر والجودة الناتجين عن الاختيار بين الوسائل التي توفرها اللغة للمتكلّمين،<sup>1</sup> و نادى بشرعية الأسلوبية وعدّها علماً له مقوماته، وأدواته الإجرائية وموضوعه، ودعم هذا الرأي كثير من اللغويين مثل: جاكسون وميشال ريفاتير وستيفن أولمان وسواهم من الباحثين.<sup>2</sup>

كما حاول بيار جيرو<sup>3</sup> Pierre Guirau تأكيد علاقة الأسلوبية بالبعد اللساني لظاهرة الأسلوب، طالما أنّ جوهر الأثر الأدبي لا يمكن التّفاد إليه إلاّ عبر صياغاته الإبلاغية،<sup>4</sup> وامتدّ تنامي الأسلوبية بعدها ليسفر عن بروز عدّة اتّجاهات فيها، عملت على تحديد أبرز مقولاتها وإجراءاتها، وتتمثّل هذه الاتّجاهات فيما يلي:  
أ-الاتجاه الجماعي الوصفي:

### 1- الأسلوبية التعبيرية: (stylistique de l'expression):

يرتبط مصطلح الأسلوبية التعبيرية بعالم اللغة السويسري شارل بالي ، الذي أقام نظريته على دراسة ما أسماه المحتوى العاطفي للغة، وذلك بدراسة القيم التعبيرية الكامنة في الكلام؛ لأنّ اللغة في نظره - سواء نظرنا إليها من جهة المتكلّم، أو من زاوية المخاطب- لا تعبّر عن الفكرة إلاّ من خلال موقف وجداني، أي أنّ الفكرة

<sup>1</sup> سليمان العطار، نفس المرجع، ص: 135.

<sup>2</sup> ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب ، ص: 22-26.

<sup>3</sup> جيرو: لساني فرنسي ودكتور في الآداب، وأستاذ اللسانيات بجامعة نيس وجامعة فانكوفار، من مؤلفاته: سلسلة ماذا أعرف؟

<sup>4</sup> ينظر: نور الدين السد ، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث، ج1، دار هومة للطباعة والنشر، بوزريعة، الجزائر، د ط ، د ت ، ص: 15.

عندما تستحيل بالوسائل اللغوية كلاماً، تمرّ -لا محالة- بموقف وجداني على شاكلة: التّرجي، الأمل، الأمر... وغيرها<sup>1</sup>. وأوضح شارل بالي هذا الأمر بقوله: «إنّ علم الأسلوب لا يدرس قسماً من اللّغة، بل اللّغة بأكملها منظوراً إليها من زاوية خاصّة»<sup>2</sup>، فالمضمون الوجداني للغة، هو الذي يؤلّف موضوع الأسلوبية وهو الجدير بالدراسة، عبر مفردات اللّغة وتراكيبها<sup>3</sup>.

وهناك نوعان من الآثار يكشفان عن الأساس الوجداني لأسلوب المتكلم، هما: الآثار الطبيعيّة والآثار المبتعثة.

أ- الآثار الطبيعيّة: مثل مسألة العلاقة الطبيعيّة بين الأصوات ودلالاتها، أو الصّور الفنيّة ومعانيها، أو بعض الصّور البلاغية كالتّعجب والاستفهام والنّداء والأمر وغيرها.

ب- الآثار المبتعثة ( الاجتماعيّة): هي نتيجة للمواقف الحيّاتية؛ أي لها ارتباط بالواقع الاجتماعي كمفهوم "الابتذال" الذي هو تعبير مرتبط بأناس مبتذلين، فكلمة وكلّ تركيب لغوي ينمّ عن حالة لغويّة واجتماعية معيّنة، وهذا يعني أنّ لكلّ فئة لغويّة مشاعر ومواقف ذهنية واجتماعية خاصّة.

- إنّ وسائل التّعبير متاحة للجميع، وهي تؤلّف (أسلوبية جماعية) لهم، وقد درسها بالي عن طريق تتبّع بصمات (الشّحن) في الخطاب، أي وجدانيته، ولذلك قسمّ الواقع اللّغوي إلى قسمين:

<sup>1</sup> ينظر: عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، د ط ، 1980، ص: 135.

<sup>2</sup> شكري محمد عياد، اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، ط1 ، د ت ، ص: 31.

<sup>3</sup> بيبير جيرو، الأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط2، 1994، ص54.

1- منه ما هو حامل لذاته، وغير مشحون بشيء.

2- ومنه ما هو حامل للعواطف والانفعالات، وهذا الأخير هو موضوع الأسلوبية في نظره، أي الكثافة الوجدانية والعاطفية التي يشحن بها المتكلم خطابه في شتى الاستعمالات.<sup>1</sup>

غير أنّ اهتمامه بالي بالمحتوى الوجداني، وتركيزه على اللغة المنطوقة الشائعة في المجتمع صرفه عن الاهتمام باللغة الأدبية والجوانب الجمالية لهذا كانت دراسة الأسلوب دراسة لغوية لا دراسة أدبية.<sup>2</sup>

## 2- الأسلوبية الإحصائية:

تتطلب من فرضية إمكانية رصد الملامح الأسلوبية عن طريق الكمّ، وتقترح إبعاد الحدس لصالح القيم العددية، التي تحقّقها بتعداد العناصر المعجمية في النصّ، أو بالنظر إلى متوسط طول الكلمات والجمل أو العلاقات بينها، كالعلاقات بين النعوت والأسماء والأفعال، ثمّ مقارنة هذه الكميّة مع مثيلتها في نصوص أخرى، وكلّما كانت المقاييس المعتمدة متنوّعة كلّما كانت الإجراءات الإحصائية دقيقة، وكلّما كان المتنّ المحلّل واسعاً كلّما كانت نتائج الإحصاء أكيدة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر: عدنان بن ذريل ، اللغة والأسلوب، ص:135، 136، 137. وللتوسع أكثر ينظر: رابح بوحوش، الأسلوبيات و تحليل الخطاب، ص: 33.

<sup>2</sup> نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص:61. وللمزيد أكثر ينظر : حمّادي صمود ، الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة، الدار التونسية للنشر، ط1، 1988، ص: 89-102.

<sup>3</sup> هنريش بليث ، البلاغة والأسلوبية، تر/ و تق: محمد العمري، ص:37.

ومن أهمّ مزايا الأسلوبية الإحصائية أنّها توكل أمر تحديد الظاهرة إلى منهج موجّه، محاولة بذلك التّحلي بالموضوعية قدر الإمكان والابتعاد عن الذاتية والانطباعية. وتفترض دراسة الأسلوب من النّاحية الإحصائية طريقتين: إحداهما تشخيص الواقعة والأخرى قيّاسها،<sup>1</sup> وترجع أهمية الإحصاء أساساً في « قدرته على التّمييز بين السّمات أو الخصائص اللّغوية التي يمكن اعتبارها خواص أسلوبية، وبين السّمات التي ترد في النّصّ وروداً عشوائياً»<sup>2</sup>

فبالأسلوب كما قال بيير جيرو: «انزياح يعرف كمياً بالقياس إلى معيار»<sup>3</sup> والأسلوبية كما يراها ميدان انتقائي للتّحليل الأسلوبي، وذلك لأنّ اللّغة هوية إحصائية أو مجموعة من البصمات، والاستعمال هو تعميم لفئة معيّنة منها، وكلّ تغيير في تواتر الاستعمال يؤدّي إلى تغيير في القيم الأسلوبية، فالأسلوب انزياح بالنّسبة إلى القواعد كما يقول فاليري<sup>4</sup>، والإحصاء هو العلم الذي يدرس الانزياحات، وهو المنهج الذي يسمح بملاحظتها وقياسها (تأويلها) فهو أداة فعّالة في الدّرس الأسلوبي.<sup>5</sup>

غير أنّ أولمان<sup>6</sup> Stephen ullmann سجّل مأخذ وتحفّظات للإحصاء تحدّد من فائدته في استكشاف البنيات الأسلوبية منها:

<sup>1</sup> جون كوهن ، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي، و محمد العمري ، دار تويقال للنشر، الدّار البيضاء، ط1، 1986، المغرب، ص:17.

<sup>2</sup> سعد مصلوح، الأسلوب- دراسة لغوية إحصائية- عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1992، ص:51.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ص: 16.

<sup>4</sup> بول فاليري: أديب فرنسي، (1871 - 1946 )، وأحد أعلام فلسفة اللغة والأدب.

<sup>5</sup> فرحان بدري الحربي، المرجع السابق، ص: 20.

<sup>6</sup> أولمان: لساني إنجليزي ، ولد سنة 1914، من مؤلفاته: مبادئ علم الدلالات.

-إن الطريقة الإحصائية تعوزها الحساسية الكافية لالتقاط بعض الملاحظات الدقيقة في الأسلوب مثل الظلال الوجدانية و الأصداء الموحية..

-البيانات العددية يمكن أن تضيي دقة زائفة على معطيات أشد تعقيدا أو أصعب ضبطا ..

-ومن أكبر المآخذ في طريقة الإحصاء الأسلوبي ، أنها لا تراعي تأثير السياق مع عظيم خطره في التحليل الأسلوبي.

-تقدّم هذه الطريقة الكمّ على الكيف، وتحشد عناصر شديدة التباين على صعيد واحد بناء على متشابه سطحي بينها.

-ربّما أضفت قائمة هائلة من الأرقام إلى نتيجة لم تكن في حاجة إلى إثبات لشدة وضوحها<sup>1</sup> .

### 3-الأسلوبية البنيوية (الوظيفية):

الأسلوبية البنيوية هي امتداد لتعبيرية بالي وتطور لآراء سوسير الشهيرة القائمة على الفصل بين اللغة Langue والكلام Parole، وتكمن أهمية هذا الفصل في التنبه إلى وجود فرق في دراسة الأسلوب بوصفه طاقة كامنة في اللغة بالقوة، ودراسة الأسلوب الفعلي في ذاته، أي أنّ هناك فرقا بين مستوى اللغة ومستوى النص، غير أنّ هذا التفرّق اتخذ أسماء أخرى عند البنائيين، ف:جاكبسون يدعو إلى التمييز بين الثنائية (رمز/رسالة) Code/ Message، ويلميسليف<sup>2</sup> ينعته بالتقابل بين(نظام /

<sup>1</sup> ينظر: حسن ناظم،البنى الأسلوبية ، دراسة في أنشودة المطر للستّاب ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ، 2002، ص50.

<sup>2</sup>يلمسلاف لساني دنماركي(1899-1965) من مؤلفاته:في النظرية اللغوية، ومحاولات لسانية.



نصّ) System /Texte. أما جيوم<sup>1</sup> فيطلق عليه (لغة/ مقالة) Lqngue/Discour، ويسمّيه تشومسكي<sup>2</sup> (قدرة بالقوّة / ناتج بالفعل) Performance/ Compétance<sup>3</sup>. إنّ المنابع الحقيقية للظاهرة الأسلوبية في نظر المدرسة البنوية تكمن في نمطية اللّغة ووظائفها، لذا لا يمكن تعريف الأسلوب خارجاً عن الخطاب اللّغوي ذي الوظائف الإبلاغية، لهذا اعتبر جاكسون أنّ الأسلوب يتحدّد بما هو حاضر في الخطاب من الانطباع الشعوري واللاشعوري، أي أنّ النصّ أو الخطاب أو الرّسالة هي التي تخلق أسلوبها.<sup>4</sup>

إنّ الأسلوبية البنوية تعتبر النصّ بنية، يستمدّ منها الخطاب قيمته الأسلوبية، كما تولي أهمية كبيرة لنظريات التّواصل ووظائف اللّغة، ومن أبرز روادها جاكسون وريفاتير،<sup>5</sup> وليست البنية هي المفهوم الأوحد لهذه المدرسة بل إلى جانبها اللّغة والكلام، والوظائف اللّغوية السّت، والوحدات الصّوتية المميّزة، والقيمة الخلفية، والآنية والزّمانية، ومحورا التّأليف والاختيار.<sup>6</sup> وقد أشار عبد السّلام المسديّ إلى أنّ هذا الاتّجاه يقوم على علم المعاني والصّرف والتّراكيب ويحفل بعلاقات التّكامل والتّناقض بين الوحدات اللّغوية المكوّنة للنصّ.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> جيوم لسانسي فرنسي 1883-1960 من مؤلفاته: الزمن والفعل ودروس في اللّسانيات.

<sup>2</sup> تشومسكي لسانسي أمريكي، تتلمذ على يد هاريس وتأثر بجاكسون، ومن آثاره: الأبنية النّحوية ومقولات نظريات النحو التوليدي.

<sup>3</sup> ينظر: أحمد درويش، الأسلوب والأسلوبية، مجلة فصول، مج5، ع1-2، 1984. أكتوبر- نوفمبر- ديسمبر، ص: 65.

<sup>4</sup> ينظر: عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، ص: 140.

<sup>1</sup> محمد بلوحي، الخطاب النقدي المعاصر من السّياق إلى النّسق (الأسس والآليات)، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، ط1، الجزائر، 2002، ص: 102.

<sup>6</sup> ينظر: رابح بوحوش، المرجع السابق، ص: 37.

<sup>7</sup> ينظر: عبد السّلام المسديّ، مدخل إلى النّقد الحديث، الحياة الثّقافية، تونس، فيفري 1979، ص: 2009.

إنّ مفهومي اللّغة والكلام السّوسيريين -ابتداء- قد فرضا نفسيهما بقوة على اللّسانيين والنّقاد فيما بعد، فأشاروا إليهما بأسماء عدّة منها: (اللّغة والخطاب)، و(الجهاز والنّص)، و(الطّاقة والإنجاز) و(النّمط والرّسالة). فاللّغة هي نتاج الجماعة، وأمّا الخطاب فهو نتاج فردي إرادي؛ يستند على نظرية الاتّصال لدى جاكبسون، ذات الوظائف اللّغوية السّت، فالمرسل يوّد الوظيفة التّعبيرية أو الانفعالية، والمرسل إليه يوّد الوظيفة الإفهامية، والسّياق يوّد الوظيفة المرجعية، والقناة تولّد الوظيفة الانتباهية، والسّنن يوّد الوظيفة المعجمية، أي: وظيفة ما وراء اللّغة، والرّسالة تتولّد عنها الوظيفة الشّعريّة.

أمّا مفهوم الوحدات الصّوتية المميّزة فيهتمّ به الفرع اللّساني المسمّى بالصّوتيات الوظيفية، الذي يرى أنّ كلّ لغة تحوي عدداً معيّناً من الوحدات الصّوتية الأساسية، التي تستخدمها للفصل في المعنى بين الكلمات. و لإبرازها يجب موازنة ثنائيات من الكلمات -المعروفة بالأزواج الدّنيا- التي استبدلت وحداتها الصّوتية بوحداث أخرى مثل: (سار وصار) و(قال ومال) وغيرها.

وخامس المفاهيم هو "الدّال والمدلول" اللّذان أقام دوسوسير البحث في طبيعتهما وهويّتهما ووظيفتهما ليصل في النّهاية إلى أنّها اعتبارية تعسّفية تعتمد التّواطؤ العرفي، وتعرف هذه الدّوال بما تتمايز به عن بعضها البعض فلولا الحزن لما عرفنا الفرح، ولولا الإيمان لما عرفنا الكفر، وهكذا.

يلي هذا المفهوم مفهوم الآنية والزمانية الذي سعى سوسير من خلاله إلى الاهتمام بدراسة حالة ما في زمان ومكان حدوثها كدراسة لغة "المتنبّي" في العصر العبّاسي مثلاً.<sup>1</sup>

ويتحدّد الأسلوب بتوافق عمليتين متواليّتين في الزّمن، متطابقتين في الوظيفة هما: محورا الاختيار والترّكيب، أي اختيار المتكلم لأدواته التعبيرية ثم تركيبها وفق قواعد النحو؛ لأنّ التّطابق بين "جدول التّوزيع"، وجدول الاختيار، يقرّر الانسجام بين مفردات النّص الأدبي، باعتبارها علامات استبدالية في عملية الإبلاغ، وهكذا يبدو أنّ الاختيار يقوم على قاعدة التّعادل والتّمائل والتّناظر والتّرادف والتّضاد، بينما يقوم التّأليف على المجاورة.

### ثانياً: الاتّجاه الفردي أو الأسلوبية التّأصيلية:

#### 1- الأسلوبية النّفسية:

كانت أعمال كروتشيه<sup>2</sup> ذات النّزعة المثالية ..إحدى العوامل التي ساهمت في ظهور الأسلوبية الفردية.<sup>3</sup> وبالتّالي ظهور هذا الاتّجاه، الذي يجمع بين النّظرة النّظرة العلمية للغة والتّدريج التّاريخي لها.

وقد ركّز الألماني كارل فوسلر في بحثه "أصول الوضعية والمثالية في علم اللّغة" على النّفس الإنسانيّة وعلاقتها باللّغة إظهاراً للفعل الجمالي الخلاق للغة، وما

<sup>1</sup>: ينظر: رايح بوحوش، المرجع السابق، ص: 37-40.

<sup>2</sup>كروتشيه: إيطالي (1866-1952)، من أعلام الفلسفة والتّاريخ والنقد الأدبي، من مؤلفاته: الجمالية كعلم للعبارة.

<sup>3</sup> محمد عزام ، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق، سوريا، ط1، 1989، ص: 90.

يجاوره من أفعال معنوية وروحية أخرى، وبهذا تمكّن من إبراز دور الخيال في ظواهر الخلق اللغوي.<sup>1</sup>

وانسّعت دائرة هذا الاتجاه على يد ليوسبيتزر من خلال كتابه "المدخل إلى علم اللّغة العامّ" الذي أبان فيه عن عنايته بالتحوّل اللّفظي المعبر عن مقاصد المتكلم مع عدم إغفال القوانين الذاتية للغة لأننا بواسطة هذا التحوّل اللّفظي نستطيع قراءة عقلية شعب من الشعوب عبر مراحل التاريخية.

أمّا باشلار فقد درس موضوعات التكوّن الأدبي، مستنداً في ذلك على ذات الكاتب، لأنّه يراها وراء كتابته. كما قابل بارت<sup>2</sup> الأسلوب بالكتابة، وكلاهما في نظره متميّز عن اللّغة، و ربطه بالمزاج أيضاً. في حين استعان شارل مورون بالتحليل النفسي لتفسير (موضوعية) الأسلوب كما تظهرها الصّور البلاغية والتراكيب اللغوية،<sup>3</sup> وأصدر الباحث الفرنسي هنري مورير كتاباً بعنوان "سيكولوجية الأسلوب" طرح فيه نظريّة استكشاف ما أسماه "رؤية المؤلّف الخاصّة للعالم" من خلال أسلوبه، ودرس النّماذج الأساسية للأساليب من زاويّة نفسيّة، ويقوم اكتشاف هذه الرّؤية على تيّارات خمس كبرى داخل "الأنا العميقة"، وهي: القوّة، والإيقاعيّة، والتّوجه، والحكم، والتّماسك، والتي عدّها المكوّن الفعلي للطّباع.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص: 90-91.

<sup>2</sup> بارت: لسانى فرنىسى، ولد سنة 1915، أرسى قواعد نقد حديث، ومن آثاره: الدرّجة الصّفر فى الكتابة .

<sup>3</sup> عدنان بن ذريل ، اللغة والأسلوب، ص: 139.

و قد يبرز كلّ نوع منها في شكل إيجابي أو سلبي، فالقوة قد تكون قاعدتها الشدة أو الضعف، والإيقاع قد يكون متسقاً أو ناشزاً، والرغبة قد تكون صريحة أو مكبوتة، والالتحام قد يكون وثقاً أو متردداً، والحكم قد يكون متفائلاً أو متشائماً.<sup>1</sup>

## 2- الأسلوبية الأدبية :

يعدّ فسلر وليوسبيتزر من رواد هذا الاتجاه، فقد رفض ليوسبيتزر الفصل بين دراسة اللغة ودراسة الأدب، واصطنع (الحدس) ليلج إلى أعماق النصّ الأدبي، ويدرس أصالة شكله اللغوي أي أسلوبه، وتمثّلت خطوات منهجه فيما يلي:

- البحث الأسلوبي ينطلق من العمل الأدبي ذاته، وليس من مبادئ مسبقة.

- البحث الأسلوبي هو بمثابة جسر بين علم اللغة، وتاريخ الأدب؛ لأنّ مقارنة النصّ في ذاته تكشف عن ظروف صاحبه.

- الملامح الخاصّة للعمل الفنّي هي "مجازة أسلوبية" فردية أو انزياح شخصي وهي وسيلة للكلام الخاصّ، وابتعاد عن الكلام العامّ.

- اللغة تعكس شخصية المؤلف وتخضع له.

- لا يمكن الوصول إلى العمل الأدبي إلاّ بالتفاوض والحدس.

- جوهر النصّ يوجد في روح مؤلّفه وليس في الظروف الماديّة الخارجيّة<sup>2</sup>.

يقول سبيتزر: «هناك اعتبار صرفني عن التحليل النفسي للأسلوب، لأنّ هذه الدراسة ليست في حقيقة أمرها إلاّ شكلاً آخر من دراسة "السيرة الذاتيّة" وهي عرضة للتّحريف كما يقولون؛ اليوم في أمريكا، ولو استطاع النّاقّد، فرضاً، أن يصل جانباً

<sup>1</sup> ينظر: أحمد درويش ، الأسلوب والأسلوبية ، نفسه، ص: 66.

<sup>2</sup> عدنان بن ذريل ، اللغة والأسلوب، ص: 138، 139. ومجلة فصول، العدد السابق، ص: 97.

من جوانب الإنتاج بتجربة نفسية عاشها الكاتب، فليس من الثابت بل من الخطأ؛ القول أنّ هذا التوافق بين الحياة والأثر الفني يسهم دائماً في جمال الإنتاج، فالتجربة الشخصية لا تعدو أن تكون مادة أولى، شأنها في ذلك شأن المراجع الأدبية مثلاً، لذا انصرفت عن بحث الحالات النفسية وشرح أساليب المؤلفين انطلاقاً من مراكزهم العاطفية، وجعلت تحليل الأسلوب خاضعاً لتفسير الآثار بوصفها منظومات شعرية قائمة بحدّ ذاتها دون اللجوء إلى مزاج المؤلف»<sup>1</sup> و بهذا الجنوح نحو النص تكتسب الأسلوبية في النقد المعاصر سمة العلمية و تبتعد عن الأحكام المعيارية. وتعتبر مقولات: الاختيار والتركيب والانزياح سمات بارزة في الأسلوبية، ميّزتها عن غيرها من المناهج الأخرى.

### 1- الاختيار:

من أبرز مقولات الأسلوبية أنّ الأسلوب اختيار، لأنّ اللغة تتيح للمنشئ إمكانيات تعبيرية لا حصر لها، تمكّنه من انتقاء ما يتلاءم مع رؤيته، ممّا يعني أنّ « كلّ أسلوب صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره، وكيفية نظره إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته، فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب»<sup>2</sup> وبهذا المعنى يكون الأسلوب كاشفاً عن مكونات المخاطب، ومعبّراً عن مزاجه وشخصيته وعاكساً لها.

<sup>1</sup> ستاروبنسكي (جان)، النقد والأدب، تر: بدر الدين القاسم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، دمشق، ط1، 1976، ص: 54، 55.

<sup>2</sup> أحمد الشايب، الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ص: 134.

كما تقوم عملية الاختيار على المقام أو ظرف الحديث بغية استنقاز مخيلة المتلقّي وملكته، لذلك يعتمد المنشئ إلى حشد إمكاناته اللغوية في هذا المجال لاستغلالها في تحقيق هذا الغرض النّفعي، كدرء شبهة أو جلب منفعة، غير أنّ هذه العملية تستلزم كفاءة لغوية، ومقدرة على الانتقاء لدى المنشئ، وإذا كانت اللّغة توفّر للإنسان العادي احتمالات تعبيرية اختيارية شتى، فإنّها تهيّء للمبدع بدائل أوفر ونسوجاً لغوية أكثر، و«ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاماً ولكلّ حالة من ذلك مقاماً، حتّى يقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.»<sup>1</sup>

إذا تأملنا خطاب امرئ القيس:

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ      بِسَقَطِ اللّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ<sup>2</sup>

سوف نلاحظ أنّ بعض ألفاظ هذا البيت لها في اللّغة من البدائل ما يؤدّي وظيفتها، وبعضها لا يمكن إحلال أيّ لفظ آخر في مكانه، فكلمتا "قفا" و"نبك" تتلازمان دلاليّاً مع عدّة بدائل لغوية أخرى في حين أنّ أسماء الأماكن فرضت نفسها على الشّاعر فرضاً لارتباطها بتجربته.

بيد أنّ عملية الاختيار محكومة بقواعد وأسس أخرى كالتركيب وتشكيل النّسق والسّياق، تستعمل لتوصيل فكرة ما عن قصديّة ووعي، « فاللّغة الأدبية بهذا المعنى

<sup>1</sup> أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تق: علي أبو ملح، مج 1، منشورات دار ومكتبة الهلال، دط، 2002، ص 131.

<sup>2</sup> امرؤ القيس، الدّيونان، تحقيق مصطفى عبد الشّافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004، ص 110.

يحكمها قانونها الخاص، وبهذا القانون تكتسب خاصيتها ظاهرة فنية، مميّزة من الظواهر المغايرة لها".<sup>1</sup>

ولما كانت عملية الاختيار مرهونة بالغاية التي ينشد المنشئ تحقيقها، كان لازماً عليه أن يستثمر كلّ الإمكانيات اللغوية التي تمكّنه من الوصول إلى هدفه من قبيل، «الاستعانة بالعناصر الشارحة أو المقيدة أو المخيلة، واستعمال الكلمات المتقابلة المتضادة، إن كان ذلك يخدم المعنى». <sup>2</sup>

فالحذف والذّكر، والتّعريف والتّكثير، والتّقديم والتّأخير وغيرها، تضي على الكلام عطاء فنياً ودلالياً جديداً، إن أحسن المنشئ توظيفها، لذلك ميّز سعد مصلوح بين نوعين من الاختيار هما: الانتقاء النّفعي المقامي والانتقاء النّحوي الذي تتحكّم فيه مقتضيات التّعبير الخاصّة، إلّا أنه رأى أنّ الأسلوب ينصرف إلى الاختيار النّحوي، كما ربط "جاكسون" الاختيار كأسلوب بمحور التّركيب، وهما محوران يشكّلان العلاقة العمودية والأفقية في النّظرية البنيوية.<sup>3</sup>

و يمكن تحديد الاختيارات على النّحو الآتي:

-اختيار الغرض من الحديث مثل: الإبلاغ، الإقناع، -واختيار موضوع الحديث وما يتناسب معه من مفردات اللغة، -و اختيار الرّمز اللّغوي، - والاختيار النّحوي

<sup>1</sup>-Gules Marouzeau, précis de stylistique, française, ed masson, 1969, paris, p :17.

نقلًا عن : نورالدين السّد ، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 158.

<sup>2</sup> محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية، المرجع السابق، ص116.

<sup>3</sup> ينظر: محمد الولي، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990،

ص: 299. نقلًا عن: موسى سامح ربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دارالكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2003

ص: 32.



المتعلق بالتركيب النحوية المناسبة. - والاختيار الأسلوبي : يقوم به المتكلم من بين  
الإمكانات الاختيارية المتساوية دلاليًا.<sup>1</sup>

لكن الوسائل اللغوية ليست ممكنة دائماً، لكون الاختيار مقيد بنظام اللغة  
ومحكوم بالقصدية والسياق والموقف والقواعد المعجمية والنحوية ولا أثر فيه للتلقائية  
التي تميز اللغة العادية لارتباطه بغاية مقصودة.<sup>2</sup>

## 2- التركيب:

إذا كانت الأسلوبية قد وُجِهت بأن إمكانات الاختيار مقصورة على الألفاظ دون  
التركيب أو النحو، على اعتبار أن النحو عملية سابقة على الأسلوب، وهو محكوم  
بقواعد لا يمكن تجاوزها، فإن عبد القاهر الجرجاني أدخل أثناء معالجته مسألة  
النظم المعجم والتركيب على السواء في عملية الاختيار، وخاصة عندما، «تتحد  
أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن تحتاج  
في الجملة أن تضعها في النفس وضعا واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني  
يضع بيمينه وهنا في حال ما يضع بيساره هناك. نعم، وفي حال ما يُبصر مكان  
ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين، وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حدّ  
يحصره وقانون يحيط به، فإنه يجيء على وجوه شتى، و أنحاء مختلفة».<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر: عبد الغفار مكاوي، ثورة الشعر الحديث من بوليفر إلى العصر الحاضر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط ،  
1972، القاهرة، ص: 13-34. نقلا عن: موسى سامح رابعة، نفس المرجع، ص: 30.

<sup>2</sup> ينظر: موريس أبوناظر، إشارة اللغة ودلالة الكلام، أبحاث نقدية، دار مختارات بيروت، 1999، ص: 85، وص: 155.  
نقلا عن: موسى سامح رابعة، المرجع السابق، ص: 31.

<sup>3</sup> - الجرجاني، دلائل الإعجاز، قر/وتع: أبو فهر، محمود محمد شاكر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004،

وعلى هذا يمكن أن تكون عملية الاختيار لا نهائية تفتح على إمكا نيات لا حصر، إن في المعجم أو التركيب، ولا ينتهي الأمر عند هذا الحد بل إن عملية الاختيار تمتد لتصل إلى البنيات والتركيب، فكما يختار الكاتب السمات اللغوية المناسبة، فإنه يختار لها - أيضاً أمكنتها الملائمة لها، ويقوم بإيجاد العلاقات فيما بينها، ف: «كلّ يقوم على ظواهر مترابطة العناصر، وماهية كلّ عنصر وقف على بقية العناصر بحيث لا يتحدّد أحدها إلا بعلاقته بالأخرى.»<sup>1</sup> ومن هنا تتبدى أهمية النحو في التركيب الأسلوبي، لأنّ الكلام لا يستقيم إلاّ به، «وعلى هذا الاعتبار كان النحو سابقاً في الزّمن للأسلوبية، إذ هو شرط واجب لها، فكلّ أسلوبية هي رهينة القواعد النّحوية الخاصّة باللّغة المقصودة.»<sup>2</sup>

إنّ مفهوم التركيب كما أقرّته الأسلوبية ليس بعيداً عن مفهوم النّظم في النّقد القديم، فأدبيّة النّص لا تتحقّق إلاّ بنظمه، ويضمّ النّظم جميع الوحدات اللّغوية المكوّنة للخواصّ الأسلوبية للخطاب الأدبي، ومن هنا اعتبر النّقاد العرب الأسلوب تركيباً لغوياً ذا قيمة جماليّة وفنّية، وهذا التركيب يجعل الخطاب الأدبي عملاً فنّياً. وقد قسم محمّد مفتاح التركيب إلى نوعين هما: أ- التركيب النّحوي. ب- التركيب البلاغي، من خلال قوله: «إنّ المسلّمة التي تنطلق منها الدّراسات الخاصّة بالنّحو العربي هي أنّ الجملة العربية تبتدئ بالفعل، وينتج عن هذا نتائج خطيرة على مستوى دراسة المعنى والتّداول للجملة العربية. ولذلك فإنّ (جاء محمّد) تعتبر تركيباً جاء على أصله أي أنّه محايد لا يتضمّن أيّ إيحاء تداولي، ولكننا إذا قلنا (محمّد

<sup>1</sup> - عبد السلام المسدي، مدخل إلى النّقد الحديث، ص: 208، 209.

<sup>2</sup> - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 56.

جاء) فإنّ التّركيز وقع على محمّد دون سواه من الأسماء المتبادرة إلى ذهن المخاطب التي يشترك في معرفتها مع المتكلّم، وكذا: إياك أحبّ، وقائماً كان زيد، فتقديم -إياك- قصر المحبّة على المخاطب دون غيره، كما أنّ تقديم - قائماً- تعني أنّه لم يكن جالساً ولا نائماً<sup>1</sup>. أي أنّ الجملة تكون محايدة كلّما كانت على ترتيبها الطّبيعيّ الأول، ولكنّها تتسع وتثري دلاليّاً كلّما حدث فيها خرق على مستوى دلالة الألفاظ أو ترتيبها.

### 3-الانزياح:

يرتبط الانزياح بمقولة الاختيار بقوة، لأنّ هذا الأخير قائم على إمكانات عدّة تسهّل حدوث الانحراف ممّا يكسب النّص جمالية تستهوي متقبّله وتؤثّر فيه، لذلك احتقى الأسلوبيون بهذه الظّاهرة كثيراً، فقسّموا اللّغة إلى مستويين:

أ-المستوى العادي: وفيه تبرز سيطرة الوظيفة الإبداعية على أساليب الخطاب.

ب-المستوى الإبداعي: الذي يتمّ فيه اختراق الاستعمال الطّبيعيّ للّغة، قصد تزويد الخطاب بشحنات أسلوبية وجمالية تستقطب فكر المتلقّي وتؤثّر فيه<sup>2</sup>. ذلك لأنّ اللّغة الطّبيعية لغة عمليّة عامّة، تختصّ بعموم النّاس، في حين أنّ اللّغة الإبداعية غنيّة ببدايل كثيرة، والظواهر الأسلوبية لا تتحقّق إلّا بعبقريّة اللّغة، التي تسمح بتخطّي النّظام المعتاد إلى نظام ذي كثافة دلاليّة وشحن تعبيرية متفرد، يتعالى عن البساطة المألوفة، ويتعدّى الدّلالة الأولى القريبة.

<sup>1</sup> محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، دار التنوير ، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص: 69.

<sup>2</sup> نور الدين ينظر السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص: 179.

إنّ الانزياح عند شارل بالي «موجود أساساً بين بنية التّعابير المحايدة وبين التّعابير المفعمة بالقيم التعبيرية التي تزرع نظام اللّغة بما تزرع فيه من اضطراب فيستحيل نظاماً جديداً»<sup>1</sup> لأنّ التّعابير المألوفة الشائعة تنجح بفعل الانزياح عن أصلها، وإذا بها تتزيّياً بحل جديدة؛ غنية بالإيحاءات، ومشبعة بالدلالات، ومثيرة للتساؤلات، فيها ديناميكية وحركية ونشاط؛ تسمو بالنص، بما تلبسه من مظاهر جمالية تقود إلى التأثير في القارئ.

وقد اتخذ ليوسبتر مفهوم الانزياح مسباراً لتقدير كثافة عمق الظاهرة الأسلوبية ودرجة نجاعتها، ثمّ طبّق المنهج الاستقرائي ليتمكّن من المطابقة بين هذه المعايير وبين ما أطلق عليه؛ بالعبريّة الخلاقة لدى الأديب.<sup>2</sup> فا لمكة اللّغوية والكفاءة اللسانية التي يميّز بها المبدع عن غيره، هي التي تمكّنه من الذهاب بعيداً بالدوال اللّغوية والإيغال في استعمالها، وبالتالي صناعة الظواهر الأسلوبية، التي تكثّف الجوانب الجمالية في النصّ الإبداعي، وتدفعه نحو التميّز.

ومن هنا يمكن القول: إنّ الأسلوبية تدرس المظهر والجودة الناتجين عن العملية الانتقائية للإمكانيات اللّغوية التي تهيئها اللّغة للمبدع، الذي يقوم بدوره بتمييز الإمكانيات الواقعة في درجة الصّف من الإمكانيات المشعّة بالدلالات، التي تؤدّي إلى خرق السنن، وانتهاك المألوف وتجاوزه إلى آفاق أرحب.

<sup>1</sup> ينظر: عبد الله صولة، فكرة العدول في البحوث الأسلوبية المعاصرة، مجلة دراسات سال، ع1، فاس المغرب، 198، ص 73-101.

<sup>2</sup> ينظر: عبد السلام المسدي، المرجع السابق، ص: 102.

أما ريفاتير فيعرّف الانزياح بكونه انزياحاً عن النمط التعبيري المتواضع عليه، ويدقق مفهوم الانزياح بأنه يكون خرقاً للقواعد حيناً، ولجوءاً إلى ما ندر من الصيغ حيناً آخر، فهو في حالته الأولى داخل تحت علم البلاغة ويخضع لأحكام معيارية، أما في حالته الثانية فهو موضوع بحث اللسانيات بعامة والأسلوبية بخاصة.<sup>1</sup> وهو بهذا يؤكد على أنّ الانزياح مفهوم بلاغي و مفهوم أسلوبى-أيضاً- وهو بحسبه يحدث في المتلقّي خيبة انتظار، سمّاه بالمفاجأة وسنّ لها قانونين:

1-يتمثّل القانون الأول: في أنّ المفاجأة كلّما كانت غير منتظرة كلّما كان وقعها أكثر على المتلقّي.

2-يتمثّل القانون الثاني: في أنّ تكرار الخاصية الأسلوبية مفقد لشحنتها التآثيرية في المتلقّي. «وقد شاعت عبارة فاليري التي قال فيها: إنّ الأسلوب هو في جوهره انحراف عن قاعدة ما، وشاركه في هذا الرأى كثير من النقاد ودعوا إلى ضرورة أن يعتاد الباحث على القاعدة أولاً حتى يتمكّن من اكتشاف الانحرافات المتفرّعة عنها»،<sup>2</sup> لأنّ جهل الباحث الأسلوبى لقواعد الانزياح - بوصفه مفهوماً بلاغياً وأسلوبياً - يصعب عليه عملية اكتشاف الانحرافات المختلفة ، الكامنة في النص.

إنّ المتتبّع لمسار الحركة النقدية الغربية والعربية - على السواء - يلحظ تعدّد أسماء مصطلح الانزياح، فقد وسمه النّقد الغربى بأسماء عدّة نذكر منها: الانحراف، التّجاوز، الاختلال، الإطاحة، المخالفة، الشّناعة، الانتهاك.. في حين أطلق عليه

<sup>1</sup> - ينظر: المرجع السابق، ص: 103، 104.

<sup>2</sup> - ينظر: محمد غاليم ، التوليد الدلالي في اللغة والمعجم، دار توفال للنشر، المغرب، دط ، 1987، ص: 64. نقلا عن:

موسى سامح رابعة، الأسلوبية: مفاهيمها وتجلياتها، ص: 35.

التّقد العربي؛ قديمه وحديثه أسماء كثيرة منها: الاتّساع، العدول، الغرابة..<sup>1</sup> وكما تعدّدت أسماؤه فقد تنوّعت أنماطه أيضاً من ناحية تحقّقها في النّصوص الأدبية، ونتيجة لهذا التّنوع فإنّ وجهة نظر الدّراسة التي تطبّق مقولة الانزياح يمكن أن تتنوّع كذلك، ما دام جوهر عملية تطبيق هذه المقولة إنّما هو إجراء مقارنة، فالتّطبيق تطبيق مقارن، يتأمّل النّص الأدبي لا كشيء في ذاته وإنّما كشيء مرتبط بطريقة معيّنة بآخر حافز في الدّهن، سواء أكان الآخر متجسّداً كنصّ آخر أو كنمط حقبة معيّنة سابقة على حقبة النّص.<sup>2</sup> وهذا الأمر يؤكّد على ما يجب أن يكون عليه الباحث من دراية وفهم لحقيقة هذا المفهوم، وتنوّعاته المختلفة، وما يتمخّض عنها.

ويعرّف تودوروف<sup>3</sup> الأسلوب معتمداً على مبدأ الانزياح فيقول: «بأنّه - لحن مبرّر - ما كان يوجد لو أنّ اللّغة الأدبية كانت تطبيقاً كلياً للأشكال النّحوية الأولى، ثم يحاول حصر مجال هذا الانزياح محيلاً إلى جون كوهين. فيقرّر أنّ الاستعمال يكرّس اللّغة في ثلاثة أضرب من الممارسات: المستوى النّحوي، والمستوى اللّانحوي، والمستوى المرفوض، ويمثّل المستوى الثّاني أريحية اللّغة في ما يسع الإنسان أن يتصرّف فيه.»<sup>4</sup>

ويستخلص ممّا سبق أنّ مقولة الانزياح تشمل تنوّعات النّص الأدبي، غير أنّ موكاروفسكي حاول أن يسنّ قانوناً داخل قانون الانزياح فقال: «كلّما كان قانون

<sup>1</sup> - ينظر: موسى سامح رابعة، المرجع السابق، 35.

<sup>2</sup> - حسن ناظم، البنى الأسلوبية، ص: 43.

<sup>3</sup> - تودوروف بلغاري الأصل، فرنسي الجنسية وباحث بالمركز القومي للبحوث العلمية بباريس، من مؤلفاته: نظرية الأدب.

<sup>4</sup> - Todorov.T, Littérature et signification, ed Larousse, 1967, paris, p : 104.

نقلا عن: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص: 102، 103.

اللغة المعيارية أكثر ثباتاً في لغة ما، كان انتهاكه أكثر تنوعاً، ومن ثمّ كثرت إمكانات الشعر في تلك اللغة، ومن ناحية أخرى، كلما قلّ الوعي بهذا القانون، قلّت إمكانات الانتهاك، ومن ثمّ تقلّ إمكانات الشعر.<sup>1</sup>

إلا أنّ الإشكال الذي يواجهه الباحث -في هذه القضية- هو مسألة المعيار الذي يبرز الانزياح، وبالتالي تمييز اللغة الأدبية عن اللغة العادية، وهذا مادفع جون كوهن إلى قصر الانزياح على الشعر بقوله: «إنّ الانزياح لا يكون إلاّ في الشعر لأنّ النثر هو اللغة الشائعة، والقصيدة انزياح عنه.»<sup>2</sup>

و ما دامت هذه المسألة أمراً خلافياً فلا يمكن الجزم بالقول أنّ الأسلوب ملازم للغة الأدبية، بعيد عن اللغة العادية. وهذا ما أكّده مدرسة براغ حين اعتبرت « أنّ الأسلوب هو كيفية كليّة للرّسائل اللفظية (النصوص)، وأن لا وجود لنصوص من دون أسلوب أو نصوص محايدة أسلوبياً، ولا تتشكّل - فقط- النصوص الأدبية (الفنية) أسلوبياً، بل تتشكّل النصوص الاتصالية (المرجعية) أسلوبياً كذلك.»<sup>3</sup>

إنّ فهذه القضية نسبية تتعلّق بطبيعة النّظر إلى الأسلوب، لأنّنا نلاحظ بعض النصوص الأدبية يقف الإنسان أمامها حائراً إذا ما حاول كشف أسلوبها لخلوها من الانزياح ولكنها لا تخلو من أسلوب ما. ولعلّ الخطاب الإبراهيمي الذي يمتاز بالنّزاع الأسلوبي في مختلف المستويات اللغوية، والذي يستهدف إثبات الفكرة

<sup>1</sup> - يان موكاروفسكي، اللغة المعيارية واللغة الشعرية، مجلة فصول، العدد السابق، ص: 42.

<sup>2</sup> - جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، ص: 15.

<sup>3</sup> - حسن ناظم، البنى الأسلوبية، (دراسة في أنشودة المطر)، ص: 44.

مع استعمال التأنق اللفظي، يؤكد على أنّ الأسلوب هو طريقة الكتابة لدى الشاعر والنّاثر على السّواء.

لذلك عمدت في البداية إلى استعراض أهمّ الأجناس الأدبية لدى الإبراهيمي، حتى يتسنى لي فيما بعد توظيف اللّغة في فهمها؛ لكونها الأداة التي يستخدمها الباحث في تشكيل مادّته الفنّية تشكيلا يعكس أفكار الكاتب ومشاعره، فيضفي عليها بذلك ملامح جديدة وأبعادا مختلفة.

### ثانيا: أنواع الخطاب اللّغوي لدى البشير الإبراهيمي:

#### 1-: النثر:

كان لرسالة الإبراهيمي الإصلاحية والجهادية في إنقاذ الجزائر أثر كبير في نبوغه، وتتوّع آثاره الأدبية فأضحت « ثقافته الأدبية أوضح من زميله الشّيخ عبد الحميد بن باديس، وبينما كان الدّرس المشافه الموجّه أغلب على الأخير كان القلم واللّسان أغلب على الشّيخ الإبراهيمي، وقد أعطته هذه الميزة ميلا خاصّا للنّقد والتّوجيه»<sup>1</sup>، حيث فرضت عليه أن يستخدم مهارته اللّغوية في مجال الصّحافة والخطابة والرّسالة لبلوغ غاياته، فقدّم نفسه للعالم على أنّه صحفي ماهر، وخطيب مفوّه و مترسّل فذّ \* و مصلح كبير، وعالم بتاريخ الأمم والشّعوب. « وهذه خلال هي سرّ عظمته عندنا، وهي سرّ حبنا إيّاه، وإعجابنا به وانتصارنا

<sup>1</sup>أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص81.

\* الترسل في الكلام: التوقر والتفهم والترفق من غير أن يرفع صوته شديداً.

ابن منظور، لسان العرب، مج3، ج 24، تن: عبد الله علي الكبير-محمد أحمد حسب الله-هاشم محمد الشادلي، دار

المعارف المصرية، مادة رسل، ص: 1644.



له<sup>1</sup>، لكونه لم يكتف بالإبداع في النثر - على تنوعه - بل كانت له محاولات في الشعر متّجهة نحو الإصلاح والتّعليم، وفيما يلي تتبّع لأهمّ الأنواع الأدبية التي جادت بها قريحة شيخنا - رحمه الله تعالى -.

### 1-المقالة:

عرفت المقالة الإبراهيمية ازدهارا واضحا بعد تأسيس جمعية العلماء، نتيجة عوامل شتى أبرزها: الصّراع الفكري بين المثقّفين،<sup>2</sup> فقد انبرى الإبراهيمي يعبر عن آرائه بأسلوب أدبي عال، ويتفنّن في كتابة الفنّ المقالي، حتى بوّاه مكانة عالية داخل الوطن وخارجه، حيث « أتيح للنثر العربي الحديث أن يفيد من هذا الصّراع الحادّ، فائدة ما كانت لتقع له فيما لو ظلّ السّكون الفكري قائما، والاتّفاق في الرّأي سائدا، إنّ أجمل المقالات الأدبية وآنفها أسلوبا، وأحرّها عاطفة، وأقواها حجّة، وأوضحها حجّة، نتجت عن هذا الصّراع الفكري العنيف».<sup>3</sup> « ففي صحافة الرّأي يتطوّر فنّ المقالة أكثر بكثير من صحافة الخبر. وذلك لأنّ المقالة في صحافة الرّأي هي بمنزلة العمود الفقري لها».<sup>4</sup>

وهكذا تبوّأت المقالة الإبراهيمية بين مختلف فنون النثر المقام الأوّل، لكونها أداة طيعة للتّعبير عن العواطف والأفكار وإنفاذ مهمة الإصلاح بنجاح.

<sup>1</sup> محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1981، ص440.

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1983، ص85.

<sup>3</sup> عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص89.

<sup>4</sup> جمال الجاسم المحمود، فن المقالة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية - مج: 24، ع2008، 1،

ولعلّ ريّادة الإبراهيمي للفنّ الصحفي في الجزائر أنذاك زاده قدرة على الإبداع بجودة عالية في هذا الفنّ، ويتجلّى ذلك فيما حوته جريدة البصائر من مقالات، علا شأنها أدبيا وتاريخيا. ليؤكد شيخنا بذلك «أنّ الصحافة لا تعني العزوف عن رصانة الأدب ونصاعته، كما أثبت أنّ في اللّغة الأدبية العالية طريقا سويا للإعراب عن المشكلات السياسيّة والاجتماعية.»<sup>1</sup>

إنّ المتمعّن في مقالات الإبراهيمي يقف على تميّزه « بلسان فصيح وذاكرة عظيمة وقلم سيّال، فقد عالج الشّؤون الدّينية وعالج القضايا الاجتماعية والإصلاحية والسياسية، وهو في مقالاته يجمع بين العناية بالصّيغة وبين التّعبير عن العاطفة، كما يجمع بين الفكرة الإصلاحية والجمال الأدبي، وفي بعض الأحيان يسيطر على اللّغة والأسلوب وينقصه الخيال، ولا يعتني بالفكرة العميقة وتحليلها، وإنّما يسجّل ويصوّر ويهتمّ ببسط الموضوع والتّنبية إليه دون الحكم عليه، فلا يغوص في أعماقه»<sup>2</sup>.

من هنا انشطرت مقالاته من النّاحية الفنيّة إلى نوعين: أولاهما يحترم البناء المنهجي للمقالة، ويظهر قدرة الشّيخ على ترتيب الأفكار، وانتقاء الألفاظ، والمهارة في الإقناع، وثانيهما يهتمّ بالجانب الجمالي حيث تتبدّى للقارئ براعة الإبراهيمي في التّعبير عن الفكرة، بأسلوب راق، ولغة شعرية بليغة، وتصوير فنيّ جميل،

<sup>1</sup> إبراهيم السامرائي، أصالة العربية في عيون البصائر، مجلة الثقافة، ع: 87، ص 217-218.

<sup>2</sup> أنيسة بركات درار، أدب النضال في الجزائر من سنة 1945 حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، دط، 1985، ص 170.

وعناية بالإيقاع الموسيقي العام للمقالة. وفي ثنايا هذين النوعين، وبحسب الموضوعات المعالجة، تتجلى أنواع أخرى، هي:

المقالة النقدية - المقالة الاجتماعية - المقالة السياسية.

### أ- المقالة النقدية:

تتميز كتابات الإبراهيمي بالحسّ النقدي، وخاصة مقالاته، التي جنحت نحو النقد الأدبي تارة، ونحو نقد الشخصيات تارة أخرى، وتناولتها «إمّا بالتقريب والمدح، أو بالعرض والقدح»<sup>1</sup>، و المقالات التي حفلت بالنقد الأدبي تنازعها شكلان نقديان هما: الجانب الانطباعي المعتمد على الذوق الأدبي، و الجانب الموضوعي المعتمد على مقاييس نقدية عربية متوارثة، غايتها الارتفاع بالأدب في جوانبه الفنية واللغوية والفكرية والرسالية، وترعم هذا النهج في الجزائر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، متخذاً جريدة البصائر-على الخصوص- منبرا لقيادة أدباء الجيل الجديد، الذين أعجبوا بسعة آرائه في الأدب والنقد والفكر وسدادها، وبفصاحته وحسن بيانه، وبمحاولاته الجريئة في مجال الأدب، والتي أدت إلى تجديد النثر حتى أصبح يواكب أحدث الأساليب العربية الناجحة في ذلك الحين.<sup>2</sup>

إنّ القارئ المتمعّن في مقالاته النقدية يتبدّى له بجلاء طريقته السلسة في الإقناع، المستندة على خيارات لغوية لطيفة، تلقى الاستحسان والقبول، «ولو بحثنا في العلة لتبيّن لنا أنّ الرجل كان من أحفظ أهل زمانه، فأتيح لذاكرته أن

<sup>1</sup> محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، مط: الشروق، بيروت،

ص 613.

<sup>2</sup> ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق نفسه، ص(80-81-82).

تختزن ما شاء الله لها أن تختزن من جيّد المحفوظ: شعره ونثره، وقرآنه وحديثه»<sup>1</sup>.  
و يلحظ عليه اعتماده في نقد الأثر الإبداعي على ذوقه الأدبي أولاً، وعلى الدراسة المعمّقة ثانياً، كما أنّ السّمة التي لا تخلو منها الآثار الإبراهيمية هي روح الدّعابة والفكاهة والسّخرية، « فشرط المقالة الأدبية أن يكون الأديب ناقماً، وأن تكون النّقمة خفيفة يشيع فيها لون باهت من التّفكه الجميل؛ فإنّ التمسّت في مقالة الأديب نقمة على وضع من أوضاع النّاس فلم تجدها، وإنّ افتقدت في مقالة الأديب هذا اللون من الفكاهة الحلوة المستساغة فلم تصبه، فاعلم أنّ المقالة ليست من الأدب الرّفيع في كثير أو قليل، مهما تكن بارعة الأسلوب رائعة الفكرة»<sup>2</sup>

أمّا المقالات التي حفلت بنقد الشّخصيات فقد كان حضور الفكاهة والسّخرية فيها أوضح وأشدّ منها في المقالات التي اهتمت بقضايا أدبية أو جوانب حياتية. لكنّه لم يَنسَق - بدافع الانفعال - إلى مخاطبة خصومه بألفاظ جارحة كما فعل بعض معاصريه، بل استخدم ملكته اللّغوية في الحطّ من قيمة منافسية بأسلوب مهذّب، ولفظ ميّزه الأدب، وهو ما مكّن لأدبه وجعله أكثر تأثيراً وجاذبية.

إنّ راهن تلك الحقبة والظّروف التي مرّت بها السّاحة الفكرية والأدبية فرضت على الإبراهيمي أن يخوض تلك المعارك القلمية التي نشبت آنذاك، والتي «استهدفت الكشف عن كثير من الأخطاء والأهواء المضلّلة، بغية تحطيم الهالة

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،

الجزائر، ط2، 1983، ص 124.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، جنة العيب، دار الشروق، ط2، 1982، ص9.

الضخمة التي أحيطت بها وأحاطها بها كاتبوها»<sup>1</sup>. كما أسهمت في تنوير الطبقة الاجتماعية في شتى المجالات، وبيّنت للعرب أنّ في الجزائر أقالما تكتب، وعقولا تفكر، تفلّتت من واقعها، وانتصرت على رآهنها، رغم ما كابدته من مشاق.

### ب- المقالة السياسية:

كان لثورة الفاتح من نوفمبر عام 1954 أثر طيب على ذوي الفكر والقلم، حيث ألهمت عقولهم وحركت أقلامهم، فهبوا يدعمونها، ويزيدون جذوتها انتقادا قصد كسر شوكة المحتلّ، ومن هؤلاء الشيخ البشير الإبراهيمي الذي زرع بمقالاته السياسية الثّارية أركان الاحتلال، حينما راح يعبر عن مشاعره تجاه وطنه، بهدف إيقاظ الشعوب من غفلتها لمواجهة الوضع السياسي الرّاهن. مخلّفا بذلك أدبا نضاليا غنيا، اعتُبر هو وما تزامن معه من أدب الثّورة « إرثا فنيا فعّالا ومحركا وعاملا على التّغيير، استخدمته الأمة الجزائرية سلاحا لتحطيم قيود الاحتلال الغاشم، وسلاحا لتغيير الواقع المرّ... حيث أنّ الثّورة المشتعلة كانت في حاجة إلى صوت يدعو لها، ويحرّض الشعب على الكفاح المسلّح، ويقوّي إيمانه بالنّصر»<sup>2</sup>، وقد وجد هذا الصّوت صدها في المقال السياسي، وعلى الخصوص المقال الإبراهيمي، الذي غشيته «نوعية خاصّة من العاطفة الوطنية الصّادقة والمضمون

<sup>1</sup> أنور الجندي، المساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، مكتبة الاداب القاهرة، ط2008، ص4.

<sup>2</sup> أنيسة بركات، أدب النضال في الجزائر من سنة 1954 حتى الاستقلال، مقال بمجلة الثقافة الجزائرية، ع: 95، ص191/193.

الوطني الحماسي الذي من شأنه أن يستنهض الهمم، ويؤكد الرأي الذي يميل إليه كاتب المقالة، ويدعو إلى الإصلاح السياسي ويشيد بالاستقرار السياسي».<sup>1</sup> ولأنّ أغلب البلدان العربية كانت محتلة، فقد اتخذ الكثير من الكتاب هذا النوع من المقال سلاحاً لمحاربة الاحتلال، ومن أمثلة المقالات السياسية الإبراهيمية مقاله المعنون بـ"إلى أبنائي الطلبة"، الذي قام فيه بتبصير الطلبة بالمخاطر التي تحيط بالأمة، وقد استدعى الكاتب العامل التاريخي ووظفه توظيفاً نفسياً، لكونه مجموعة من الحوافز التي من شأنها إزالة كلّ صعب، يعترض سبيل طلبة العلم الذين سيتخذون أسلافهم العلماء نماذج عليا يسرون في ركابها، وشموساً وضياءً يستتبرون بها.

كما دعا الإبراهيمي من خلال مقالاته بالبصائر الأحزاب السياسية الجزائرية إلى وحدة الصف، منتقداً مبادئها التي دخلتها بعض الأفكار المستوردة، التي أدت إلى تطاحن الأمة الجزائرية من خلال أحزابها، وهاجم فكرة الإدماج مع فرنسا مؤكداً استقلال الشخصية الجزائرية عن الشخصية الفرنسية. وقام أيضاً بدحض آراء الاحتلال التي تنادي بشعار الجزائر فرنسية، وشارك في المؤتمرات التي تهتم قضية بلاده، ومنها مشاركته في المؤتمر الإسلامي في سنة 1936.<sup>2</sup> ولم تغفل

<sup>1</sup> عبد اللطيف محمد السيد الحديدي فن المقال في ضوء النقد الأدبي، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، مصر، ط3، دت ، ص39.

<sup>2</sup> ينظر : نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي و الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دت ،

1990 ص، 126 إلى 132.

مقالاته السياسية قضايا الأمة العربية، وفي مقدمتها قضية فلسطين، التي تعتبر قضية العرب كلهم.

### ج- المقالة الاجتماعية:

المقال الاجتماعي هو المقال الذي يعالج مشكلة من المشاكل التي يعيشها المجتمع، كآفات الاجتماعية، ومشاكل الأسرة، والعلاقات بين أفرادها، محاولاً إصلاحها وإيجاد الحلول لها، فلو أمعنا النظر فيه لوجدناه «ينقد العادات السيئة، والتقاليد الضارة، وينفر مما هو ضارٌّ، ويرغب في النافع المفيد».<sup>1</sup> وظاهرة النقد ميزة قائمة في مقالة النقد الاجتماعي الإبراهيمية وصنوتها أيضاً. ف «قوامها نقد العادات النّاخرة والتقاليد البالية التي ترسّبت في المجتمع، على مدى الدّهور، ولا تعفي الأزياء الطّائرة والبدع المستحدثة من سخريتها وعبثها».<sup>2</sup> زد على ذلك تميّز هذا النوع « بالوجدانية الصادقة التي تعبّر عن شعور الكاتب الاجتماعي، فهو في مقالاته الاجتماعية لا يعبّر عن شعوره فحسب، بل يعبّر كذلك عن شعور أفراد مجتمعه، فيشاركهم معاناتهم وبؤسهم وشقاءهم في ظلّ ما يسود المجتمع من أوضاع اجتماعية سيّئة».<sup>3</sup>

كما يعالج المقال الاجتماعي عند الإبراهيمي موضوعات ذات أهداف تربيوية، ويتجلى ذلك في مقالة له، تحدّث فيها عن منهج التعلّم، وبيّن للمتعلّمين ما ينبغي لهم أن يفعلوا أثناء عملية التعلّم وبعدها، فيقول: «لا تعتمدوا على حلق الدّروس

<sup>1</sup> السيد مرسي أبو ذكري، المقال وتطوره في الأدب المعاصر، ج1: ،دار المعارف، دط ، 1981-1982.ص 74.

<sup>2</sup> محمد يوسف نجم : فن المقالة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، بيروت ، دط ، دت ، ص 107.

<sup>3</sup> عبد اللطيف محمد السيد الحديدي، نفس المرجع، ص29.

وحدها، واعتمدوا معها على حلق المذاكرة، إنّ المذاكرة لقاح العلم، فاشغلوا أوقاتكم حين تخرجون من الدّرس بالذاكرة في ذلك الدّرس، إنّكم إن تفعلوا تفتح لكم أبواب من العلم، وتلح لكم آفاق واسعة من الفهم».<sup>1</sup>

يفهم ممّا تقدّم، أنّ المقال الاجتماعي في معناه العامّ هو عرض موضوعي للواقع المعاش، «يعتمد فيه على الإحصاءات و المقارنات، و على التحليل والتّعليل و التنبؤ في بعض الأحيان»<sup>2</sup>، وغاية الأديب من وراء ذلك هو محاولة القضاء على الفساد و تغيير الواقع.

إنّ المقال الاجتماعي هو تعبير عن انفعالات في نفسية الكاتب، تتعلّق بقضايا مجتمعه، ويظهر ذلك في تصوير الإبراهيمي لواقع لأمة الجزائرية إبان فترة الاحتلال، بقوله: «تعاني الأمة الجزائرية و جاراتها المتّحدة معها في الدّين والجنس، المقاربة لها في العادات عدّة مشاكل اجتماعية، لا يسع المصلحين إغفالها و السّكوت عليها بعد ظهور آثارها وتحقّق أضرارها»،<sup>3</sup> كما «عالج شيخنا بقلمه على صفحات البصائر مشاكل الأمة الجزائرية كالتّعليم العربي، والصّحافة العربية، والنّوادي والمساجد، والأوقاف الإسلامية، والمشاكل الاجتماعية الأخرى».<sup>4</sup> وشهد محمّد الهادي الحسني بأنّ الإبراهيمي «دبّج في البصائر أروع المقالات، وأبدع التّحليلات، وخاض على صفحاتها أصدق الهجمات

<sup>1</sup> محمد البشير الإبراهيمي، نفس المرجع، ص 217.

<sup>2</sup> ينظر: محمد يوسف نجم، نفس المرجع، ص 133.

<sup>3</sup> محمد البشير الإبراهيمي، نفس المرجع، ص 223.

<sup>4</sup> نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1990،



على الاستعمار وسياسته، وأعنف الحملات على الذين خانوا أمانة الإسلام والأوطان، ولولا ذلك القلم السيّال والفكر الجوّال والعزم الصوّال لكانت جريدة البصائر كبقية الجرائد.<sup>1</sup>

غير أنّ مقالاته الاجتماعية لم تتناول شؤون الجزائر فحسب، بل تجاوزتها لتعالج قضايا إنسانية متعدّدة، مثل ما يظهر في عناوين المقالات الآتية: «التعاون الاجتماعي، والإنسان أخو الإنسان، و الإنسانية آلامها واستغاثتها».<sup>2</sup> لتؤكد للخلف على التّزعة الإنسانية التي حبا الله بها شيخنا، فإذا بمقالاته الاجتماعية تمتدّ لتسع مشاكل الإنسانية، فيعالجها معالجة الجادّ النَّاصح الأمين ويهتمّ بها وكأنها مشكلات تخصّ أبناء وطنه.

## 2-الخطابة:

شهدت الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثّانية ازدهارا بيّنا في فن الخطابة، بفضل تبلور الأفكار السّياسية والإصلاحية، و إنشاء النوادي و الصّحافة، فانتعش هذا الفنّ بعد ركود لابس طويلا، و نما لاعتماد الخطباء عليه في تعميق المفاهيم الثّورية في أذهان النّاس، مدنيين أو عسكريين، وتقدّم هؤلاء الخطباء، الشّيخ عبد الحميد بن باديس الذي كان ركّز في خطبه على الدّين تارة، و على الإصلاح الاجتماعي و السّياسي تارة أخرى، و ظهر على أسلوبه بعض التّكلف<sup>3</sup>، وزاحمه

<sup>1</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، جم/وتق: أحمد طالب الإبراهيمي (1940-1952)، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997، ص27.

<sup>2</sup> محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج1، جم/وتق: أحمد طالب الإبراهيمي، (1929-1940)، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997، ص: من (50 إلى 62).

<sup>3</sup> ينظر المرجع السابق نفسه، ص25.

الإبراهيمي في هذا الفنّ، بل أبدع فيه وتجاوزته، حتى ذاع صيته، فأضحى رائد هذا الفنّ، وأظهر أركان الخطابة الجزائرية المفوّهين و المشهورين داخل الجزائر وخارجها؛ فقد كان «شديد العارضة، فصيحاً لسناً، ساعده على ذلك محصول من اللّغة وفير، وإلمام بالأمثال وبراعة في حسن إجرائها في مضاربها، ومعرفة عميقة بطرائق الكلام، والقدرة على التّصرف فيه».<sup>1</sup>

إنّ الميزة الغالبة على خطبه هي الارتجال، وهي خلة امتازت بها خطب العهد الجاهلي، وقد أكّد الجاحظ هذه الحقيقة بقوله: « وكلّ شيء للعرب فإتما هو بديهية وارتجال وكأنّه إلهام »<sup>2</sup>، وسبب ذلك أنّ الإبراهيمي كان دائم التّرحال، و هو ظرف حال بينه وبين تحضير الخطب، إلّا أنّ قدرته اللّامتناهية في الارتجال، و الخبرة الفائقة في إدارة الكلمة، مكّنته من إنشاء خطب تضارع الخطبة العربية في أوج قوّتها، وبذلك خدم الإبراهيمي الكلمة ولابسها عشرات السنين، معلماً، وواعظاً، وخطيباً، ينتزع مواضيع محاضراته وخطبه من وجوه الجمهور، فتتعدّد خطبه بتعدّد المناسبات.<sup>3</sup>

لقد تحدّث الإبراهيمي عن نفسه في هذا الشّأن فقال: «فإنّني أجد من السّهولة ومواتاة الكلام في مواقف الخطابة ما لا أجده في مواضع الكتابة، ثمّ جاءت العادة والمران فأحكما ذلك في طبعي، ومردّ ذلك في نفسي وفي حكمي إلى أنّني أجدني

<sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص 281.

<sup>2</sup> أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط6، 2000، ص: 395.

<sup>3</sup> ينظر محمد عباس، البشير الإبراهيمي، أدبياً، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، دط، ص 187.

في الخطابة مأخوذاً بالمغافصة، وهي لا تدع مجالاً للرؤية والتحكّيك وعرض الأساليب واختيار أحسنها، وقد يعين المرتجل على الارتجال شعوره بأن الارتجال مصحوب بالعذر، وأنّ صور الكلام وألفاظه أعراض تنقضي فلا يستطيع السامع أن يحاسب على دقائقها ولا تبقى من المحاضرة إلاّ الصورة الكلية المجملّة، وليست الكتابة كذلك..»<sup>1</sup>

كما تميّز - أيضاً - بخطابه الحماسي وصوته الجمهوري المؤثر، «فكان في خطابه يزار كأته أسد جريح، فكان ينتزع الوجل من أفئدة الهيايين، ويهيج في نفوسهم الحميّة لله ورسوله.»<sup>2</sup> معيدا بذلك للخطابة ألقها الذي تمتعت به في أزهى عصورها، وشهد بذلك عبد الرّحمان شيبان -رحمه الله- بقوله (كان خطيباً مصقّماً، يهزّ القلوب ببيان ساحر، يعيد للأذهان ما كان للخطابة العربية من سلطان في عهد قسّ بن ساعدة و سحبان.. أمّا أسلوبه في الكتابة فهو جاحظ عصره، وبديع زمانه، مما جعله بحقّ، معجزة من معجزات النّفاة العربية الإسلامية في القرن العشرين).<sup>3</sup>

طرقت خطب الإبراهيمي المناحي الدّينية و النّفاية والأدبية و الاجتماعية و السّياسية، لكنّها تميّزت بالنّشابه طريقة و أداء و أسلوباً، وبفضل رهافة حسّه،

<sup>1</sup> عبد الملك بومنجل، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، ط1، 2009، ص46.

<sup>2</sup> الشّيح محمد الغزالي، مع البشير الإبراهيمي في القاهرة، مقال بمجلة النّفاة، وزارة الثقافة و السياحة بالجزائر ، ع:87، 1985، ص96.

<sup>3</sup> عبد الرحمن شيبان ، الإمام الشّيح محمد البشير الإبراهيمي و اللغة العربية ، مقال بمجلة الثقافة ، ص73. و للتوسيع أكثر ينظر عبد الله الرّكبي ، تطور النثر الجزائري الحديث ، (1930-1974) ، الجزائر، دار نافع للطباعة ، ط ، دت ، ص30-31.

و سلامة ذوقه، ونباهة فكره تنوعت موضوعات خطبه، و تميّزت بالرسالية وسلامة المنهجية وجودة الصياغة، و براعة التصوير، وأظهرت المستوى العلمي العالي، الذي بلغه الإبراهيمي، على الرغم من الظروف الصعبة التي فرضها الاحتلال على مشاعل العلم الجزائريين، وفي مقدّمهم شيخنا - رحمه الله - الذي استطاع أن يتقلّت من هذه المعوّقات، ويساير الحركية العلمية آنذاك، و يبحر مع الذين أبحروا من العرب في بحر العلم والمعرفة، و ينافسهم، فأشادوا به، واعترفوا بمنزلته السامية في ميدان العلم والأدب.

#### أ - الخطبة الأدبية:

تعرف الخطبة الأدبية بأنها «لون من الخطابة في الأدب العربي الحديث، وهي تشمل الأدب والتاريخ والثقافة وما يتعلّق بها»<sup>1</sup> والمطلع على الخطب الإبراهيمية، سيجد العديد منها، ألقيت في مناسبات علمية وأدبية كبيرة، وعالجت قضايا الفكر بأسلوب رشيق، ومضمون أدبي وفكري معاصر، مستثمرة ما أمكن من خيارات أسلوبية، وألوان لغوية بديعة، بالغة الأثر في النفس، مستفيدة في ذلك من آثار الأقدمين والمعاصرين ؛ لذلك جاءت موشحة بوشاح فني بديع. ومن أبرز هذه الخطب : الخطبة التي ألقاها بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1961، باسم الأعضاء الجدد المعيّنين في المجمع.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ينظر: أنيس المقدسي، المرجع السابق نفسه، ص400.

<sup>2</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، جم/ وتق: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، (1954-1964)، ط 1، 1997، بيروت، ص : ( 292 إلى 295 ) .

## ب- الخطبة السياسية:

حفلت الآثار الإبراهيمية بخطب سياسية عديدة، لكونها اعتنت بشؤون السياسة وقضايا الأمة، والمعروف عن هذا النوع من الخطب أنه « يعنى بشؤون السياسة وقضايا الوطن والتي توجّه حكومة دولة ما وجهة معينة، سواء في علاقاتها الخارجية أو أعمالها الداخلية »<sup>1</sup>، كما تمّ توصيف هذا النوع من الخطب بأنه «مظهر من مظاهر حرية الأمة واستقلالها..فكلّما كانت أوفر..استقلالاً..كلّما انطلق لسانها يعبر عن مكنون الضمائر والمشاعر»<sup>2</sup>، وتعتبر المحافل البرلمانية والانتخابية والمؤتمرات السياسية أماكن خصبة لبروز هذا النوع من الخطب وانتشاره.<sup>3</sup>

ولعلّ أفضل ما يستشهد به في هذا المقام من خطبه، خطبته الشهيرة، التي ارتجلها أمام الوفود العربية والإسلامية في الأمم المتحدة بباريس في مساء الثلاثاء 29 جانفي 1952، في حفل أقامته جمعية العلماء على شرف هذه الوفود.<sup>4</sup> ملفتا انتباهها للمظالم التي اجترحتها فرنسا في المغرب العربي، وحملها مسؤولية الدفاع عنها تجسيدا لمعاني الأخوة الواجب الاستقواء بها في هذا الظرف العصيب.

<sup>1</sup> أنطوان القوال، فن الخطابة، كتاب القارئ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص45.

<sup>2</sup> محمود محمد عمارة، الخطابة بين النظرية والتطبيق، مكتبة الإيمان بالمنصورة، جامعة الأزهر، ط1، 1997، ص (243-244).

<sup>3</sup> ينظر: عبد الجليل عبده شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، ط3، 1987، ص 79.

<sup>4</sup> ينظر: أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، دار الغرب الإسلامي، (1940-1952)، بيروت، ط 1، 1997، ص (464 إلى 472).

## ج-الخطبة الدينية:

هي التي تعتمد على الدين وتستند في أغراضها عليه، وتعتبر خطب الجمعة أبرز هذه الخطب لإقبال الناس عليها أسبوعياً؛ لاتجاهها «بالإنسان إلى السماء حيث تربطه الخطب الأخرى إلى الأرض، وتسمو به إلى المعنويات حين تهبط به الخطب الأخرى إلى الماديات والغرض بين الاتجاهين بعيد جداً»<sup>1</sup> والمقاصد المستهدفة في هذا النوع من الخطب هي «استمالة النفوس إلى ما يريد منها بإثارة عواطفها، وأن ذلك يكون بمعرفة الأهواء، وطرق تهيجها أو تسكينها»<sup>2</sup>.

إنّ القارئ للخطب الدينية الإبراهيمية يدرك أنّها لا تقف عند الخطب المسجدية، بل تتعدّها إلى أشكال خطابية أخرى أقيت في مناسبات متنوّعة، مثل الخطبة التي ألقاها في حفلة تكريمية لابن باديس بمناسبة اختتامه تفسير القرآن الكريم، أو تلك التي ألقاها بمناسبة المولد النبوي الشريف، وبفضل هذا التنوع الأسلوبي والموضوعاتي في الخطب الإبراهيمية بعثت الخطابة في الجزائر من جديد في أسلوبها الرشيّق، و مضمونها المعاصر، لتعيد للأسلوب العربي مكانته في الأدب الجزائري الحديث.

3- الرسالة:

يعدّ فنّ الرسائل شكلاً من أشكال النثر في الأدب العربي، وكان البلاغيون القدامى قلّما يميّزون بينه وبين الخطابة، وقد أكدّ أبو هلال العسكري هذا الأمر بقوله: «و اعلم أنّ الرسائل والخطب متشاكلتان في أنّهما كلام لا يلحقه وزن ولا

<sup>1</sup> عبد الجليل عبده شلبي ، نفس المرجع ،ص 110.

<sup>2</sup> الشيخ علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار النصر للطباعة ، مصر، د ط، د ت ، ص45.

تقفية..وقد تتشاكلان أيضا من جهة الألفاظ والفواصل..و لا فرق بينهما إلا في أنّ الخطبة يشافه بها. والرّسالة يكتب بها، والرّسالة تجعل خطبة، والخطبة تجعل رسالة في أيسر كلفة»<sup>1</sup>، لكن رغم هذا التشاكل بينهما إلا أنّ الباحثين قد حدّدوا لكلّ جنس منهما ملامحه التي تميّزه عن غيره. فعرفوا المراسلة بأنّها: «مخاطبة الغائب بلسان القلم، وفائدتها أوسع من أن تحصر من أنّها ترجمان الجنان، ونائب الغائب في قضاء أوطاره، ورباط الوداد مع تباعد البلاد»<sup>2</sup>.

وكما لم تخل ساحة الأدب العربي من فنّ التّرسّل فقد حفلت الآثار الإبراهيمية به أيضا، على الرّغم من الضيّاع الذي مسّ معظمها، والمتتبع لها يلاحظ انشطارها إلى نوعين بارزين- تبعا للتّصنيف القديم- وهما: الرّسائل الإدارية والرّسائل الإخوانية، وتتّصف الأولى ببعدها عن الأدبية، وافتقارها إلى الأسلوب الفنّي الجميل، ومن جملة ما كتب الشّيخ في هذا النّوع:-رسالة بعنوان:كتاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية<sup>3</sup>، وأخرى بذات العنوان موجّهة لوزير داخلية،<sup>4</sup>

<sup>1</sup> أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تص: السيد محمد أمين الخانجي ، مطبعة: محمود بك، الأستانة، ط1، ، دت، ص 102 .

<sup>2</sup> السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج1،، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ط 27 ، 1969 ، ص44 .

<sup>3</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج 3 ، جم/وتق: أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي، (1947- 1952)، ط 1، 1997، بيروت، ص:91إلى94 .

<sup>4</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2،ص154/155.

ورسالة تحت عنوان:رسالة إلى إدارة البريد للسلطة الفرنسية في الجزائر<sup>1</sup>، ورسالة إلى حاكم باكستان.<sup>2</sup>

أمّا الرّسالة الإخوانية أو الأدبية فهي « التي تصوّر عواطف الأفراد و مشاعرهم، من رغبة ورهبة ومن مديح وهجاء ومن عتاب واعتذار واستعطاف، ومن تهنئة واستمناح ورتاء أو تعزية »<sup>3</sup>، وقد نبغ في هذا الجنس الفنّي من الأدباء العرب الجاحظ والهمذاني، وابن عبّاد وابن العميد في العصر العبّاسي، غير أنّ بعض رجال القرن الرّابع لشدة افتتانهم بجودة مكاتبات عبد الحميد الكاتب وابن العميد، وتوسّعهما في مختلف العلوم راحوا يقولون:«بدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد»<sup>4</sup>.

بمجيء العصر الحديث بزغ بالجزائر نجم في هذا الفنّ، معيدا إليه ألقه وسلطانه، إنّه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الذي استطاع «بما عهد فيه من جمال في التّعبير، وقوّة في التّفكير، وموهبة في التّصوير، وبراعته في الكتابة الأدبية بوجه عام أن يمنح هذا الفنّ قيمته، ويبوئه مكانته في الجزائر، فينطلق به من لاشيء إلى منزلة حسنة، فيرفع بذلك رأس النثر الأدبي في الجزائر إلى السّماء في شيء من الاعتزاز والافتخار»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص186 إلى 188.

<sup>2</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص70.

<sup>3</sup> شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ، -العصر العبّاسي الأول- ج3، دار المعارف ط8،، دت، ص491.

<sup>4</sup> أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج1، تح: مفيد محمد قميحة ، دار

الكتب العلمية، لبنان، ط1983، 1، ص183

<sup>5</sup> عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص309-310.



إنّ هذه الرسائل على قلّتها بدت متأقّة بالتّصوير الفنّي الجميل، والمشاعر المرهفة، ويتجلّى ذلك بوضوح في رسالة له مفعمة با لتّحايا، ومشبعة بالعواطف الدّفاقة، والمشاعر الجيّاشة، وجّهها من مصر إلى إخوانه بالجزائر، وعنونها ب: تحية غائب كالآيب.<sup>1</sup> كما تعكس جمالية الرسائل الإبراهيمية رسالته الرّثائية التي أبكت العيون، وجدّدت الأسي، المدوّنة بمنفاه بأفلو، والموسومة ب: "مناجاة مبتورة لدواعي الضّرورة"، والتي رثى فيها أخاه في الإسلام، ورفيق دربه في الجهاد، وقسيمه في العلم و العمل، الشّيخ عبد الحميد بن باديس-رحمه الله- في الذّكرى الأولى من وفاته<sup>2</sup>، وقد ألبس الإبراهيمي هذه الرّسالة ثوب المقامة حينما زخرف أسلوبها بالسّجع، « جرياناً مع نهج الكتابة في المقامات التي ابتكرها بديع الزّمان الهمذاني في نحو سنة خمس وثمانين وثلاثمائة للهجرة، في أرجح الوثائق التّاريخية التي بين يدينا حول هذا الفنّ»<sup>3</sup>

كما كتب -رحمه الله - رسائل أخرى، تتضح بالعلمية والأدبية، مثل التي بعث بها من منفاه بأفلو إلى تلميذه الأستاذ أحمد بن أبي قصبية في مدينة الأغواط بعد أن أهدى هذا الأخير ضبّا محتطاً لنجله أحمد في نوفمبر 1940، و عنون هذه الرّسالة ب: "رسالة الظّب"<sup>4</sup>، وهي رسالة يمكن وسمها بسمّة العلمية، نظراً للكمّ المعرفي الهائل، الذي تعرّضت له في مسائل أدبية ولغوية ونحوية وعلمية، تتّصل

<sup>1</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص:181.

<sup>2</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص:53.

<sup>3</sup> عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص: 128.

<sup>4</sup> - محمد البشير الإبراهيمي، نفس المرجع، ص: 40.

بعالم الصحراء و الحيوان والكون، وعالم النّبات والطّير والكائنات المختلفة الأخرى، مقدّمة شخصية الإبراهيمي للقراء كعالم موسوعي واسع العلم والفكر<sup>1</sup>. هكذا إذن بعث الإبراهيمي هذا الفنّ، بعدما كاد يموت، ووثب به « إلى قمّة الفنون الجميلة، فمنحه أصالته العربية، بما فيها من جمال وخيال و بيان، وخلصه من تلك الرّكافة الفظيعة التي كانت تخيم عليه إلى نهاية العقد الرابع من هذا القرن»<sup>2</sup>

#### 4- أدب الرّحلة وأدب السّيرة:

أدب الرّحلة وأدب السّيرة الذاتيّة صنوان، لأنّ الكاتب والرّحالة والرّاي ما هما في الواقع سوى شخصية واحدة تبدأ مغامرتها برحيل لا بميلاد، مستهدفة تحقيق الرّهان المرسوم سلفاً وهو الرّجوع إلى نقطة الانطلاق، فعودة ابن بطوطة- مثلا - إلى مسقط رأسه في نهاية رحلته هي تحقيق لذلك الرّهان، ويمكن للمسرد في أدب الرّحلة أن يتسرّب بعدة أشكال فنية كاليوميات، أو الرّسائل، أو المذكرات، أو ذكريات سائح.

تظهر « القيمة الأدبية للرّحلات- فيما يقول حسني محمود حسين في ما تعرّض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفنّي- وإذا كان أبرز ما يميّز أدب الرّحلات تتوّع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف وغيره، فإنّ أبرز ما يميّزه أسلوب الكتابة القصصي، المعتمد على السرد المشوّق بما يقدّمه من متعة ذهنية كبرى، ممّا حدا

<sup>1</sup> نفسه، ص(40 إلى 52) .

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض، نفس المرجع، ص314.

بشوقي ضيف إلى اعتبار أدب الرحلة عند العرب خير ردّ على التّهمة التي طالما اتّهم بها الأدب العربي، تهمة قصوره في فنّ القصة<sup>1</sup>.

كان للشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحلات كثيرة داخلية وخارجية، ويبدو من بعض مذكراته التي نشرت أنّ أسلوبه يمتاز إلى حد كبير بما عرف عنه من عناية بالصياغة والبيان والجمال الأدبي، ومن الرحلات التي سجّل أحداثها -إجمالاً- وتفصيلاً -رحلته إلى بلدان العالم الإسلامي<sup>2</sup>، والتي أبرز فيها دوافع زيارته والمحطّات التي مرّت بها، كما وصف شبابها ورجالاتها وعلماءها ولغاتها، وبين أثر الاختلاف اللغوي على العملية التّواصلية بينها وبينه.

أمّا فيما يخصّ أدب السيرة الذاتية، أو ما ينعت بالتّراجم الشّخصية فهو «فنّ حديث من فنون الأدب، انفصل عن علم التّاريخ، ودخل عالم الأدب من باب الطّاقة الشعورية التي يبتّها الأديب في موضوعه، والقيم التي يضمّنّها تعبيره»<sup>3</sup> فإنّ الشيخ البشير الإبراهيمي لم يؤلّف أيّ كتاب أدبي فيها، غير أنّ القارئ لمقالته يجد هذا الجنس الأدبي ماثلاً في بعضها، وأبرز مقال ظهر فيه هذا الفنّ الأدبي بقوّة هو ذلك الذي بعث به من مصر إلى إخوانه بالجزائر، بعنوان: (تحيّة غائب كالآيب)<sup>4</sup> وتحدّث فيه كثيراً عن ذاته، وذكرياته ومشاعره ومدى تعلقه بوطنه، وكذلك المقال الذي كتبه عن معهد عبد الحميد بن باديس، بعنوان: معهد

<sup>1</sup> فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدراسات العربية، القاهرة، ط2، 2002، ص23-24.

<sup>2</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص(من23إلى54).

<sup>3</sup> سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، ط8، 2003، ص102.

<sup>4</sup> نفسه، ص(180إلى185).

عبد الحميد بن باديس ما له وما عليه.<sup>1</sup> حيث تحدّث فيه عن ذاته، و أبرز الجهود الجبّارة التي كان يقوم بها فيه لنشر العلم والوعي وتنوير العقول، وبسبب هيمنة الحديث عن الذات، في حال فرحها أو حزنها، وسكونها واضطرابها، وفي حال تعلّقها بأحبال الأمانى التي تتكسر أحيانا، وتتحقّق أحيانا أخرى، استحالت هذه المقالات وما حذا حذوها إلى سير أدبية ذاتية.

### 5-الخاطرة:

الخاطرة من الأنواع الأدبية النثرية الحديثة التي نشأت في حجر الصحافة وهي عبارة عن فكرة عارضة طارئة يعتمدها عدم النّضج، أو هي مجرد لمحة حول موضوع معيّن، لا تتجاوز كثيرا نصف عمود في الصحيفة، وعمود في المجلّة، و هي لا تحتاج إلى الأسانيد القوية لإثبات صدقها، بل هي أقرب إلى الطّابع الغنائي، لذلك كانت أحوج ما تكون إلى كاتب ذكي، قويّ الملاحظة، يقظ الوجدان.<sup>2</sup>

والخواطر الإبراهيمية أبعد ما تكون عن القصيدة الشعريّة الغنائية، نظراً لهيمنة الرّوح الموضوعية عليها، فبعد تعيين الشّيخ القضية أو الفكرة التي يروم بحثها، يروح يلهبها شرحاً و نقداً، مهما كان مشربها الذي استوردها منه، فقد يكون المشرب عقلياً أدبياً، وقد يكون فكرياً أو سياسياً أو غير ذلك.

ولو أمعنا النظر في آثاره لوجدنا هذه الخواطر قد وشّحت هذه الآثار، بتأثّقها الأسلوبية، ومضمونها الموضوعية، ومن الخواطر التي تشدّ الانتباه، بعنوانها

<sup>1</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص(214 إلى 223).

<sup>2</sup> ينظر: عزالدين إسماعيل، الأدب وفنونه-دراسة ونقد-، دار الفكر العربي، القاهرة، ط9، 2004، ص168.

وطريقة طرحها، ما أسماه: كلمات مظلومة،<sup>1</sup> وذوق صحفي بارد،<sup>2</sup> والخطابة والتّمثيل.<sup>3</sup>

والخواطر المتعلقة بالكلمات المظلومة عدّة، نذكر منها: العدل-الكلية-الاستعمار-الديمقراطية، وحولها قال الإبراهيمي (إنّ ظلم الكلمات بتغيير دلالتها كظلم الأحياء بتشويه خلقهم، كلاهما منكر، وكلاهما قبيح، وإنّ هذا النوع من الظلم يزيد على القبح بأنّه تزوير على الحقيقة، وتغليط للتاريخ، وتضليل للسامعين).<sup>4</sup>

أمّا خاطرة " ذوق صحفي بارد "فهي - على قصرها - صوّرت انفعال الإبراهيمي وتوتّره من المعالجة الصحفية للقضية الفلسطينية، التي أساءت لها- في نظره- حينما وصفتها بالشّهيدة، وانتقد العشوائية الصحفية في اختيار الكلمات عند تناول القضايا الكبيرة.

وفيما يخصّ خاطرة "الخطابة والتّمثيل" فقد تناول الشّيخ فيها موضوعاً أدبياً، لا لدراسته وإنّما لإبراز رسالتها ووظيفتها في المجتمع الإنساني ككلّ، فالهدف المنشود من الخطبة والتّمثيل هو توعية المجتمع وتهذيب أخلاقه. وعلى هذا الأساس يمكن القول أنّ الخاطرة الإبراهيمية تتفاعل مع قضايا المجتمع المختلفة بكلّ موضوعية وأمانة.

<sup>1</sup> محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، جم/ وتق: أحمد طالب الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص(581 إلى 585).

<sup>2</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص199.

<sup>3</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ص67.

<sup>4</sup> عيون البصائر، ص581.

2- الشعر:

تزخر الآثار الإبراهيمية زيادة على أشكال النثر المختلفة بالشعر أيضا، فقد كتب الشيخ في الرجز و القريض أو القصيد أيضا، « وقد خصّ الناس باسم الرجز المشطور والمنهوك وما جرى مجراهما، وباسم القصيد ما طالت أبياته.» قال النحاس: القريض عند أهل اللغة العربية الشعر الذي ليس برجز<sup>1</sup>. لكن ميله إلى بحر الرجز كان أبين، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى طواعية هذا البحر، و ملاءمته لذوي التأقّ اللفظي والجرس الموسيقي، الذي يتفنّن الإبراهيمي في استخدامه، وهذا الشكل من النظم « هو أسهل أنواع الشعر وزنا، وأقلّها تكلفاً. و لعلّه أوّل مرحلة من مراحل الشعر؛ ولهذا استهان بمكانته عدد من النقاد القدماء، حتى جعله المعري أخفض طبقة من الشعر، فقال فيه شعراً:

و من لم ينل في القول رتبة شاعر ----- تقنّع في نظم برتبة راجز<sup>2</sup>

بيد أنّ القصيد تطوّر بسرعة، «فيما ظلّ الرجز مقيداً باللّهجات، وهذا ما جعل النّحاة في الغالب لا يناقشون شعرية الرجز في مجال الاستشهاد، فجعلوه إلى جانب القصيد في الاحتجاج، وحتى لما خضع الرجز لتحوّلات شكلية وموضوعية عميقة بحيث وظّف في مختلف موضوعات القصيد وأخذ شكله من حيث الطول وترتيب

<sup>1</sup>: أبو علي الحسن بن رشيق، القيرواني، العمدة في محاسن الشعر و آدابه، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجبل للنشر، ط5، 1981 ص : 184.

<sup>2</sup> محمد التّونجي، المعجم المفصّل في الأدب، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1999، ص474.

بناء الأغراض، ظلّت صفاته القديمة مستمرة، ممّا لم يوسّع من دوائر تقبّله وانتشاره.<sup>1</sup>

غير أنّ الإبراهيمي لم يبال بانتقاد المنتقدين، و لا بمن وسم الرّجز بأنّه مطية العاجزين، فاندفع نحو هذا البحر ليستأنس به، و يفجّر طاقاته اللّغوية فيه، ويعرب من خلاله عن مشاعره المكنونة، ولعلّه وجده أكثر تناسباً مع الأسجاع التي تحلّت بها آثاره، وكأنيّ به يردّد ما قال شوقي في هذا النوع الشعري في إحدى أراجيزه:<sup>2</sup>

واخترت بحرا وا سعا من الرّجز ----- قد زعموه مركبا لمن عجز  
يرون رأياً وأرى خلافة ----- الكأس لا تقوّم السّلافة<sup>3</sup>

ويدافع التّأثر بأرجوزة أحمد شوقي المعنونة ب: "دول العرب وعظماء الإسلام" وبغيره من الرّجاز المشهورين من أمثال ابن الخطيب، راح الإبراهيمي ينظم أرجوزته الشعريّة الضّخمة، التي قال عنها: « ولكنّ أعظم ما دونت ملحمة رجزية نظمتها في السّنين التي كنت فيها مبعدا في الصّحراء الوهرانية، وهي تبلغ ستّة وثلاثين ألف بيت من الرّجز السّلس اللّزومي في كلّ بيت منه، وقد تضمّنت فنونا من المواضيع: تاريخ الإسلام ووصف لكثير من الفرق التي حدثت في عصرنا هذا، وللمجتمع الجزائري بجميع فرقه ونحله، ولأفانين في الهزل للمذاهب الاجتماعيّة والفكرية والسياسية المستجدة، والإنحاء عن الابتداع في الدّين،

<sup>1</sup> رشيد يحيوي، الشعريّة العربيّة (الأنواع والأغراض)، إفريقيا الشّرق، ط1، 1991، ص:24.

<sup>2</sup> أحمد شوقي بك، دول العرب وعظماء الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 1970، ص:6.

<sup>3</sup> بنظر: ابن منظور، لسان العرب، مج3، ج 17، مادة سلف: سلافة الخمر: أول ما يعصر منها، وقيل: أفضلها وأخلصها، وقيل أيضا: هي كلّ شيء عصر. ص: 2069.

وتصوير لأولياء الشيطان، ومحاورات أدبية رائعة بينهم وبين الشيطان، ووصف للاستعمار ومكائده وفسائسه وحيله، وتحذيراته للشعوب للقضاء على مقوماتها»<sup>1</sup>.  
 و يفاخر الإبراهيمي بحسن نظمه، وروعة أرجوزته بقوله: « ولم أقرأ للرجّاز رجزا سلسا يلتحق بالشعر الفتي مثل هذه الملحمة إلا لابن الخطيب في نظم الدول، ولشوقي في رجز دول العرب وعظماء الإسلام، ولبعض الشناقطة»<sup>2</sup>، كما راح يدافع عن بحر الرجز الذي اختاره بقوله: « وأنا أعتبره بحرا كبقية بحور الشعر العربي يرتفع به أقوام وينخفض آخرون، و لمهيار الديلمي<sup>3</sup> قصائد كثيرة من مسلسلاته من وزن هذا البحر، ولم يقعد بها عن الإجابة أنّها من الرجز»<sup>4</sup>.  
 وهكذا يفصح الإبراهيمي عن المقياس الذي يجب أن توزن به الأعمال الفنية، لتصنّف في جيد النظم أو رديئه، فيلمح إلى أنّ الأدبية أو ما يسمى بالشعرية، هي الميزان الذي يرتفع به أيّ نظم وبدونه ينحط. ولعلّ ما جعل المعري - في تقدير الإبراهيمي - يعدّ الرجز من أخطّ أنواع القريض تلك المتون العلمية الباردة البعيدة عن الإبداع الفني، والخالية من الإشراق والروعة، المجافية للأدبية والمفتقرة إلى الجرس الموسيقي المؤثر، التي تمّ نظمها على هذا البحر.

<sup>1</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص: 289-290.

<sup>2</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص: 289.

<sup>3</sup> مهيار الديلمي بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي الشاعر المشهور، كان مجوسيا فأسلم، ويقال أن إسلامه كان على يد الشريف الرضي أبي الحسن محمد الموسوي، وعليه تخرج في نظم الشعر، وكان شاعرا جزل القول، مقدما على أهل وقته، وله ديوان شعر كبير .

ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج 5، تح: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ص359.

<sup>4</sup> محمد البشير الإبراهيمي، نفس المرجع السابق، ص: 290.



قطوف من إنتاجه الشعري:1- إلى علماء نجد (أرجوزة) <sup>1</sup>

قال رحمه الله- مخاطبا علماء نجد:

1. إنا إذا ما ليل نجد عسعسا ---- وغربت هذي الجواري خنّسا
2. والصّبح عن ضيائه تنفّسا ----- قمنا نوّديّ الواجب المقدّسا
3. ونقطع اليوم نناجي الطّرسا --- وننتحي بعد العشاء مجلسا
4. موطّدا على التّقى مؤسّسا ----- في شيخة حديثهم يجلو الأسي

2- تعليم البنت (أرجوزة) <sup>2</sup>

1. قد كنت في جنّ النّشاط والأشر ----- كأنتني خرجت عن طور البشر
2. إنّ فضول القول جزء من سقر ----- فلا أقول في أخي ليثّ خطر
3. ولا يقول إنني غيث قطر ----- وإنّما هي عظام وعبر
4. كتمانها غبن وغشّ وضرر ----- لا تتس حوا إنّها أخت الذّكر
5. تحمل ما يحمل من خير وشرّ ----- تثمر ما يثمر من حلو ومرّ
6. وإنّها إن أهملت كان الخطر --- كان البلا كان الفنا كان الضرر
7. و منعها من الكتاب والنّظر ----- لم تأت فيه آية و لا خبر

3- أرجوزة هزلية حول الرّؤساء والرّئاسة والحكّام، ما لهم وما عليهم بعنوان:رواية الثلاثة. <sup>3</sup>

1. أعطوا الرّئاسة حقّها ----- أعطوا الرّئاسة حقّها
2. تعس امرؤ قد عقّها ----- إنّ العقوق مزلة
3. والغرّ يبغي محقّها ----- الحرّ يعلي شأنها

<sup>1</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص126.<sup>2</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص:131.<sup>3</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص(59 إلى 102).

4. ما القول فيمن حطّها----- ما القول فيمن دقّها؟

5. أو هدّها أو قطّها----- أو شجّها أو شقّها

قصيدة شعرية أهداها إلى حماة العروبة بالمغرب الأقصى بعنوان: سكت وقلت..<sup>1</sup>

1. سكتُ، فقالوا: هدنة من مسالم----- وقلت، فقالوا: ثورة من محارب
  2. وبين اختلاف النطق والسكت للنهي----- مجال ظنون، واشتباه مسارب
  3. وما أنا إلاّ البحر يلقاك ساكنا----- ويلقاك جيّاشا مهول الغوارب
  4. وما في سكون البحر منجاة راسب----- ولا في ارتجاج البحر عصمة سارب
- إنّ المتتبع للآثار الإبراهيمية يلحظ أنّ إنتاجه النثري أكبر بكثير من إنتاجه الشعري، كما يلحظ أيضا أنّ ما نظم في الرجز يتجاوز نظمه في القصيد، نظرا لتمييز الأسلوب الإبراهيمي بظاهرة أسلوبية بديعة، هي ظاهرة السجع، الذي جنّده بسلاسة، و بمهارة فائقة في مختلف كتاباته، فانقادت له اللّغة طائعة، فألبسها أزياء بديعة، و وشّحها بأوشحة فانتة، أنبأت عن كفاءة عالية، يتمنّع بها في مجال الكتابة الإبداعية.

ولعلّ اتّصاف الإنتاج الأدبي الذي خلفه الإبراهيمي بخصوصية دلالية وجمالية ومعجمية هو الذي أهّله - في تقديري وفي نظر العديد من الدارسين - لأن يكون ميدانا ملائما لتطبيقات الأسلوبية وإجراءاتها في مختلف المستويات اللغوية، وبما أنّ الصّوت اللغوي هو أصغر الوحدات اللغوية، وجدّثني أفتتح الدّراسة التّطبيقية لآثار البشير الإبراهيمي بالمستوى الصّوتي.

<sup>1</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص426-427.

# الفصل الأول

## المستويات الأسلوبية الصوتية في أدب البشير الإبراهيمي

الصّوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها. فقد أثبت علماء الصّوت بتجارب لا يتطرق إليها الشك أنّ كلّ صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتزّ؛ على أنّ تلك الهزّات قد لا تدرك بالعين في بعض الحالات.

إبراهيم أنيس: الأصوات اللّغوية، ص: 1

## المباحث

المبحث الأول: المستوى الصوتي.

المبحث الثاني: دراسة صوتية لمقال "ذكرى 8 ماي 1945"

المبحث الثالث: دراسة صوتية لأول خطبة جمعة بعد الاستقلال

المبحث الرابع: دراسة صوتية لرسالة إبراهيمية بعنوان:

تحية غائب كالآيب.

المبحث الأول: المستوى الصوتي.

تخزن اللغة العربية بين طياتها مخزونا فنياً رائعاً، يتمثل في منظومة من الرموز والمقاطع الصوتية الموسومة بالتناغم وقوة الجذب، وجودة النظام والتنسيق، اصطلاح الناس عليها بغية تحقيق التواصل و التفاهم فيما بينهم، وقد أكد العقاد هذه الحقيقة بقوله: « إن اللغة العربية لغة شاعرة؛ لأنها بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية، فهي في جملتها فنّ منظوم منسق الأوزان والأصوات، لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء.<sup>1</sup> لذلك اعتبر العرب البحث الصوتي نواةً للبحث اللغوي الشامل؛ ومستوى من مستويات اللغة؛ بل كان العنصر الصوتي هو من أهم ركائز تعريف اللغة عندهم؛ ودليل ذلك تعريفهم لها بأنها «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»<sup>2</sup>.

فاللغة إذن عبارة عن تشكيل صوتي متسلسل مركب من أصوات متتابعة، و ينتج عن تركيبها بنى صرفية، تحمل معاني معجمية، «وهذه الأصوات المتتالية تنقسم إلى قسمين، هما: الأصوات الصامتة (الحروف)، والأصوات الصائتة ( الحركات)، وتشمل على ما يعرف في العربية بالمدّ، لأنّ المدود حركات مشبعة، وأصول الكلمات في اللغات السامية تتألف في الغالب من ثلاثة صوامت»<sup>3</sup>. وهذا الأصل لا يمكن النطق به بدون الصوائت، وهو ما أكد عليه سيبويه بقوله: «

<sup>1</sup> عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، دط ، 1995، ص8.

<sup>2</sup> أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج1، تح: محمد علي النجار ، المكتبة العلمية، دط ، دت ، ص33.

<sup>3</sup> سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي، دراسة صوتية تحليلية لحرف الإعراب وحركته في اللغة العربية ، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط1 ، 1996، ص10.

وزعم الخليل أنّ الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهنّ يلحقن الحرف ليوصلن إلى التّكلم به»<sup>1</sup>.

نظرا لكون المنظومة اللّغوية منظومة مركّبة فقد أجمع الباحثون اللّغويون على أنّ تحليل هذا النّظام اللّغوي و دراسته يجب أن يخضع إلى أربعة مستويات للتمكّن من استجلاء الظّاهرة اللّغوية وتفسيرها. وهذه المستويات هي: المستوى الصّوتي والمستوى الصّرفي والمستوى التركيبي والمستوى الدّلالي، وتتواشج هذه المستويات ببعضها بعضا بعلاقات عضوية لا تكاد تنفصم، وإنّما تمّ تقسيم البحث في الظّاهرة اللّغوية بهذا الشّكل لتسهيل البحث وتيسير الفهم لا غير، أمّا نظام اللّغة فهو كلّ متكامل ومتجانس ومتعاقد، تتداخل فيه كلّ هذه المستويات.

لما كان الصّوت المفرد يمثّل « حدّ التّحليل اللّغوي ونهايته و أصغر قطعة في التّحليل اللّغوي »<sup>2</sup>، وأصغر وحدات اللّغة، وقاعدتها الأساسية، فقد اعتبرته الدّراسات الحديثة منطلق كلّ دراسة لغوية مهما كان نوعها، باعتباره «مظهر الانفعال النّفسي، وأنّ هذا الانفعال بطبيعته إنّما هو سبب في تنويع الصّوت، بما يخرج فيه مدّاً أو غنة أو لينا أو شدّة، و بما يهيئ له من الحركات في اضطرابه وتتابعه على مقادير تتاسب ما في النّفس من أصولها»<sup>3</sup>. كما أبرزت الجوانب التي يجب أن يتناولها الباحث اللّغوي في الدّراسة الصّوتية (المستوى الصوتي)، فإن كان يدرس الأصوات اللّغوية من دون النّظر إلى وظائفها، بل يحلّل الأصوات

<sup>1</sup> سيويوه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب، ج 4، تح/ وشر: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1982، ص: 241-242.

<sup>2</sup> خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبه للنشر، الجزائر، دط، 2000، ص43.

<sup>3</sup> مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 2005، ص149.

الكلامية ويصنّفها مهتمّاً بكيفية إنتاجها وانتقالها و استقبالها، وبيان مخرج كلّ صوت وطريقة نطقه وصفة الصّوت، وذلك دون ربطه بالمعنى، أي يتناول الأصوات على أنّها وحدات صوتية مجرّدة منعزلة عن سياقها فإنّ علماء اللّغة يطلقون عليه اسم علم الأصوات العامّ Phonétique، أو علم الأصوات النّطقي.

أمّا إن كان يدرسها باعتبارها وحدة في نسق صوتي، حيث يربط بين الأصوات والمعاني، فيبين وظيفتها وإنتاجها في الجهاز النّطقي وخصائصها الفيزيائية، فإنّهم يطلقون عليه اسم علم الأصوات الوظيفي Phonologie، أو علم التّشكيل الصّوتي. وإن كان يهتمّ بدراسة التّغيّرات التّاريخية في الأصوات عبر تاريخ اللّغة، فإنّهم يطلقون عليه اسم علم الأصوات التّاريخي: Phonétique Diachronique أو historique Phonétique.<sup>1</sup>

### وصف جهاز النّطق:

حدّد الدّارسون المحدثون جهاز النّطق بدءاً من الرّئتين وانتهاء بالشفّتين، وميّزوا بين أعضاء النّطق الثّابتة والأعضاء المتحرّكة.<sup>2</sup> فأما الثّابت منها فهو: الأسنان العليا والثّلة والغار والجدار الخلفي للحلق. و أما المتحرّك منها فهما الشّفّتان واللّسان والفكّ السفلي والطّبق واللّهاة والحنجرة والوتران الصّوتيان والرّئتان.<sup>3</sup> وبهذا

<sup>1</sup> - ينظر: عبدالقادر أبو شريفة، وحسين لافي، و داود غطاشة، علم الدلالة والمعجم العربي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1989، ص12.

وينظر أيضاً: ماريو باي، أسس علم اللّغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998، ص: (47).

<sup>2</sup> ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1992، ص: (من 16 إلى 19). كما ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008، ص: 78.

<sup>3</sup> ينظر: فردينان دي سوسير، علم اللّغة العام، تر: يونيل يوسف عزيز، مراجعة، مالك يوسف المطليبي، دار آفاق عربية، بغداد، ط1، 1985، ص (59 إلى 61).

الشكل تبدو عملية النطق عملية مركبة، لا تتم إلا بتكامل عدة عمليات، لتبدأ بعملية الزفير، الذي يمرّ عبر ممرّ الحنجرة والشفتين والأنف، وفي هذه الأثناء يقوم اللسان ثم اللهاة ثم الوتران الصوتيان باعتراض الهواء الخارج بكيفيات مختلفة، « وحسب طريقة الانغلاق، ومكان المخرج، وصفة التأدية، تصنّف الصّوامت إلى انفجارية ومستمرّة، إلى مجهورة ومهموسة، إلى خيشومية وفموية الخ.»<sup>1</sup>

فالصّوت اللّغوي إذن ظاهرة يتقاسمها عنصران، أحدهما فيزيولوجي عضوي سمّاه اللّغويون المخرج، والآخر فيزيائي نفسي، يعرف بالصّفة، والعنصران معاً متلازمان، ولا غنى لأحدهما عن الآخر في حدوث الظاهرة الصوتية اللّغوية،<sup>2</sup> إلا أنّ معرفة المخرج هو الأساس، لأنّه بمنزلة الوزن والمقدار، ومعرفة الصّفة بمنزلة المحكّ والمعيار، ومن هنا جاء اشتقاقهم ألقاب الحروف من مخرجها لا من صفاتها. فكل مجموعة من الحروف تشترك في لقب واحد، لتقاربها في المخرج.<sup>3</sup> وقد صنّفت هذه المخارج إلى أربعة أحياز، وجاءت على النحو التّالي:

1- **حيز الشّفتين:** يضمّ حرف الباء والواو والميم، وتتنطق بضم الشّفتين معاً، ونضيف إليها للتبسيط الفاء التي هي في الواقع شفوية أسنانية (أي تنطق بوضع الأسنان العليا على الشّفة السفلى).

<sup>1</sup> مصطفى حركات، نظرية الإيقاع، الشعر العربي بين اللغة والموسيقى، دار الآفاق للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2008، ص63.

<sup>2</sup> مكي درار، المجلد في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب للنشر والتوزيع، ط2، 2006، ص49-50.

<sup>3</sup> صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2009، ص: 277-278. وينظر

أيضاً: رمضان عبد التّواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، القاهرة،

ط3، 1997، ص:36.



## 2- حيز الأسنان: يضمّ مجموعتين:

\*حروف ما بين الأسنان: تنطق بوضع طرف اللسان بين الأسنان وحروفه هي التاء والذال والظاء.

\*الحروف الأسنانية:تنطق بوضع طرف اللسان على الأسنان العليا أو على مغار زها، وحروفه هي: التاء والذال والطاء والنون واللام والراء والضاد والسين والصاد والزاي.

## 3- حيز الحنك: وهو سقف الفم يضمّ مجموعتين:

\*حروف الحنك الصلب أو الحروف الحنكية:تنطق بضمّ مقدم اللسان إلى مقدم الحنك،وهي: الشين والجيم والياء والكاف.

\*حروف الحنك الرخو أو الحروف اللّهوية:تنطق بضمّ ظهر اللسان إلى اللّهاء وحروفه هي: الخاء والغين والقاف.

## 4- حيز الحلق: يضمّ الحروف الحلقية التي تنطق بانقباض الحلق وضيقة

وهي:حاء والعين والهاء والهمزة،مع ملاحظة أنّ الحرفين الأوليين من أدنى الحلق والثالث والرابع من أقصى الحلق عند رأس قصبّة الرئة إذ تحدث الهاء بانقباض رأس القصبّة، وتحدث الهمزة بانغلاق رأس القصبّة و انفتاحه السريع<sup>1</sup>.

وبناء عليه يمكن القول إنّ تكوّن الصّوت اللّغوي يخضع لثلاثة شروط أساسية، هي: «\* وجود عمود هواء متحرّك.\* وجود ممرّ مغلق.\* إيقاف أو اعتراض مؤقت لحركة عمود الهواء<sup>2</sup>». فلا صوت يعلو ويصدح مالم تتضافر هذه العوامل الثلاثة لتوليدده أو إنتاجه.

<sup>1</sup> الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، مكتبة الاسكندرية، ط3، 1992، ص: 38-39.

<sup>2</sup> محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط/ جديدة، دط، دت، ص34.

إنّ الفونيمات سواء على مستوى الصّوامت consonnes أو على مستوى الصّوائت voyelles تمثل الهيكل الأساسي للغة، ولذا يطلق عليها فونيمات أساسية. وهناك فونيمات أو وحدات صوتية أخرى، تتمثل في العناصر الأدائية للأصوات بشقيها الصّامت والصّائت، مثل: المقطع و النّبر و التّغيم ، وأشكال البديع المختلفة.

### أولاً: المقطع الصّوتي: Syllabe

المقطع الصّوتي هو الرّكيزة الأساسية لبناء الوحدات التّركيبية أو الأشكال والكميات الصّوتية، « فاللغة كلام، والمتكلّمون لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة بنفسها، أو هم لا يفعلون ذلك إن استطاعوا، وإنّما ينطقون الأصوات في شكل تجمّعات هي المقاطع، ولذا يقال إنّه في المقطع يخرج الفونيم إلى الحياة.»<sup>1</sup> و هو القاعدة الأساس في علمي العروض والأصوات، إذ يلجا إليه الباحث لمعرفة نسيج الكلمات والجمل المنطوقة، التي تشكّل متتالية صوتية، ما كانت لتتمّ لولا عمليات الفتح والإغلاق التي تحدث في جهاز التّصويت، والفترة الفاصلة بين عمليات غلق هذا الجهاز هي التي تمثّل المقطع، فالوحدات الصّوتية إذن هي: الفونيم أصغر هذه الوحدات، ثمّ المقطع المكوّن من فونيمات، فمجموعة التّغم المحتوية على النّبر وعلى تتابعات من المقاطع، ثمّ مجموعة التّغيم التي تحتوي على تتابعات من مجموعات التّغم.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 281.

<sup>2</sup> ينظر نفس المرجع، ص: 282.

وتنتشر المقاطع الصوتية إلى قسمين أساسيين هما المقاطع المتحركة والمقاطع الساكنة. فأما المقاطع المتحركة فهي المقاطع المنفتحة، الذي تنتهي بصوت لين قصير أو طويل (حركة)، بينما المقاطع الساكنة هي المقاطع المنغلقة، التي تنتهي بصوت ساكن. وأنواع المقاطع العربية خمسة فقط هي:

1- **مقطع قصير مفتوح**، ويتكوّن من (صامت+حركة قصيرة)، ويرمز إليه بـ .

(CV) ومثال ذلك كلمة -كَتَبَ- التي تتركّب من ثلاثة مقاطع قصيرة. هي: / ك - / ، / ت - / ، / ب - / .

2- **مقطع طويل مفتوح**، ويتكوّن من: (صامت+ حركة طويلة)، مثل اللفظ: -قا- في الكلمة (قال) أو حرف الجر - في- ويرمز إليه بـ: (CVV).

3- **مقطع طويل مغلق**، ويتكوّن من: (صامت+ حركة قصيرة+ صامت)، مثل: (قد) و(يد) في: (يدنو)، ويرمز إليه بـ: (CVC).

وقد أطلق تمام حسان على المقطع الثاني (ص ح ح) المقطع المتوسط الطويل، وأطلق على الثالث (ص ح ص) المقطع المتوسط المقفل.<sup>1</sup>

وهذه المقاطع الثلاثة يمكن اعتبارها المقاطع الأساسية في جميع لغات العالم، فعلاوة على إمكانية وجودها في بداية و وسط ونهاية الكلمات بحرية، فهي توجد بحرية أيضاً في جميع أحجام الكلمات من حيث عدد المقاطع المكوّنة لها.

4- **مقطع مديد حركته طويلة**، ويتكوّن من: (صامت+ حركة طويلة + صامت)، نحو كلمة: باب. ويرمز إليه بـ: (CVVC).

<sup>1</sup> ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993،

## 5-مقطع مديد مقفل بصامتتين:

يتكوّن من (صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت)، في حالة الوقف، كما يبدو في لفظ (بيت أو بحر)، يرمز إليه بـ: (CVCC).<sup>1</sup>

و يمكن التعبير عن هذه الأنواع بالشكل الآتي كذلك:

**المقطع المفتوح:** يمثّله الشّكلان التّاليان:

1- صوت ساكن + صوت ليّن قصير، مثل: ب، و.

2- صوت ساكن + صوت ليّن طويل، مثل: ما، لا.

**المقطع المغلق:** تمثّله الأشكال التّالية:

3- صوت ساكن + صوت ليّن قصير + صوت ساكن، مثل: لم، قد.

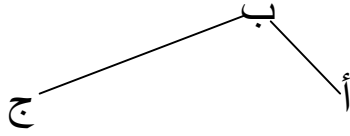
4- صوت ساكن + صوت ليّن طويل + صوت ساكن، مثل: باب.

5- صوت ساكن + صوت ليّن قصير + صوتين ساكنين، مثل: فزد.<sup>2</sup>

لكلّ مقطع جزء رئيسي يكون بارزا وظاهرا، ويطلق على هذا الجزء هنا نواة المقطع، وتسمّى العناصر الباقية العناصر المساعدة. وتشكّل الحركات القصيرة الثلاث مع نظائرها الطويلة نواة المقطع دائما، وتمثّل دائما جميع السواكن، والصوتان الجهوران الياء والواو الفونيمات المساعدة في بنية المقطع. و يمكن تمثيل بنية المقطع بالشكل التّالي:

<sup>1</sup> ينظر: عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، دط، 1980، ص: (40/39/38).

<sup>2</sup> ينظر: جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، تر: صالح القرمادي، نشرات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، 1966، ص191-192. وينظر كذلك: ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: (159 إلى 163).



تمثل النقطة (ب) دائما نواة المقطع وتمثل النقطتان (أ) و (ج) بداية المقطع ونهايته على التوالي.. ويبدو الخطّ (أ ب) أقصر من الخطّ (ب ج) وأقوى منه، ويدلّ هذا على زيادة في التوتّر عند المتكلم، بينما يرمز الخطّ (ب ج) إلى نقص في هذا التوتّر.<sup>1</sup>

### ثانياً: النّبر (Stress):

تعدّدت الآراء حول مفهوم النّبر بتعدّد المدارس اللّغوية وتنوّع الألسنة ، ومن ضمن ما قيل فيه هو أنّه «ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السّمع عن بقية ما حوله من أجزائها. و بعبارة أخرى يأتي النّبر من التوتّر والعلوّ في الصّوت اللّذين يتّصف بهما موقع معيّن من مواقع الكلام».<sup>2</sup> أي أنّ «النّبرة إشباع مقطع من المقاطع، وذلك بزيادة ارتفاعه أو مداه أو شدّته».<sup>3</sup>

وبالرغم من اختلاف الآراء حول ماهية هذا المصطلح وتعدّدها إلا أنّ القاسم المشترك بينها هو أنّ « النّبر وضوح سمعي يميّز مقطعا عن المقاطع الأخرى في الكلام»<sup>4</sup>. أو مقدار القوّة على مقاطع كلّ لفظ، وله ثلاث درجات هي:

<sup>1</sup> ينظر: سلمان حسن العاني، التشكيل الصّوتي في اللّغة العربية، فونولوجيا العربية، تر: ياسر الملاح و محمد محمود

غالي ، النادي الأدبي الثّقافي، جدّة، المملكة العربية السّعودية، ط1، 1983، ص: 131-132.

<sup>2</sup> تمام حسان ،اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط ،1994، ص170-171.

<sup>3</sup> الطيب البكوش، نفس المرجع، ص: 80.

<sup>4</sup> أحمد كشك، من وظائف الصوت اللّغوي - محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي ، دار غريب للطباعة، القاهرة، ط1،

2006، ص51.

النَّبر الأولي - النَّبر الثانوي - النَّبر الضَّعيف.

فالكلمة ذات المقطع الواحد تستقبل نبرا أوليا وهي مفردة مثل: (من - عن - باب) أمّا الكلمات ذوات المقاطع الكثيرة أو التي تؤلّف من مقطعين فقط فتستقبل نوعين من النَّبر ثانوية وضعيفة بالإضافة إلى النَّبر الأولي. والقواعد التي تضبط نبر الكلمة العربية هي:

1- عندما تتألّف الكلمة من سلسلة من المقاطع مثل: (ص ح) فإنّ المقطع الأوّل ينبر نبرا أوليا وتنبر المقاطع الباقية أنبارا ضعيفة.

مثل: كَتَبَ ---- ك: (ص ح) ، ت: (ص ح) ، ب: (ص ح).

2- وعندما تحتوي الكلمة مقطعا طويلا واحدا فقط فإنّ هذا المقطع يستقبل النَّبر الأوّل وتستقبل بقية المقاطع أنبارا ضعيفة. مثل: كاتب..... كآ: (ص ح ح) ، تَب: (ص ح ص).

3- وعندما تحتوي الكلمة مقطعين طويلين أو أكثر فإنّ المقطع الطويل الأقرب إلى آخر الكلمة (غير المقطع الأخير) يستقبل النَّبر الأولي وفي أغلب الحالات يستقبل المقطع الأقرب إلى بداية الكلمة نبرا ثانويا. مثل: رئيسهنّ.... ر (ص ح)، ئي (ص ح ح) ، سُ (ص ح)، هُن: (ص ح ص)، ن (ص ح).<sup>1</sup> فالنبر إذن « يختصّ بالكلمة، أي بالمجموعة الأصواتية، ويتركز على مقطع بذاته منها، طبقا لنظام خاصّ بكلّ لغة على حدة». <sup>2</sup> وقد أكّد جونز هذا بقوله: « المقطع المنبور بقوة ينطقه المتكلّم بجهد أعظم من المقاطع المجاورة له في الكلمة أو الجملة.

<sup>1</sup> ينظر: سلمان حسن العاني، نفس المرجع، ص: 134-135.

<sup>2</sup> برتيل مالبرج، علم الأصوات، تر: عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب، دط ، 1984، ص200.

فالنّبر إذن نشاط ذاتي للمتكلم ينتج عنه نوع من البروز لأحد الأصوات أو المقاطع بالنسبة لما يحيط به»<sup>1</sup>، والقوّة الزفيرية هي المتسببة في إبراز وحدة أصواتية معيّنة، لذلك ينعت النّبر هنا بـ: نبر التوتّر أو النّبر الديناميكي، لأنّ أصوات مقطع منبور إنّما تنطق بمزيد من القوّة، وهي على هذا أكثر بروزاً في السّمع من الأصوات الأخرى. « والنّبر هو المكافئ الاصطلاحي للنّبر عند العرب، وأنّ كليهما يتطلّب نشاطاً متّحداً من أعضاء النّطق.»<sup>2</sup>

فالنّبر كعامل صوتي هام يؤدّي وظائف عديدة في الشّعر؛ إذ أنّه يؤكّد جزءاً من اللفظ، وبالتالي المعنى الذي يحمله، غير أنّ هذه الوظائف لم تحظ بنماذج تطبيقية في الشّعر العربي؛ كما أنّ النّتائج التي توصل إليها علماء اللّغة ضئيلة ومتناقضة في كثير من الأحيان، نتيجة لغياب القوانين الأساسية للنّبر في اللّغة العربية وشعرها.<sup>3</sup> وهو ما شكّل عقبة كئوداً أمام الدّراسات البحثية، التي تحاول إخضاع النّص الأدبي لهذا العامل، على أمل أن تتنوّع الخيارات التّطبيقية الصّوتية للباحث في هذا الميدان، فتقوده إلى نتائج علمية، وأحكام بعيدة عن الذاتية والانطباعية.

### ثالثاً: التّنغيم Intonation:

التّنغيم ظاهرة صوتية، تشترك فيها معظم اللّغات، لكونها تؤثر في تغيير الدّلالة دون أن تتغيّر المفردات. و هو مصطلح صوتي دالّ على الارتفاع والانخفاض

<sup>1</sup> أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دط ، 1997، ص221.

<sup>2</sup> عبدالقادر عبد الجليل، علم الصّرف الصّوتي، سلسلة الدراسات اللغوية، دط ، 1998، ص113.

<sup>3</sup> ينظر: سيد البحراوي، موسيقى الشّعر عند شعراء أبوللو، القاهرة، ص: 18.

في درجة الجهر في الكلام. وهذا التّغير في الدّرجة يرجع إلى التّغيير في نسبة ذبذبة الوترين الصّوتيين، هذه الذبذبة التي تحدث نغمة موسيقية. و لذلك فالتنغيم يدلّ على العنصر الموسيقي في الكلام، يدلّ على لحن<sup>1</sup>. أي أنّ إبراز بعض أجزاء الجملة إنّما يتمّ بمساعدة النّغمة الموسيقية، لذلك عدّ التنغيم شكلا من أشكال النّبر، فأطلق عليه النّبر الموسيقي أو نبر التنغيم. ضف إلى هذا أنّه عامل مهمّ في تصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفة، من إثباتية واستفهامية وتعجبية..، إذ تصاغ كلّ واحدة منها وفقا للون موسيقي معيّن، بالرّغم ممّا قد تحتويه الجملة من أدوات صرفية من شأنها أن تساعد على تحديد نوعها كأدوات الاستفهام، وصيغتي التّعجب، وفي كثير من الأحيان يكون التنغيم وحده هو الفيصل في الحكم على نوع الجملة، كما يحدث ذلك حين تخلو الجمل الاستفهامية من أدوات الاستفهام، أو حين يخرج الاستفهام عن أصله ليفيد غرضا جديداً، كما يؤدّي التنغيم إلى توجيه الإعراب وتفسير صورته المختلفة.<sup>2</sup>

وهناك أصوات أو حروف فرعية يطلق عليها (فونات). والفون Allophone : هو بمثابة تنوّع نطقي للفونيم أو الصّوت الأصلي، لا يؤثّر في المعنى، ونلاحظ ذلك في نطق لفظ (الجلالة) في: بالله لتفعلنّ، وفي نحو قولك: والله لتفعلنّ، فقد بقي القسم والمعنى كما هو ولم يتغيّر رغم تغيّر نطق اللّام والفتحة.<sup>3</sup> وهكذا يتبدّى بأنّ

<sup>1</sup> محمود السعمران، علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي- دار النهضة العربية للطباعة والنّشر، بيروت ص(192إلى 197).

<sup>2</sup> ينظر : كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة ، دار المعارف بمصر، ط9، 1986، ص(24-25).

<sup>3</sup> ينظر: محمود فهمي حجازي، نفس المرجع، ص: 37 إلى 39.



الألوفون هو: كلّ مظهر مادّي مختلف للفونيم، أو تلك التّوّعات الصّوتية السّيمية التي تطرأ عليه من استعمال لآخر.

ومما سبق ذكره يتجلّى لنا الدور الهامّ الذي يلعبه كلّ من المقطع والنّبر والتّغيم في إبراز الدّلالة، وبما أنّ المقطع هو القاعدة الأساس في علمي العروض والأصوات فسوف أركّز عليه في الدّراسة الصّوتية للمقال الإبراهيمي "ذكرى 8 ماي 1945".

دراسة صوتية للأجناس الأدبية الآتية: المقال، الخطبة، الرسالة.أولاً: جنس المقال: مقال ذكرى 8 ماي<sup>1</sup>

الفقرة الأولى: (يوم مظلم.....إلى ضحيته)

أيوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرّز الحواشي بالدماء المطلولة، مقشعرّ الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشهداء، خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة ولا نور، وخرج شهره عن طاعة الربيع فلا ثمر ولا نور، وغابت حقيقته عند الأقلام فلا تصوير ولا تدوين.

يوم ليس بالغريب عن (رزنامة) الاستعمار الإفريقي بهذا الوطن، فكم له من أيام مثله، ولكنّ الغريب فيه أن يجعل - عن قصد - ختاماً لكتاب الحرب، ممن أنهكتهم الحرب على من قاسمهم لأواءها، وأعانهم على إحراز النصر فيها؛ ولو كان هذا اليوم في أوائل الحرب لوجدنا من يقول: إنّه تجربة، كما يجرب الجبان القوي سيفه في الضعيف الأعزل.

اثنان قد خلقا لمشأمة الاستعمار والحرب؛ ولحكمة ما كانا سليلي أبوة، لا يتمّ أولهما إلاّ بثنائيهما، ولا يكون ثانيهما إلاّ وسيلة لأولهما؛ وقد تلاقت يداهما الآثمتان في هذا اليوم في هذا الوطن، هذا مودّع إلى ميعاد، فقعة السلاح تحيته، وذلك مزعم أن يقيم إلى غير ميعاد، فجتث القتلى من هذه الأمة ضحيته. [

إنّ تفنّن المبدع في صناعة الكلام شعرا كان أو نثرا أمر عظيم الأهمية؛ لكونه يسهم في شدّ انتباه السّامع، ويجنّد سمعه للمزيد من الإصغاء. وذلك لكون الكلام المنغوم الذي لا تكلف فيه بالغ الأثر في نفس المتلقي، إذ نراه ينفعل فرحاً أو حزناً

<sup>1</sup> أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص: 333.

تحت وقع هذا الكلام الشّجي، الذي يتلقّفه سمعه، فيهتّر له وجدانه، ويتراقص له كيانه. و من هنا عدّت « البنية الإيقاعية آية من آليات التّكوين الجمالي داخل النّص، فهي التي تكسبه المتعة الجمالية، حيث تعمل الوحدات التي تشكّله - سواء كانت حروفا أو كلمات - على إيجاد أجواء مشحونة بالعواطف والانفعالات تتقبّلها نفسية المتلقّي وتؤمن بها.»<sup>1</sup>

والمقال الإبراهيمي الذي بين أيدينا يتحلّى بهذه الميزة، ألا وهي وفرة الإيقاع الموسيقي، التي أدّت إلى شحن دلالي كبير. نظرا لقدرة الشّيخ على انتقاء الدّوال اللّغوية المتناغمة صوتا و دلالة، ووضعها في المواضع المناسبة.

و هذا ما ذهب إليه سيد قطب حين عرّف الإيقاع الصّوتي بـ: «أنّه الموسيقى التي تنشأ من تخيّر الألفاظ ونظمها في نسق خاصّ»،<sup>2</sup> فلو حاولنا إحداث تغيير في ترتيب الألفاظ، أو بين الجمل لاختفى إيقاعها الموسيقي الجميل، بسبب انعدام التدرّج و التّقابل فيما بينها. ولو غيرنا في بداية الفقرة الأولى -مثلا- فقلنا: يوم امتلأت حواشيه بالدماء، وحلكت جوانبه بالظلم، لتناقص ذلك النّغم أو اختفى، والسبب في ذلك انعدام التدرّج والتّعاقب التّناسبي بين المعاني، والتجانس بين الألفاظ والمقاطع الصّوتية، الذي يسهم في تعميق الإيقاع الموسيقي للنّص، ويكفل له جماليته و تأثيره.

<sup>1</sup> لطفي فكري محمد عبد الجودي، جمالية الخطاب في النّص القرآني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014، ص: 173.

<sup>2</sup> سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 2004، ص: 87.

لاستجلاء هذا الأمر قمت بعمل إحصائي لأهمّ المقاطع الصوتية المعبرة عن وحشية المستعمر، التي استحالت إلى آهات وتوجّعات، ثمّ أخضعتها للدراسة الصوتية، وإذا ما اخترنا تصنيف تمام حسان للمقاطع الصوتية، ورمزنا للصّامت بالرمز (ص)، وللصّائت أو الحركة بالرمز (ح)، وطبقناه على العينات المختارة، الدّالة على وحشية المستعمر، فسوف نصل إلى الآتي:

### العينات المختارة:

ظلم - دماء - بطش - أرواح .

لا حياة - لا نور - لا ثمر - لانور - لا تصوير - لا تدوين

أنهكتهم - لأواءها - جثث - قتلى - ضحيته - مشأمة.

المقاطع	تحليلها	نوعها
ظلم بطش	ظُل - بطُ = صامتان + صائتين قصيرين + صامتتين. م - ش = صامتان + صائتين قصيرين.	مقطعان متوسطان مغلقتان + مقطعين قصيرين.
دماء شهداء	د - ش - هـ - ع - ع = خمسة صوامت + خمسة صوائت قصيرة. ما - دا: صامتان + صائتين طويلين.	خمسة مقاطع قصيرة + مقطعين متوسطين مفتوحين.
لا نور لانور	لا - لا - نُو = ثلاثة صوامت + ثلاثة صوائت طويلة. ر - نُو - ر = ثلاثة صوامت + ثلاثة صوائت	ثلاثة مقاطع متوسطة مفتوحة + ثلاثة مقاطع متوسطة مغلقة.

	قصيرة+ ثلاثة صوامت.	
ثلاثة مقاطع متوسطة مفتوحة + ثلاثة مقاطع قصيرة+ مقطعين متوسطين مغلقين.	لا-يا -لا = ثلاثة صوامت + ثلاثة صوائت طويلة ح- ث - م = ثلاثة صوامت + ثلاثة صوائت قصيرة. ةر = صامتان+صائتين قصيرين + صامتين.	لا حياة لا ثمر
أربعة مقاطع متوسطة مفتوحة + أربعة مقاطع متوسطة مغلقة.	لا- لا - وي- وي = أربعة صوامت + أربعة صوائت طويلة / تص- تد- ز- ن = أربعة صوامت+أربعة صوائت قصيرة+أربعة صوامت.	لا تصوير لا تدوين
ثلاثة مقاطع متوسطة مغلقة + مقطع قصير	أن: صامت + صائت قصير + صامت/و/ه: صامت + صائت قصير/و/ ك: صامت + صائت قصير + صامت/ و/ هم: صامت + صائت قصير + صامت.	أنهكتهم
مقطع متوسط مغلق + مقطعين متوسطين مفتوحين + مقطع قصير.	لأ: صامت + صائت قصير + صامت/و/ وا: صامت + صائت طويل/و/ ء: صامت + صائت قصير/و/ها: صامت + صائت طويل.	لأواءها
ثلاثة مقاطع قصيرة.	ج: صامت + صائت قصير/و/ث: صامت	جث

	+ صائت قصير /و/ نُثُ: صامت + صائت قصير.			
قتلى	قَتُّ: صامت + صائت قصير + صامت /و/ لِي: صامت + صائت طويل.			مقطع متوسط مغلق + مقطع متوسط مفتوح
ضحيته	ض: صامت + صائت قصير /و/ حِي: صامت + صائت قصير + صامت /و/ ي: صامت + صائت قصير /و/ ت: صامت + صائت قصير /و/ هُ: صامت + صائت قصير			أربعة مقاطع قصيرة + مقطع متوسط مغلق.
مشأمة	مَشُّ: صامت + صائت قصير + صامت /و/ أ: صامت + صائت قصير /و/ مَ: صامت + صائت قصير /و/ ة: صامت + صائت قصير			مقطع متوسط مغلق + ثلاثة مقاطع قصيرة.
المجموع:	المقاطع القصيرة	المقاطع المتوسطة	المقاطع المتوسطة	المقاطع
	21	المفتوحة 16	المغلقة 18	المديدة 00

الفقرة الثانية: (تستحسن.....ماء البحار أشكل)

[تستحسن العقول قتل القاتل، وتؤيِّدها الشرائع فتحكم بقتل القاتل؛ ولكن الاستعمار العاتي يتحدّى العقول لأنّه عدوّها، والشرائع لأنّها عدوّه، فلا يقوم إلاّ على قتل غير القاتل... ويغلو في التآله الطاغي، فيتحدّى خالق العقول، ومنزل

الشّرائع، وينسخ حكم الله بحكمه، ورحمة الله بقسوته، فيقتل الشّيخ والزّمنى والأطفال.

أين التّعمان بن المنذر ويوماه من الاستعمار وأيامه؟ كان للمنذر يومان: يوم بؤس ويوم نعمى، وبينهما مجال واسع للبخت، وملعب فسيح للحظّ، فإذا طار طائر النّحس في أحد يوميه وقع على حائن أتت به رجلاه، أو محدود لم يلتق مع السّعد في طريق، أمّا الاستعمار فأيامه كلّها نحسات، بل دهره، كلّه يوم نحس مستمرّ، محيت الفواصل بين أيامه و لياليه ، فكّلها سود حوالك، يطير طائر النّحس منها فلا يقع إلّا على أمم آمنة مطمئنّة؛ وأين قتلى ضمّخت دماؤها الغريين<sup>1</sup>، من قتلى ضمّخت دماؤها أديم الأرض، وخالطت البحار حتى ماء البحار أشكل. ]

### العينات المختارة:

يتحدّى - يغلو - عاتي - ينسخ - قسوته.

نوعها	تحليلها	المقاطع
مقطعان قصيران + مقطع متوسط مغلق +مقطع متوسط مفتوح	ي - ت : (صامت + صائت قصير)/و/ حدّ: صامت + صائت قصير + صامت/ و/دي: صامت + صائت طويل	يتحدّى
مقطع متوسط مغلق +مقطع متوسط مفتوح	يغ: صامت + صائت قصير + صامت و/لو: صامت + صائت طويل.	يغلو

<sup>1</sup> الغريان: بناءان قرب الكوفة كان النعمان يلطخهما بدماء قتلاه. ينظر: أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص:334.

مقطعان متوسطان مفتوحان	عَا: صامت + صائت طويل/و/ تي: صامت + صائت طويل.	عاتي	
مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين.	يُن: صامت + صائت قصير + صامت. و/ س: صامت + صائت قصير/و خُ: صامت + صائت قصير.	ينسخ	
مقطع متوسط مغلق + ثلاثة مقاطع قصيرة.	قَسُن: صامت + صائت قصير + صامت/و/: (و - ت - هـ): ثلاثة صوامت + ثلاثة صوائت قصيرة	قسوته	
المقاطع المتوسطة	المقاطع القصيرة	المجموع	
المديدة 00	المغلقة 4	المفتوحة 4	7

الفقرة الثالثة: (أمّة كالأمم.....القوي المسلح)

[أمّة كالأمم حلّت بها ويلات الحرب كما حلّت بغيرها، وذاقت لباس الجوع والعري والخوف، وتحيفت الحرب أقواتها وأموالها، وجرّعت النّكل أمّهاتها واليتم أطفالها، وأكلت شبابها، وقطعت أسبابها، وصلّيت نار الحرب ولم تكن من جنّاتها، وقدمت من ثمن النّصر مئات الألوف من أبنائها قاتلوا لغير غاية، وقتلوا من غير شرف، في حين كانت الأمم تقتتل على الملك، والملك مجد وسيادة، وعلى الحرّية، والحرّية حياة وعزّة؛ أمّا هذه الأمّة فكانت تقاقل لخيال من أمل، وذماء من حياة، وصبابة من رجاء، وطلب من وعد علا نداؤه، وتجاوبت في الخافقين أصداؤه، من ديمقراطية زائفة كذب نبيّها مرتين في جيل واحد، فلما سكن الإعصار وتنفّست الأمم في جوّ من السّلم، وتهيّأت كلّ أمّة أن تستقبل بقايا النّار من شبابها، وكلّ أم



أن تعانق وحيدها، عاودت الاستعمار ألوهيته وحيوانيته في لحظة واحدة، يحادّ الله بتلك، ويغتال عباده بهذه، وعاد بالتقتيل على من كانوا بالأمس يمدّون حياته بحياتهم، ليريهم مبلغ الصّدق في تلك الوعود، ويحدّثهم بلغة الدّم ومنطق الأشلاء أنه إنّما أقام سوق الحرب ليشتري حياته بموتهم، وليرمّم جداره بهدم ديارهم، فإذا بقي منهم كلب بالوصيد، أو من ديارهم قائم غير حصيد، قضى ذلك المنطق فيه بالإبادة والمحو، وجعل أيامه خاتمة لأيام الدّم والحديد، وعطفه على عدوّ الأمس المشترك عطا بالفاء لا بثمّ؛ وكذلك كان، فقد فتح الناس أعينهم في يوم واحد على بشائر تدقّ با لنصر، وعلى عشائر من المنتصرين تساق للنحر؛ وفتحوا آذانهم على مدافع للتبشير، وأخرى للتدمير؛ وعلى أخبار تؤذّن بأنّ الدّماء رقات في العالم كلّها، وأخرى تقول: إنّ الدّماء أريقت في جزء صغير من العالم، هو تلك القرى المنكوبة من مقاطعة قسنطينة. وفي لحظة واحدة تسامع العالم بأنّ الحرب انتهت مساء أمس ببرلين وابتدأت صباح اليوم بالجزائر، وفيما بين خطرة البرق، بين الغرب والشرق، أعلنت حرب من طرف واحد، وانجلت في بضعة أيام عن ألوف من القتلى العزل الضّعفاء، وإحراق قرى وتدمير مساكن، واستباحة حرّيات ونهب أموال؛ وما تبع ذلك من سجن وتغريم واعتقال؛ ذلكم هو يوم الثامن ماي.

و من يكون البادئ يا ترى؟ الضّعيف الأعزل أم القويّ المسلّح؟ [

### العينات المختارة:

جوع - عري - خوف - ثكل - يتم .

جرّعت - تحيّفت - أكلت - قطعت - صليت - يحادّ - يغتال.

- تقتيل - أشلاء - موت - هدم - إبادة - محو - نحر - تبشير - تدمير -  
إحراق - استباحة - نهب - سجن - تعريم - اعتقال.

المقاطع	تحليلها	نوعها
جوع	جُو: صامت + صائت طويل/و/ع: صامت + صائت قصير.	مقطع متوسط مفتوح + مقطع قصير.
عُزِي	عز: صامت + صائت قصير + صامت /و/ي: صامت + صائت قصير.	مقطع متوسط مغلق + مقطع قصير.
خوف	خُو: صامت + صائت قصير + صامت /و/ف: صامت + صائت قصير.	مقطع متوسط مغلق + مقطع قصير.
ثكل	ثك: صامت + صائت قصير + صامت/و/ ل: صامت + صائت قصير.	مقطع متوسط مغلق + مقطع قصير.
يثم	يُت: صامت + صائت قصير + صامت /و/م: صامت + صائت قصير.	مقطع متوسط مغلق + مقطع قصير.
جرعت	جز: صامت + صائت قصير + صامت/و/ ر: صامت + صائت قصير. /و/ع: صامت + صائت قصير + صامت.	مقطعان متوسطان مغلقان + مقطع قصير.
تحيفت	ت: صامت + صائت قصير. /و/حي: صامت + صائت قصير + صامت. /و/ف: صامت + صائت قصير + صامت. /و/فت: صامت +	مقطعان قصيران + مقطعين متوسطين مغلقين.

	صائت قصير + صامت.	
أكلت	أ: صامت + صائت قصير / و / ك: صامت + صائت قصير / و / لث: صامت + صائت قصير + صامت.	مقطعان قصيران + مقطع متوسط مغلق.
قطعت	قَطُّ: صامت + صائت قصير + صامت. / و / ط: صامت + صائت قصير / و / عَث: صامت + صائت قصير + صامت	مقطعان متوسطان مغلقتان + مقطع قصير متوسط.
صُليت	صُ: صامت + صائت قصير / و / ل: صامت + صائت قصير / و / يث: صامت + صائت قصير + صامت	مقطعان قصيران + مقطع متوسط مغلق.
يحادُّ	يُ: صامت + صائت قصير / و / حَادُّ: صامت + صائت طويل + صامت / و / د: صامت + صائت قصير	مقطعان قصيران + مقطع طويل مغلق بصامت.
يغتال	يغُ: صامت + صائت قصير + صامت / و / تا: صامت + صائت طويل / و / لُ: صامت + صائت قصير.	مقطع متوسط مغلق + مقطع متوسط مفتوح + مقطع قصير.
تقتيل	تقُّ: صامت + صائت قصير + صامت / و / تي صامت + صائت طويل / و / ل: صامت + صائت قصير.	مقطع متوسط مغلق + مقطع متوسط مفتوح + مقطع قصير.

أشلاء	أش: صامت + صائت قصير + صامت/و/ /لا: صامت + صائت طويل /و/ع: صامت + صائت قصير.	مقطع متوسط مغلق + مقطع متوسط مفتوح + مقطع قصير.
موت	مؤ: صامت + صائت قصير + صامت /و/ت: صامت + صائت قصير.	مقطع متوسط مغلق + مقطع قصير.
هدم	هد: صامت + صائت قصير + صامت /و/ م: صامت + صائت قصير.	مقطع متوسط مغلق + مقطع قصير.
إبادة	(إ - د - مة): ثلاثة صوامت + ثلاثة صوائت قصيرة/و/ يا: صامت + صائت طويل.	ثلاثة مقاطع قصيرة + مقطع متوسط مفتوح.
محو	مخ: صامت + صائت قصير + صامت /و/و: صامت + صائت قصير.	مقطع متوسط مغلق + مقطع قصير.
نحر	نخ: صامت + صائت قصير + صامت /و/ ر: صامت + صائت قصير.	مقطع متوسط مغلق + مقطع قصير.
تبشير	تب: صامت + صائت قصير + صامت /و/ شي: صامت + صائت طويل /و/ر: صامت + صائت قصير.	مقطع متوسط مغلق + مقطع متوسط مفتوح + مقطع قصير.
تدمير	تد: صامت + صائت قصير + صامت /و/ مي: صامت + صائت طويل /و/ر: صامت + صائت قصير.	مقطع متوسط مغلق + مقطع متوسط مفتوح + مقطع قصير.

إحراق	إخ: صامت + صائت قصير + صامت /و/ را: صامت + صائت طويل/و/ ق: صامت + صائت قصير.	مقطع متوسط مغلق + مقطع متوسط مفتوح + مقطع قصير .		
استباحة	اس: صامت + صائت قصير + صامت /و/ با: صامت + صائت طويل/و/ ( ت - ح - ة): ثلاثة مقاطع قصيرة.	مقطع متوسط مغلق + مقطع متوسط مفتوح + ثلاثة مقاطع قصيرة.		
نهب	نه: صامت + صائت قصير + صامت /و/ ب: صامت + صائت قصير	مقطع متوسط مغلق + مقطع قصير .		
سجن	سج: صامت + صائت قصير + صامت /و/ ن: صامت + صائت قصير .	مقطع متوسط مغلق + مقطع قصير .		
تغريم	تغ: صامت + صائت قصير + صامت /و/ ري: صامت + صائت طويل/و/ م: صامت + صائت قصير .	مقطع متوسط مغلق + مقطع متوسط مفتوح + مقطع قصير .		
اعتقال	اع: صامت + صائت قصير + صامت /و/ ت: صامت + صائت قصير/و/ قأ: صامت + صائت طويل/و/ل: صامت + صائت قصير .	مقطع متوسط مغلق + مقطع متوسط مفتوح + مقطعين قصيرين .		
المجموع	المقاطع القصيرة 37	المقاطع المتوسطة المفتوحة 11	المقاطع المتوسطة المغلقة 27	المقاطع الطويلة 1

الفقرة الرابعة: (لك الويل.....في العراء)

[ لك الويل أيها الاستعمار! أهذا جزاء من استتجدته في ساعة العسرة فأنجذك، واستصرخته حين أيقنت بالعدم فأوجدك؟ أهذا جزاء من كان يسهر وأبناؤك نيام، ويجوع أهله وأهلك بطآن، ويثبت في العواصف التي تطير فيها نفوس أبنائك شعاعا؟ أيشرفك أن ينقلب الجزائري من ميدان القتال إلى أهله بعد أن شاركك في النصر لا في الغنيمة ولعل فرحه بانتصارك مساو لفرحه بالسلامة، فيجد الأب قتيلا، والأمّ مجنونة من الفرع، والدّار مهدومة أو محرقة، والغلّة متلفة، والعرض منتهكا، والمال نهبا مقسّما، والصّغار هائمين في العراء؟]

### العينات المختارة:

يسهر-يجوع-قتيلا - مجنونة - مهدومة - محرقة - متلفة - منتهكا- هائمين.

المقاطع	تحليلها	نوعها
يسهر	يس: صامت+صائت قصير + صامت/و/ ه: صامت + صائت قصير/و/ ر: صامت + صائت قصير.	مقطع متوسط مغلق + مقطعين قصيرين.
يجوع	ي: صامت+صائت قصير/و/ج: صامت + صائت طويل/و/ع: صامت + صائت قصير.	مقطعان قصيران + مقطع متوسط مفتوح
قتيلا	ق: صامت+صائت قصير/و/تي: صامت + صائت طويل/و/لأ: صامت + صائت قصير + صامت.	مقطع قصير + مقطع متوسط مفتوح + مقطع متوسط مغلق

مجنونة	مَجْ: صامت + صائت قصير + صامت /و/ نو: صامت + صائت طويل /و/ ن: صامت + صائت قصير /و/ مة: صامت + صائت قصير + صامت.	مقطعان متوسطان مغلقتان + مقطع متوسط مفتوح + مقطع قصير .
مهدومة	مه: صامت + صائت قصير + صامت /و/ دو: صامت + صائت طويل /و/ م: صامت + صائت قصير /و/ مة: صامت + صائت قصير + صامت.	مقطعان متوسطان مغلقتان + مقطع متوسط مفتوح + مقطع قصير .
محرقة	مَحْ: صامت + صائت قصير + صامت /و/ ر: صامت + صائت قصير /و/ ق: صامت + صائت قصير /و/ مة: صامت + صائت قصير + صامت.	مقطعان متوسطان مغلقتان + مقطعان قصيران .
متلفة	مَتْ: صامت + صائت قصير + صامت /و/ ل: صامت + صائت قصير /و/ ف: صامت + صائت قصير /و/ مة: صامت + صائت قصير + صامت.	مقطعان متوسطان مغلقتان + مقطعان قصيران .
منتها	مُنْ: صامت + صائت قصير + صامت /و/ ت: صامت + صائت قصير /و/ مة: صامت + صائت قصير /و/ كاً: صامت +	مقطعان متوسطان مغلقتان + مقطعين قصيرين .

	صائت قصير + صامت.			
هائمين	ها: صامت + صائت طويل/و/ي: صامت + صائت قصير/و/مي: صامت + صائت طويل/و/ن: صامت + صائت قصير.			مقطعان متوسطان مفتوحان + مقطعين قصيرين.
المجموع	المقاطع القصيرة	المقاطع المتوسطة المفتوحة 06	المقاطع المتوسطة المغلقة 12	المقاطع المديدة 00

### الفقرة الخامسة:

[ يا يوم!... لله دماء بريئة أريقت فيك، و لله أعراض طاهرة انتهكت فيك، والله اموال محترمة استبيحت فيك، و لله يتامى فقدوا العائل الكافي فيك، والله أيامى فقدن بعولتهن فيك، ثمّ كان من لئيم المكر بهنّ أن منعن من الإرث والتّزوج، والله صُباية اموال أبقتها يد العائثين، وحبست فلم تقسم على الوارثين.

يا يوم!... لك في نفوسنا السّمة التي لا تمحى، والذّكرى التي لا تنسى، فكن من أيّ سنة شئت فأنت يوم 8 ماي وكفى. وكلّ مالك علينا من دين أن نحبي ذكراك؛ وكلّ ما علينا لك من واجب أن ندوّن تاريخك في الطّروس لنلّا يمسحه النّسيان من النّفوس. ]

### العينات المختارة:

أريقت - انتهكت - استبيحت - حبست.



المقاطع	تحليلها	نوعها
أريقت	أ: صامت + صائت قصير /و/ ري: صامت + صائت طويل /و/قت: صامت + صائت قصير + صامت	مقطع قصير + مقطع متوسط مفتوح + مقطع متوسط مغلق
انتهكت	ان: صامت + صائت قصير + صامت /و/تُ: صامت + صائت قصير /و/ ه: صامت + صائت قصير /و/ كُت: صامت + صائت قصير + صامت	مقطعان متوسطان مغلقان + مقطعين قصيرين.
استبيحت	اسن: صامت + صائت قصير + صامت /و/تُ: صامت + صائت قصير /و/ بي: صامت + صائت طويل + حُت: صامت + صائت قصير + صامت	مقطعان متوسطان مغلقان + مقطع قصير + مقطع متوسط مفتوح
حبست	حُ: صامت + صائت قصير /و/ ب: صامت + صائت قصير /و/ سَت: صامت + صائت قصير + صامت .	مقطعان قصيران + مقطع متوسط مغلق
المجموع	المقاطع المتوسطة المفتوحة 2 المقاطع المتوسطة المغلقة 6	المقاطع الطويلة 00
المجموع العام	المقاطع المتوسطة المفتوحة المغلقة	المقاطع الطويلة

1	68	37	87
---	----	----	----

بعد هذه العملية الإحصائية لأنواع المقاطع الصوتية المتعلقة بمعظم البنيات المعبرة عن وحشية الاستعمار، يتضح بجلاء تفوق المقاطع الصوتية القصيرة (ص ح) على بقية الأنواع الأخرى بشكل لافت، لكونها تحقق الغاية التي ينشدها الكاتب، وهي التفصيل في تصوير الفاجعة التي ألمت بالجزائريين آنذاك، وتوضيح آثارها، وإبراز طبائع الاستعمار. كما أنّ المقطع القصير لا يتطلب نفساً طويلاً أو ممتدّاً، وهو يتناسب مع حالة الاضطراب والغضب والحرقّة، التي تعتمر ذات الكاتب من جرّاء هول هذه النكبة، زيادة على إسهامه في إثارة الأسماع، وزيادة حدّة الانتباه، بسبب تكوينه البسيط، وحركته الإيقاعية الظاهرة. ونظراً لإيقاعه القصير والسريع فهو ينسجم مع مشاعر الحيرة والقلق التي تختلج بها نفس المتكلم.

فالأوزان القصيرة ذات المقاطع القليلة تصلح للمقطوعات العابرة التي تقال وقت المصيبة والهلع والتي يكون فيها الشاعر مضطرباً مشتت الفكر، فيستدعي لخواتمه المضطربة وزناً قصيراً يتناسب وسرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية. وفرضت المقاطع المتوسطة المغلقة (ص ح ص) حضورها، لكونها الأنسب في التعبير عن مقامات الصرامة والجدّ والحسم، متغلّبة على المقاطع المتوسطة المفتوحة، نظراً لكثرة شيوعها في الكلام العربي، منافسة بذلك المقاطع القصيرة، ومحاولة إحداث نوع من التوازن في الإيقاع. واحتلت المقاطع المتوسطة المفتوحة (ص ح ح) المرتبة الثالثة بسبب شيوع أصوات اللين، التي عكست درجة الألم الذي يكابده الكاتب، بسبب ما أصاب ناحية من نواحي بلده من قتل وحشي،

وتتكيل دموي. وتعدّ المقاطع المفتوحة أكثر وضوحا في السّمع، وعاملا مساعدا لبثّ الشكوى، وإخراج حرقة الحزن، والتّهويل من آثار الخطب الذي أصاب الجزائر، وهو ما دفع الكاتب لاستخدامها في مناداة مخاطبيه؛ لعلّه ينفّس عن خاطره بإقحام المخاطبين في الإحساس بهول الكارثة، فيقاسمونه حرقة الألم والحزن.

وشكّل غياب المقاطع الطويلة (ص ح ص ص) و (ص ح ح ص) ظاهرة مثيرة، وذلك لأنّ هذين المقطعين « قليلا الشيوخ، ولا يكونان إلا في أواخر الكلمات وحين الوقف»<sup>1</sup>، فبعد تتبّع العينات المختارة لم نعثر إلا على مقطع واحد في كلمة - يحادّ - بين ألفاظ الفقرة الثالثة، حيث تضمّنت الكلمة في وسطها المقطع المديد: حَادّ: (ص ح ح ص). غير أنّ الانتقال المفاجئ إلى المقطع الطويل، الذي - عادة - ما يشكّل عسرا نطقيا، وإجهادا تنفّسيا، غير من موسيقى الكلام، ومن الإيقاع الذي صاحب النص من بدايته، ملفتا بذلك الأذهان إلى نقلة كلامية جديدة متميّزة عن الكلام السابق بنغمها ومحمولاتها.

وإذا ما أمعنا البصر في العينات الصوتية المدروسة من جهة توالي أصواتها، سوف نجد ها متركّبة من مقطعين قصيرين، أو مقطعين متوسطين متواليين، ولم نلاحظ توالي أكثر من هذا، إلا في ثلاث كلمات هي ( جثّ/ضحيتة/مشأمة)، وهذه المقاطع من النوع القصير، وهي: جثّ - يته - أمة (ص ح+ص ح+ص ح). إنّ تجاور أكثر من مقطعين قصيرين يخالف ما أشار إليه إبراهيم أنيس أثناء دراسته لموسيقى الشعر، حينما قال: «فلا يكاد ينطق المنشد بالمقطعين الأولين

<sup>1</sup> إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 164.

من البيت حتى نتوقع بعدهما مقطعا ثالثاً من نوع آخر، لأنّ الوزن العربي لا يقبل توالي أكثر من مقطعين من هذا النوع الذي يسمّى بالمقطع المتحرك أو القصير»<sup>1</sup>، وخروج النّثر عن هذه القاعدة يؤكّد أنّ النثر مجاله أرحب وأوسع، وخياراته أكثر سلاسة وانسيابية، والنّثر فيه حرّ طليق يوظّف ما شاء من المقاطع الصوتية المختلفة. وهذا ما ليس متاحاً للشاعر.

وإذا ما أخذنا عينتين من المقاطع السابقة من كلّ فقرة وقمنا بتفكيكها رجاء معرفة تشكيلاتها الصوتية فسوف نلاحظ بأنّها تركّبت من فونيمات مركزية وأخرى لا مركزية، وإذا ما قمنا بتمثيل المقطع الأوّل والثاني من كلّ كلمة فسوف تتبيّن لنا نواة كلّ مقطع والعناصر المساعدة لها .

### الفقرة الأولى:

بَطْش		ظَمْ	
ش	بَطْ	م	ظُلْ
ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص

### التشكيل الصوتي للمقطع الأوّل:

نواة المقطع: (2) الحركتان (الضمة والفتحة) (1) م-ش (2) الكسرة (النّواة)  
 العناصر المساعدة: (1) ظ-ب (3) ل-ط (1) م-ش

يبدأ هذا الشّكل بالنقطة (1) التي هي بداية المقطع وتمثل النقطة (2) ذروة المقطع ونواته الأساسية، في حين تمثل النقطة رقم (3) نهاية المقطع. والملاحظ

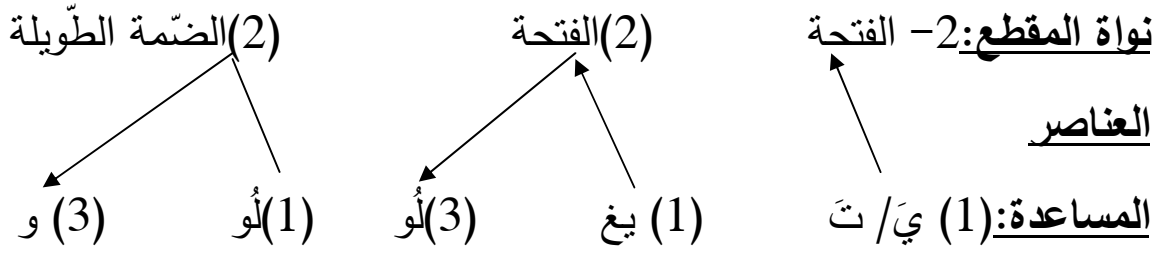
<sup>1</sup> إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1952، ص11.

على الخطّ الصّاعد (2 / 1) أنّه قصير مقارنة مع الخطّ الهابط (3/2) ، ويدلّ هذا على الزيادة في التوتّر لدى المتكلم في الخط الصّاعد (2/1) و تناقصها أو ضعفها في الخطّ النازل (3/2).<sup>1</sup>

## 2-الفقرة الثانية:

يغلو		يتحدّى			
لُو	يَغ	دَى	حَدّ	تَ	يَ
ص ح (طويل)	ص ح ص	ص ح (طويل)	ص ح	ص	ص
			ص	ح	ح

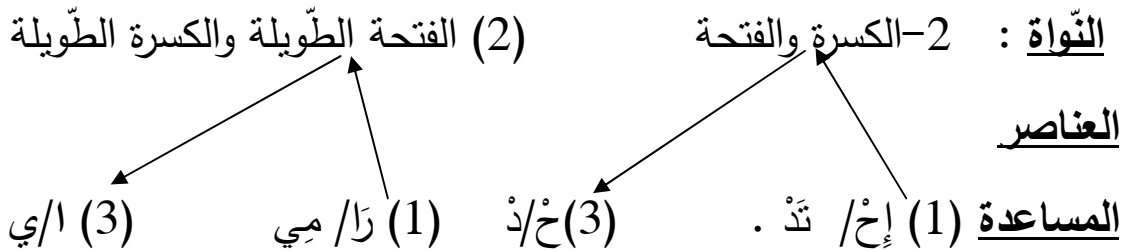
التشكيل الصوتي للمقطع الثاني:



## الفقرة الثالثة:

تدمير			إحراق		
ر	مي	تدّ	ق	زّا	إحّ
ص ح	ص ح (طويل)	ص ح ص	ص ح	ص ح (طويل)	ص ح ص

التشكيل الصوتي للمقطع الثالث:

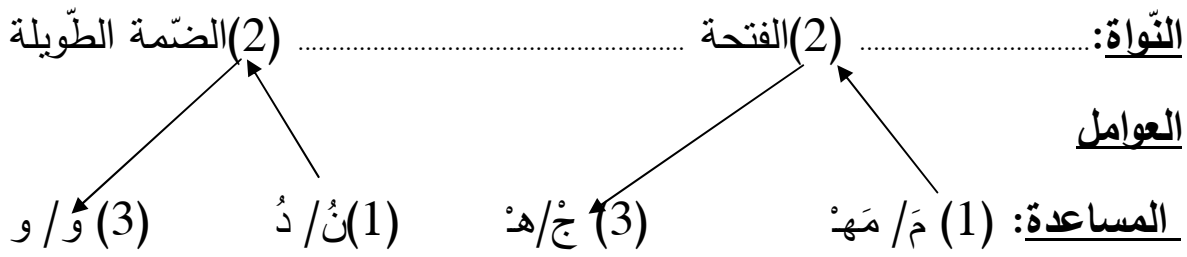


<sup>1</sup> -- ينظر: سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، فونولوجيا العربية، ص: 132.

الفقرة الرابعة:

مهدومة				مجنونة			
ة	م	دو	مه	ة	ن	نو	مج
ص ح	ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص	ص ح	ص ح
ص	ح	(طويل)	ص	ص	ح	(طويل)	ص

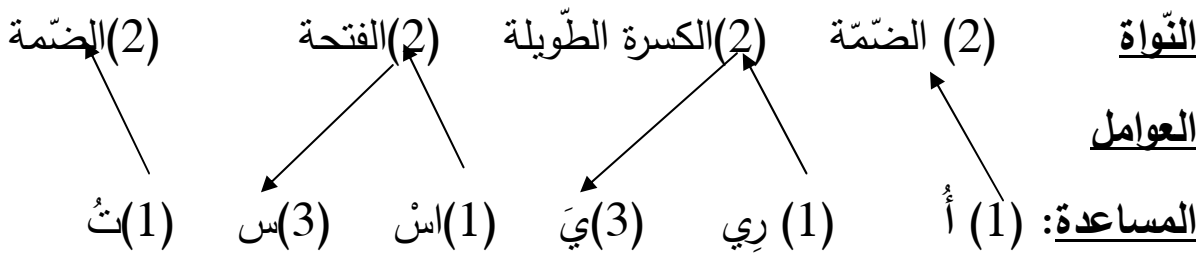
التشكيل الصوتي للمقطع الرابع:



الفقرة الخامسة:

أرقيت				استبيحت			
أ	ري	قت	اس	ت	بي	حت	
ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص	ص ح	ص ح	
ح	(طويل)	ص	ص	ح	(طويل)	ص	

التشكيل الصوتي للمقطع الخامس:



يظهر على مقاطع هذا التشكيلات الصوتية أنّ معظمها جاء من نوع (ص ح ص) أو (ص ح ح) وتكوّن من خطين: أولهما صاعد قصير (2/1)، يمتاز بالقوّة

والشدة وتساعد درجة التوتر لدى المتكلم، وهذا يشي إلى الحالة النفسية القلقة التي تسيطر على الكاتب، وثانيهما: خطّ هابط منطلق من نقطة الذروة (2) متّجها نحو النقطة رقم (3) في حالة من التناقص والضعف والخفوت والهدوء النفسي.

**ثانيا: جنس الخطبة.<sup>1</sup>**

### أول خطبة جمعة بمسجد "كتشاوي" بعد الاستقلال

الحمد لله ثمّ الحمد لله، تعالت أسماؤه وتمّت كلماته صدقا وعدلا، لا مبدّل لكلماته، جعل النصر يتنزّل من عنده على من يشاء من عباده حيث يبثليهم فيعلم المصلح من المفسد ويعلم صدق يقينهم وإخلاص نيّاتهم وصفاء سرائرهم وطهارة ضمائرهم.

سبحانه وتعالى جعل السيّف فرقانا بين الحقّ والباطل، وأنتج من المتضادات أضدادها، فأخرج القوّة من الضّعف وولّد الحرية من العبودية وجعل الموت طريقا إلى الحياة، وما أعذب الموت إذا كان للحياة طريقا، وبايعه عباده المؤمنون الصادقون على الموت، فباءوا بالصفقة الرابحة، و﴿اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾.<sup>2</sup>

سجانه تعالى جدّه، تجلّى على بعض عباده بالغضب والسخط فأحال مساجد التوحيد بين أيديهم إلى كنائس للتثليث، وتجلّى برحمته ورضاه على آخرين فأحال فيهم كنائس التثليث إلى مساجد للتوحيد، وما ظلم الأولين ولا حابى الآخرين،

<sup>1</sup> أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص: (305.. إلى 308).

• ألقيت هذه الخطبة يوم الجمعة 2 نوفمبر 1962 بحضور أركان الدولة، ووفود غفيرة من مختلف الدول الإسلامية.

<sup>2</sup> التوبة: الآية: 111.

ولكنّها سنّته في الكون وآياته في الآفاق يتبعها قوم فيفلحون، ويعرض عنها قوم فيخسرون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده.

وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله شرع الجهاد في سبيل الله، وقاتل لإعلاء كلمة الله حتى استقام دين الحقّ في نصابه وأدبر الباطل على كثرة أنصاره وأحزابه، وجعل نصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة منوطا بالإيمان والصبر، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكلّ متّبّع لهداه داع بدعوته إلى يوم الدّين.

ونستنزل من رحمات الله الصّيبة، وصلواته الزّاكية الطّيبة لشهادتنا الأبرار ما يكون كفاء لبطولتهم في الدّفاع عن شرف الحياة وحرّمات الدّين وعزّة الإسلام وكرامة الإنسان وحقوق الوطن.

وأستمدّ من الله اللّطف والإعانة لبقايا الموت وآثار الفناء ممن ابتلوا في هذه الثّورة المباركة بالتّعذيب في أبدانهم والتّخريب لديارهم والتّحيف لأموالهم.

وأسأله تعالى للقائمين بشؤون هذه الأمة ألفة تجمع الشّمل، ووحدة تبعث القوّة ورحمة تضمّد الجراح، وتعاوننا يثمر المنفعة، وإخلاصا يهوّن العسير، وتوفيقا ينيّر السّبيل، وتسديدا يقوّم الرّأي ويثبّت الأقدام وحكمة مستمدّة من تعاليم الإسلام وروحانية الشّرق وأمجاد العرب، وعزيمة تقطع دابر الاستعمار من النّفوس، بعد أن قطعت دابره من الأرض.

ونعوذ بالله ونبرأ إليه من كلّ داع يدعو إلى الفرقة والخلاف، وكلّ ساع يسعى إلى التّفريق والتّمزيق وكلّ ناعق ينشق بالفتنة والفساد.



ونحبي بالعمار والثمار والغيث المدرار هذه القطعة الغالية من أرض الإسلام التي نسميها الجزائر، والتي فيها نبتنا، وعلى حبّها نبتنا، ومن نباتها غدينا وفي سبيلها أودينا.

أحييك يا مغنى الكمال بواجب وأنفق في أوصافك الغرّ أوقاتي.

يا أتباع محمد عليه السلام هذا هو اليوم الأزهر الأنور وهذا هو اليوم الأغرّ المحجّل، وهذا هو اليوم المشهود في تاريخكم الإسلامي بهذا الشمال، وهذا اليوم هو الغرّة اللائحة في وجه ثورتكم المباركة، وهذا هو التاج المتألق في مفرقها، والصحيفة المذهّبة الحواشي والطرز من كتابها.

وهذا المسجد هو حصّة الإسلام من مغام جهادكم، بل هو وديعة التاريخ في ذممكم، أضعثموها بالأمس مقهورين غير معذورين واسترجعثموها اليوم مشكورين غير مكفورين، وهذه بضاعتكم ردّت إليكم، أخذها الاستعمار منكم استلاباً، وأخذتموها منه غلاباً، بل هذا بيت التوحيد عاد إلى التوحيد وعاد التوحيد إليه فالتقيتم جميعاً على قدر.

إنّ هذه المواكب الحاشدة بكم من رجال ونساء يغمرها الفرح ويطفح على وجوهها البشر لتجسيماً لذلك المعنى الجليل، وتعبيراً فصيح عنه، وهو أنّ المسجد عاد للساجدين الرّكع من أمّة محمد، وأنّ كلمة لا إله إلا الله عادت لمستقرّها منه كأنّ معناها دام مستقرّاً في نفوس المؤمنين، فالإيمان الذي تترجم عنه كلمة لا إله إلا الله، هو الذي أعاد المسجد إلى أهله، وهو الذي أتى بالعجائب وخوارق العادات في هذه الثورة.

وأما والله لو أنّ الاستعمار الغاشم أعاده إليكم عفوا من غير تعب، وفيئة منه إلى الحقّ من دون نصب، لما كان لهذا اليوم ما تشهدونه من الرّوعة والجلال.

يا معشر الجزائريين: إذا عدّت الأيام ذوات السّمات، والغرر والشّيمات في تاريخ الجزائر فسيكون هذا اليوم أوضحها سمة وأطولها غرّة وأثبتها تمجيذا، فاعجبوا لتصاريف الأقدار، فلقد كنّا نمرّ على هذه السّاحة مطرقين، ونشهد هذا المشهد المحزن منطوين على مضض يصهر الجوانح ويسيل العبرات، كأنّ الأرض تلعننا بما فرّطنا في جنب ديننا، وبما أضعنا بما كسبت أيدينا من ميراث أسلافنا، فلا نملك إلا الحوقلة والاسترجاع، ثمّ نرجع إلى مطالبات قولية هي كلّ ما نملك في ذلك الوقت، ولكنّها نبهت الأذهان، وسجّلت الاغتصاب وبذرت بذور الثّورة في النفوس حتى تكلمت البنادق.

أيّها المؤمنون: قد يبغي الوحش على الوحش فلا يكون غريبا، لأنّ البغي مما ركّب في غرائزه، وقد يبغي الإنسان على الإنسان فلا يكون ذلك عجيبا لأنّ في الإنسان عرقا نزّاعا إلى الحيوانية وشيطانا نزّاعا بالظلم وطبعا من الجبلّة الأولى ميّالا إلى الشرّ، ولكنّ العجيب الغريب معا، والمؤلم المحزن معا، أن يبغي دين عيسى روح الله وكلمته على دين محمّد الذي بشرّ به عيسى روح الله وكلمته.

يا معشر المؤمنين: إنكم لم تسترجعوا من هذا المسجد سقوفه وأبوابه وحيطانه، ولا فرحتم باسترجاعه فرحة الصّبيان ساعة ثم تتقضي، ولكنكم استرجعتم معانيه التي كان يدلّ عليها المسجد في الإسلام ووظائفه التي كان يؤدّيها من إقامة شعائر الصلّوات والجمع والتلاوة ودروس العلم النّافعة على اختلاف أنواعها، من دينية ودنيوية فإنّ المسجد كان يؤدي وظيفة المعهد والمدرسة والجامعة.

أيها المسلمون: "إِنَّ اللَّهَ ذَمَّ قَوْمًا ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>1</sup>، ومدح قوما ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾<sup>2</sup>.

يا معشر الجزائريين: إن الاستعمار كالشيطان الذي قال فيه نبينا صلى الله عليه وسلم ((: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنّه رضي أن يطاع فيما دون ذلك))، فهو قد خرج من أرضكم، ولكنّه لم يخرج من مصالح أرضكم، ولم يخرج من أسنتكم، ولم يخرج من قلوب بعضكم، فلا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه، وما أبيع للضرورة يقدر بقدرها.

يا معشر الجزائريين: إن الثورة قد تركت في جسم أمتكم ندوبا لا تتدمل إلا بعد عشرات السنين وتركت عشرات الآلاف من اليتامى والأيامى والمشوهين الذين فقدوا العائل والكافل وآلة العمل فاشملوهم بالرعاية حتى ينسى اليتيم مرارة اليتيم، وتنسى الأيم حرارة الثكل، وينسى المشوه أنه عالة عليكم، وامسحوا على أحزانهم بيد العطف والحنان فإنهم أبناؤكم وإخوانكم وعشيرتكم.

يا إخواني: إنكم خارجون من ثورة التهمت الأخضر و اليابس، وإنكم اشتريتم حريتكم بالثمن الغالي، وقدمتم في سبيلها من الضحايا ما لم يقدمه شعب من شعوب الأرض قديما ولا حديثا، وحزتم من إعجاب العالم بكم ما لم يحزه شعب

<sup>1</sup> البقرة: الآية 114.

<sup>2</sup> التوبة: 18.

ثائر، فاحذروا أن يركبكم الغرور ويستزلّم الشيطان، فتشوّهوا بسوء تدبيركم محاسن هذه الثّورة أو تقضوا على هذه السّمة العاطرة.

إنّ حكومتكم الفتية منكم، تلقّت تركة مثقلة بالتكاليف والتبّعات في وقت ضيق لم يجاوز أسابيع، فأعينوها بقوة، وانصحوها في ما يجب النصّح فيه بالتي هي أحسن، ولا تقطعوا أوقاتكم في السّقاسف والصّغائر، وانصرفوا بجميع قواكم إلى الإصلاح والتّجديد، والبناء والتّشديد، ولا تجعلوا للشيطان بينكم وبينها منفذا يدخل منه، ولا لحظوظ النّفس بينكم مدخلا.

وفّقكم الله جميعا، وأجرى الخير على أيديكم جميعا، وجمع أيديكم على خدمة الوطن، وقلوبكم على المحبة لأبناء الوطن، وجعلكم متعاونين على البرّ والتقوى غير متعاونين على الإثم والعدوان. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>1</sup> أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم وهو الغفور الرحيم.

<sup>1</sup>سورةالنور، الآية:55.

التحليل:

يلاحظ القارئ لهذه الخطبة أنّ بناء فقراتها اتّسم بالتنوّع الموسيقي، بسبب تكوّنها من وحدات صوتية متجانسة إيقاعا ودلالة، واحتوائها على جملة من الزّخارف البديعية المعنوية واللفظية، التي بثّت في النصّ أجواء موسيقية مؤثّرة، « نقلته من عالم الفكر والتحليل العقلي المجرّد إلى عالم الدّيمومة الحركية»<sup>1</sup> ولاستجلاء هذا الأمر أكثر، قمت بإحصاء هذه المنظومة الصّوتية، وصنّفتها إلى وحدات و سلالم صوتية، ثمّ شرعت في دراسة مختلف مظاهرها الإيقاعية.

السلالم والوحدات الصّوتية:

1. تعالت أسماؤه، وتمّت كلماته صدقا وعدلا.
2. يعلم صدق يقينهم، وإخلاص نياتهم، وصفاء سرائهم، وطهارة ضمائرهم.
3. لاإله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده و أعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده.
4. استقام دين الحقّ في نصابه وأدبر الباطل على كثرة أنصاره وأحزابه.
5. نستنزل من رحمات الله الصّيبية، وصلواته الزّاكية الطّيبة.
6. ابتلوا في هذه الثّورة المباركة بالتّعذيب في أبدانهم والتّخريب لديارهم والتّحيف لأموالهم.
7. أسأله ألفة تجمع الشّمْل و وحدة تبعث القوّة ورحمة تضمّد الجراح.
8. تعاوننا يثمر المنفعة، وإخلاصا يهوّن العسير، وتوفيقا ينير السّبيل، وتسديدا يقوم الرّأي ويثبّت الأقدام.

عبد الحميد بوزوينة، بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي-دراسة وصفية تحليلية- ديوان المطبوعات الجامعية

<sup>1</sup>الجزائر، دط، دت، ص:97.

9. حكمة مستمدة من تعاليم الإسلام و روحانية الشّرق وأمجاد العرب، وعزيمة تقطع دابر الاستعمار من النفوس.
10. نبراً إليه من كلّ داع يدعو إلى الفرقة والخلاف، وكلّ ساع يسعى إلى التفريق والتّمزيق وكلّ ناعق ينعق بالفتنة والفساد.
11. نحیی بالعمار والثّمار والغیث المدرار هذه القطعة الغالية.
12. فيها نبتنا، وعلى حبّها ثبتنا، ومن نباتها غدينا وفي سبيلها أودينا.
13. هذا هو اليوم الأزهر الأنور وهذا هو اليوم الأغرّ المحجّل .
14. هذا اليوم هو الغرّة اللّائحة في وجه ثورتكم المباركة.
15. هوالتّاج المتألّق في مفرقتها والصّحيفة المذهّبة الحواشي والطرز من كتابها.
16. . المسجد هو حصّة الإسلام من مغانم جهادكم، بل هو وديعة التّاريخ في ذممكم .
17. أضعثموها بالأمس مقهورين غير معذورين، واسترجعثموها اليوم مشكورين غير مكفورين.
18. هذه بضاعتكم ردت إليكم.
19. أخذها الاستعمار منكم استلاباً و أخذتموها منه غلاباً.
20. أعاده إليكم عفواً من غير تعب، و فيئةً منه إلى الحقّ من دون نصب.
21. الأيام ذوات السّمات، و الغرر والشّيمات.
22. أوضّحها سمة وأطولها غرّة وأثبتها تمجيداً.
23. نمرّ على هذه السّاحة مطرّقين و نشهد هذا المشهد المحزن منطوين.
24. الأرض تلعننا بما فرطنا في جنب ديننا، وبما أضعنا.
25. كسبت أيدينا من ميراث أسلافنا.
26. قد خرج من أرضكم، ولكنّه لم يخرج من مصالح أرضكم، ولم يخرج من ألسنتكم، ولم يخرج من قلوب بعضكم.

27. فقدوا العائل والكافل.

28. احذروا أن يركبكم الغرور ويستزلّم الشيطان.

29. أعينوها بقوة، وانصحوها في ما يجب النصّح فيه بالتّي هي أحسن.

30. انصرفوا بجميع قواكم إلى الإصلاح والتّجديد، والبناء والتّشيد.

يتجلى في هذه الخطبة اعتماد الكاتب في بناء نسوجه اللّغوية على ما أسماه عبد المالك مرتاض الودت الأسلوبى<sup>1</sup> أو الودت الكلامي، وذلك بالبدء بعبارة ارتكازية، يقوم عليها الكلام اللاحق، الذي يتكرّر متوازياً متماثلاً. و يعتبر الودت الكلامي بمثابة مقدّمة فقط، لا يرتبط صوتياً بما بعده. كما يتبدّى - أيضاً - تنوّع الإيقاع الموسيقي، بسبب طبيعة التراكيب تارة، أو نوع الحروف تارة أخرى، أو تلك التّحسينات النّطقية التي استخدمها الكاتب بصورة عفوية. ولكي نستشعر جمالية هذا التّجانس الصّوتي، سوف نقوم بعملية مقابلة لهذه الوحدات الصّوتية.

### تحليل الأجزاء الصّوتية داخل السّلام الصّوتية:

السلم 1	تعالّت	تمت
السلم 2	أسماءه	كلماته
السلم 3	صدقا	عدلا
السلم 4	سرايهم	ضامئهم
السلم 5	وحده	عده
السلم 6	نصابه	أنصاره

<sup>1</sup> عبدالمالك مرتاض، دراسة أسلوبية بعنوان: "محمّد البشير الإبراهيمي أمير البيان، كرائم اللّغة وفصاحة اللّسان، مجلّة

جنور، ج23، مج:10، مارس 2006، المملكة العربية السعودية، ص386، كما ينظر كتابه: النّصّ الأدبي، من أين؟ وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص(63 إلى 70).

السّم 7	الصّيبة.....	الطّيبة.....
السّم 8	أبدانهم.....	ديّارهم.....
السّم 9	ألفه.....	وحدة.....
السّم 10	تعاوننا.....	إخلاصا.....
السّم 11	حكمة.....	مستمدة.....
السّم 12	داع.....	يدعو.....
السّم 13	العمار.....	الثّمار.....
السّم 14	نبتنا.....	ثبتنا.....
السّم 15	الأزهر.....	الأنور.....
السّم 16	الغرّة.....	اللائحة.....
السّم 17	مفرقها.....	كتابها.....
السّم 18	جهاذكم.....	نمكم.....
السّم 19	مقهورين.....	معدورين.....
السّم 20	بضاعتكم.....	إيكم.....
السّم 21	استلابا.....	غلابا.....
السّم 22	تعب.....	نصب.....

السّم 23	السّمات.....	الشّيّمات.....
السّم 24	أوضحها.....	أطولها.....
السّم 25	سمة.....	غرّة.....



السنّم 26	مطرقين .....	منطوين .....
السنّم 27	تلعننا .....	ديننا .....
السنّم 28	أيدينا .....	أسلافنا .....
السنّم 29	أرضكم .....	ألسنتكم .....
السنّم 30	العائل .....	الكافل .....
السنّم 31	يركبكم .....	يستزلّم .....
السنّم 32	أعينوها .....	انصحوها .....
السنّم 33	التّجديد .....	التّشديد .....

استهلّ الشّيخ الإبراهيمي حديثه بالوئد الكلامي (الحمد لله ثم الحمد لله) ثمّ أعقبه بهذه النّسوج اللّغوية المتناغمة، والملاحظ على النّسج الأول أنّه مكوّن من ثلاثة أجزاء، هي: (تعالت - تمّت / أسماؤه - كلماته / صدقا - عدلا) وتميزت بتجانسها صوتيا، على الرّغم من عدم تشاكل حروفها. فما مصدر هذه الموسيقى وما طبيعتها ياترى؟

إنّ نظرة خاطفة لهذا السنّم الصّوتي تجعلنا ندرك أنّ مصدر هذا الإيقاع الموسيقي هو تشاكل الألفاظ في النّهائيات وفي أغلب الحركات والسّكنات. وعلى سمت هذا النّسج سارت معظم النّسوج الأخرى. وإذا ما قمنا بترتيب هذه الأصوات بالنّظر إلى نهاياتها فسوف نصل إلى التّشكيلات الصّوتية الآتية:

### الحروف الأكثر توظيفاً:

حرف التّاء: (سبعة عشر مرة).

تعالت - تمّت - السّمات - الشّيمات - الصّيبة - الطّيبة - ألفة - وحدة - رحمة -  
حكمة - مستمدّة - عزيمة - الغرّة - اللّائحة - المباركة - سمة - غرّة.

### حرف الهاء: (سنة عشر مرّة).

أسماءه-كلماته - وحده-وعده - عبده-جنده- نصابه- أنصاره -أحزابه- مفرقتها - كتابها- أوضحها - أطولها- أثبتها -أعينوها- انصحوها.

### حرف الميم:(اثني عشر مرة).

أبدانهم- ديارهم - أموالهم- جهادكم - نممكم- بضاعتكم - إليكم- أرضكم- ألسنتكم- بعضكم - يركبكم- يستزلكم.

### حرف النون: (خمسة عشر مرّة).

نبنتا- ثبتنا - غدينا- أوذينا - تلعننا- ديننا - فرطنا- أضعنا-تعاوننا- مقهورين- معذورين- مشكورين - مكفورين- مطرقين - منطوين.

### الحروف الأقل توظيفا:

**حرف الباء:** ( في ستة مواضع)تعذيب- تخريب- استلابا - غلابا - تعب- نصب.

**حرف الدال:** ( في أربعة مواضع) التّجديد- التّشبيد- تسديدا- تمجيدا.

**حرف الراء:** ( في أربعة مواضع) العمار- الثّمار- الأزهر- الأنور.

**حرف اللام:** ( في ثلاثة مواضع) عدلا - العائل - الكافل.

**حرف العين:** ( في أربعة مواضع) داع- يدعو- ساع - يسعى.

**حرف القاف:** ( في أربعة مواضع) ناعق - ينعق - صدقا- توفيقا.

الملاحظ على الحروف الأكثر استعمالا أنّ عددها أربعة وهي ( التّاء -الهاء-

الميم- النّون.) ولو تأملنا الألفاظ المختومة بحرف التّاء والهاء لوجدناها تكاد

تتساوى من جهة العدد، وقد نوع الخطيب في حرف التّاء، فاستعمله مغلقا في

أربعة مواضع من مجموع سبعة عشر موضعا. كما نوع - أيضا - في استعمال

حرف الهاء، حين وظّفه مشبعاً بفتحة طويلة في سبعة مواضع من مجموع ستة عشر موضعاً. وهو حرف موسوم بأنه صوت حنجري مرقق، « رخو ومهموس، عند النطق به يظلّ المزمار منبسّطاً دون أن يتحرّك الوتران الصّوتيان، ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعاً من الحفيف يسمع في أقصى الحلق أو داخل المزمار ويتخذ الفم عند النطق بالهاء نفس الوضع الذي يتّخذه عند النطق بأصوات اللّين.<sup>1</sup> لكن على الرغم من هذه النهاية الواحدة، أو المتقاربة بين ألفاظ هذه السّلام إلاّ أنّنا لا نجد لها كلّها متفقة صوتياً، وتشعر القارئ لها في بعض مواضعها ببعض الخفوت الموسيقي، ويرجع ذلك إلى اختلاف ميزانها الصّرفي. وإذا ما تمعنا في صفات هذين الحرفين (التّاء و الهاء) فسوف نجد بينهما توافقا في صفتي التّريق والهمس، وهذا التّلاقي في بعض الصّفات هو الذي بثّ شيئاً من الموسيقى داخل كلّ سلّم.

فالتّاء هو مورفيم مقيد يتّصل بصيغ العربية المتنوّعة عن طريق الإلصاق، و في حالة غلقه عند الوقف عليه يتحوّل إلى هاء للتّأنيث،<sup>2</sup> وقد يكون هذا التّقارب بينهما من هذه النّاحية سبباً في هذا النّغم الصّوتي.

أمّا الألفاظ التي ختمت بحرف الميم وحرف النّون فقد بلغ عددها سبعة وعشرين لفظاً، ودلّت على جماعة المخاطبين، وجماعة المتكلّمين وجماعة الغائبين، وهذا التّنوع في استخدام الضّمير، هو تنوع للأصوات، وبالتالي تزويد النّص بشحنات موسيقية متنوّعة. وقد وسم علماء الأصوات حرف الميم بأنه «

<sup>1</sup> إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 88.

<sup>2</sup> عبدالقادر عبد الحليل، علم الصرف الصوتي، سلسلة الدراسات اللغوية، دط، 1998، ص: 86.

صوت مجهور لا هو بالشديد ولا الرخو؛ بل ممّا يسمّى بالأصوات المتوسطة.<sup>1</sup> علاوة على تميّزه بوضوح سمعيّ عالٍ، و هي صفة يتنازعها معه حرف النون ، الذي وسمه علماء الأصوات بأنّه «حرف مجهور أغنّ»<sup>2</sup>، وأطلقوا عليه مع الحروف التّالية: (اللّام والميم والواو والياء والرّاء) أشباه الحروف الصّائتة، لمشابهتها للحركات في وضوحها السّمي. ضف إلى ذلك «أنّ مجاورتها لأيّ حرف من حروف الهجاء تستسيغها الأذان ولا يتعسرّ فيها التّطق»<sup>3</sup>، وقد قيل: «إنّ أسهل الكلمات نطقاً تلك التي تتركّب من الأحرف الآتية: اللّام-النون- الميم-الدّال-التّاء-الباء-أحرف المدّ».<sup>4</sup> وهذه الحروف كانت من أبرز خيارات الشّيخ البشير الإبراهيمي في هذه الخطبة.

وعلى مستوى الإيقاع الموسيقي لهذا الحرف نلحظ وضوحاً صوتياً شديداً، ورنينا مدوياً، وذلك يعطي قوّة إسماع الكلمات. و الملاحظ على هذا الحرف أنّه جاء إمّا مسبوقة بكسرة طويلة، أو مشبعاً بفتحة طويلة، وتولّد عن هذا التّناغم انسجام وتناسق بين أصوات الكلمات، استحالت به أكثر جذبا، وأقوى تأثيراً، لأنّ في حروف المدّ جمال وتطريب ونغم يجذب الأسماع ويشدّ الحواس.

أمّا الحروف الأقلّ استعمالاً فهي: ( الباء- الدّال - الرّاء - العين - القاف- اللّام ). وضمت مجموعة الباء ستّ كلمات هي: (تعذيب- تخريب- استلابا - غلابا- تعب- نصب). والمعروف عن هذا الحرف أنّه صوت شفويّ شديد

<sup>1</sup> إبراهيم أنيس ، نفسه: ص:38.

<sup>2</sup> أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، ج1 ، تح: حسن هندواي ، دار القلم ، دمشق، ط2، 1993، ص:435.

<sup>3</sup> إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص:26.

<sup>4</sup> نفسه، ص31.

مجهور مرقق<sup>1</sup>، يستحيل الكلام به أكثر قوة وحزما. وأقوى جرسا وقرعا للأذنان. كما ضمّت مجموعة الدال أربع كلمات هي: ( التّجديد - التّشديد - تسديدا - تمجيدا )، ويعدّ صوت الدال من الأصوات الانفجارية، وهو «صوت أسناني لثوي شديد مجهور مرقق»<sup>2</sup>، وهو من أصوات الفلقلّة ذات الأثر السّميّ القويّ. أمّا مجموعة الرّاء، فضمّت أربعة ألفاظ هي: (العمار - الثّمار - الأزهر - الأنور). وهي - إجمالاً - غير متناسقة صوتياً، ولكنها منشطرة إلى ثنائيتين، بين كلّ منهما تناسق وانسجام، والمعروف عن حرف الرّاء أنّه صوت ساكن مجهور، ويوصف بأنّه حرف مكرّر، وهو حرف شديد يجري فيه الصّوت لتكريره وانحرافه إلى اللّام<sup>3</sup>، ويعتبر من أوضح الأصوات الصّامتة في السّمع، وتسبّب تكرار هذا الحرف في انسجام الإيقاع وجماليته.

وتأتي بعد ذلك الألفاظ (داع - يدعو) - (ساع - يسعى) المختومة بحرف العين، الذي اعتبره القدماء من الأصوات المتوسّطة بين الشّدة والرّخاوة. وهو في رأي المحدثين «صوت حلقي رخو مجهور مرقق»<sup>4</sup>، أقرب ما يكون من أصوات اللّين<sup>5</sup>. وهو يقع ضمن أصوات الرنين، مما يعطيها وضوحاً سمعياً أكثر، ولعلّه

<sup>1</sup> تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 1990، ص: 91.

<sup>2</sup> نفسه، ص: 93.

<sup>3</sup> سيبويه، الكتاب، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1982، ص: 435.

<sup>4</sup> تمام حسان، نفسه، ص: 103.

<sup>5</sup> ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 88.

بهذه القوة الإسماعية يحقّق الغاية التي أرادها الكاتب، وهي لفت الأنظار والأذهان إلى مثيري الفتن ومواجهتهم.

كما وظّف الكاتب أربعة ألفاظ مختومة بحرف القاف هي: (ناعق- ينعق- صدقا- توفيقا). والبارز عليها انعدام التّجانس الصّوتي فيما بينها، لكنّ تشاكل آخرها في حرف واحد هو القاف، تولّد عنه قرع للأسماع، لكونه يحتاج إلى جهد عضلي كبير، لصعوبة النّطق به، وهو صوت حلقومي مفخّم ومهموس «وربّما كانت الخاء. و القاف. و الجيم. و الضّاد. والطّاء. والظّاء والصّاد أنسب الحروف للمعاني العنيفة»<sup>1</sup>. ولعلّ الإبراهيمي، أراد باللفظين: ناعق- ينعق ومن ورائهما حرف القاف التّهويل من شأن الحدث ولفت الأنظار إلى خطورته، لا تصاف الأصوات المفخّمة بالغلظة والشّدّة، كما أراد الإعلاء من شأن الصّدق وتوفيق الله لعباده، وقد بثّ تجاوز حرف العين المرقّق مع حرف القاف المفخّم في السّياق تنوعاً أصواتياً جميلاً، ونغماً عذباً ساحراً، ولو قمنا بعملية تنظيمية لتلك النّسوج اللّغوية بحسب التّجانس الصّوتي لتوصلنا إلى النّتائج التّالية:

### الألفاظ المسجوعة

أسماءه.....كلماته.....نصابه.....أنصاره.....أحزابه  
سرائهم.....ضمائهم.....يقينهم.....نياتهم.....أبدانهم.....ديارهم.....أموالهم  
الأزهر.....الغرة.....اللائحة.....المباركة  
مفرقها.....كتابها

<sup>1</sup> ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص: 41.

أعينوها ..... أنصحوها  
 تعب ..... نصب  
 أوضحها ..... أطولها ..... أثبتها  
 العائل ..... الكافل  
 تلعننا ..... ديننا ..... أيدينا ..... أسلافنا ..... فرطنا ..... أضعنا  
 جهادكم ..... ذممكم ..... بضاعتكم ..... إليكم ..... أرضكم  
 ألسنتكم ..... بعضكم ..... يركبكم ..... يستزلكم  
 ألفة ..... وحدة ..... رحمة ..... حكمة ..... مستمدة ..... عزيمة ..... سمة ..... غرة.

### الألفاظ المتجانسة:

وحده ..... وعده ..... عبده ..... جنده  
 الصّيبة ..... الطّيبة  
 تعذيب ..... تخريب  
 العمار ..... الثمار  
 التجديد ..... التشييد  
 داع ..... يدعو  
 ساع ..... يسعى  
 ناعق ..... ينعق  
 سمات ..... شيمات  
 استلابا ..... غلابا  
 نبتنا ..... ثبتنا

عُدِّينا ..... أُوذينا.

مطرقين ..... منطوين ..... مقهورين ..... معذورين ..... مشكورين ..... مكفورين.

وإذا ما تدبّرنا في ألفاظ السّلام الصّوتية بعد إعادة تنظيمها: فسوف ندرك بأنّها انشطرت إلى قسمين: ألفاظ مسجوعة، وألفاظ متجانسة . و السّجع من المحسنات اللفظية، وهو أن تتفق الفاصلتان في الحرف الأخير، والفاصلة في النّثر كالقافية في الشّعر، وتسمّى كلّ من الجملتين فقرة، وأحسن السّجع ما تساوت فقره.<sup>1</sup> وبعبارة موجزة يمكن القول إنّ السّجع : «هو وحدة الحرف الأخير في الفاصلتين»<sup>2</sup>، وله ثلاثة أضرب هي: المرصّع - المتوازي - المطرّف.

- المرصّع : يتحقّق إذا تماثلت أغلب ألفاظ الفقرتين المتقابلتين أو كلّها وزنا وتقفية. مثل قول الحريري: «فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه».

- المتوازي: هو ما اتّفتت فيه الفاصلتان وزنا وتقفية، كقول الله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَ أَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾<sup>3</sup>.

- المطرّف: هو ما اتّفتت فيه الفاصلتان تقفية لا وزنا، كقوله تعالى: ﴿مَالِكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفانها - علم البيان والبديع - دار الفرقان للنشر، ط10، 2005، ص: 305.

<sup>2</sup> عبده عبد العزيز قليلية، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1992، ص: 355.

<sup>3</sup> سورة الغاشية، الآية: 13-14.

\*سورة نوح، الآية14.

<sup>4</sup> ينظر: عبد الجواد محمد طبق، دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، دار الأرقم للطباعة والنشر، القاهرة،

ط1، 1993، ص: من (24 إلى 27).



والملاحظ على الألفاظ المسجوعة أنّها متساوية من جهة العدد والوزن والقافية، لذلك يمكن نسبتها إلى السّجع المرصّع، وهذه المطابقة بين الألفاظ المسجوعة علامة على جمال الاستعمال وحسنه، وسبب في جودة الإيقاع الموسيقي وروعته. فالترصيع إذن شكل من أشكال التّناسب، الذي شُغف به القدامى، واهتموا به أيّما اهتمام، تقعيديا واستعمالا، ومن هؤلاء ابن سنان الذي قال عنه: «هو أن يعتمد تصيير مقاطع الأجزاء في البيت المنظوم أو الفصل من الكلام المنثور مسجوعة، وكأنّ ذلك شبّه بترصيع الجواهر في الحليّ، وهذا ممّا قلنا إنّّه لا يحسن إذا تكرر وتوالى، لأنّه يدلّ على التّكلف وشدّة التّصنّع، وإنّما يحسن إذا وقع قليلا غير نافر»<sup>1</sup>. حتى يستهوي القارئ والسّامع على السّواء، فيؤدّي مهمّته في النّص، ويحقّق الغاية من وراء توظيفه؛ لأنّ البديع في شطره اللفظي من شأنه أن يحقّق عناصر الجمال ذات الوقع العالي على النّفس، ففي الشّعْر نجد الوزن والقافية، وفي النثر هناك السّجع والترصيع والتكرار وغيرها من عناصر الشّكل المهمّة ذات التأثير الإيحائي، الذي هو أكثر شيوعاً في الاستعمال، وأكثر تأثيراً وسهولة وإدراكا.

وبتأمّلنا في الألفاظ المسجوعة يتّضح لنا انشطارها إلى قسمين متمايزين صوتيا، نتيجة انتهاء أسجاع الجزء الأول بحروف متمايزة الحركات، ما بين السّكون والضّمة والكسرة. في حين انتهت أسجاع الجزء الثاني بحروف متنوعة لكنّ حركة كلّ منها هي التّوين بالفتح، «وهذا العنصر الصّوتي يمثّل ثراء لغويا تبين اللّغة من خلاله. فهو على مستوى الإيقاع لاشكّ أنّه يمثّل رنة، تحدث قوّة

<sup>1</sup> ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص:190.

إسماع، حاملة تردداً زمنياً طويلاً»<sup>1</sup>. وهذا التنويع في الصّوائت من شأنه أن يبعد النّص عن سمّت الرتابة، ويزوّده بشحنات قويّة بالغة التأثير.

ومهما يكن نوع السّجع، فإنّ الاتفاق السائد عند العرب أنّ مهمّته لفظية تأتي لتناسق أواخر الكلمات في الفقرات وتلاؤمها، خلافاً للفاصلة التي لها مهمّة لفظية ومعنوية في آن واحد. وقد أضفت الفاصلة على النّص قيمة صوتية منتظمة، فنتج عن ذلك أثر جمالي، كذاك الذي يشعر به القارئ للشعر الموزون و المقفّ. و من هنا تظهر أهمية الوقوف عندها، فهي بمثابة محطة لتزويد القارئ بنفس جديد، ومن جهة أخرى تجعله يحسّ أثناء الوقوف عندها، بأنّه يقف لدى معلم من معالم السّياق المتواشج، المتجمّل بالإيقاع الرّائق، والجرس المانع والمعنى الرّائع.

أمّا بقية السّلام الصوتية فالتمّاتل الصّوتي بين ألفاظها بيّن؛ لأنّ الكاتب استخدم ألفاظاً متجانسة الحروف بشكل كبير، و يبدو من خلال الوحدات المرصودة أنّ الإبراهيمي نوع في استخدام الجناس، فجانس بين الاسم والاسم، وبين اللفظ ومشتقه، وبين الفعل والفعل، بغرض التأثير في السّامع واستمالاته وكسب تأييده.

وهذا التّجانس والتمّاتل اللفظي، وذلك التّظافر الصّوتي بين الجناس والسّجع رفعاً من وتيرة الإيقاع الموسيقي في النّص، وأظهرها مهارة الإبراهيمي الكبيرة وقدرته على رصف الألفاظ ونظمها، وبراعة في تنسيقها وترتيبها، وتفنّنه في

<sup>1</sup> أحمد كشك، من وظائف الصّوت اللغوي، ص: 17.

طُرُق تزييد الأصوات المتجانسة والمسجوعة حتى تؤثر في الأسماع بنغمها وموسيقاها.

فالجناس مظهر من مظاهر الموسيقى الداخلية، وضرب من ضروب التكرار الذي يفيد في تقوية نغمية جرس الألفاظ. وبكسبها انسجاما إيقاعيا مؤثرا، وهو أحد البواعث الجمالية، التي تستدعي انتباه المتلقي وتذوقه الفني. «ويقال له التّجنيس والتّجانس والمجانسة؛ و لا يستحسن إلاّ إذا ساعد اللفظ المعنى، و وازى مصنوعه مطبوعه مع مراعاة النّظير، وتمكّن القرائن. فينبغي أن ترسل المعاني على سجيبتها لتكتسي من الألفاظ ما يزيّنّها حتى لا يكون التّكلف في الجناس.»<sup>1</sup> والأصل فيه « أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا، وعلى هذا فإنّه هو اللفظ المشترك، و ماعداه فليس من التّجنيس الحقيقي في شيء.»<sup>2</sup> فلا يكون الجناس إلاّ إذا تواجد في التّركيب لفظان مشتركان في النّطق ومتمايزان في المعنى، « وهذان اللفظان المتشابهان نطقا المختلفان معنى يسميان ( ركني الجناس)»<sup>3</sup>. وبناء على ما تقدّم، يبدو أنّ درجة التّأثير التي يبلغها الجناس تكمن في قدرته على استمالة الأذهان، وجعلها تصغي إلى الكلام المنغوم، لأنّ اللفظ المكرر المختلف المعنى يستهوي النّفس، ويدفعها إلى نوع من الإدهاش والاستغراب. وللجناس أقسام كثيرة ولكنّه بصورة عامة ينقسم إلى تامّ وناقص.

<sup>1</sup> أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار ابن خلدون، ص: 319.

<sup>2</sup> ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 1، تق/وتع: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ط2، دط، ص: 262.

<sup>3</sup> عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النّهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص: 196.

فالجناس التام أو الكامل أو المستوفى هو: أن تتفق في الكلمتان في لفظهما ووزنهما وحركاتهما ولا تختلفان إلا من جهة المعنى. كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾<sup>1</sup> فالساعة الأولى هي القيامة، والساعة الثانية هي واحدة الساعات.

أما الجناس الناقص فيطلق على ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة التي يجب توافرها في الجناس التام، مثل قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ﴾<sup>2</sup>، و لكنّه يأتي على أنحاء مختلفة منها:

- 1- **المختلف**: وهو أن تكون الحروف متساوية في تركيبها مختلفة في وزنها كقوله - عليه السلام - اللهم كما حسنت خلقي حسن خلقي.
- 2- **المطلق**: وهو أن تختلف الأحرف وتتفق الكلمتان في أصل واحد يجمعهما الاشتقاق، كقول جرير:

فما زال معقولا عقالا عن الندى \*\*\*\* وما زال محبوسا عن المجد حابس

- 3- **المركب**: هو توافق اللفظين في الصورة، مع تركيب أحدهما من كلمة والآخر من كلمتين. كقول الشاعر:

إذا ملك لم يكن ذا هبة \*\*\*\*\* فدعه فدولته ذاهبة<sup>3</sup>

والتجنيس الذي استحضره الإبراهيمي في هذه الخطبة، جاء من النوع غير التام، فقد بدت الكلمات بهذا التماثل كما لو أنّها أنغام شجية، غايتها التأثير في

<sup>1</sup> سورة الروم، الآية: 55.

<sup>2</sup> الأنعام، الآية: 26.

<sup>3</sup> ينظر: أحمد مطلوب، فنون بلاغية: البيان - البديع، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1975، ص: 224 إلى 226.

السّامعين واستمالة أذهانهم للإصغاء، وهو الذي تسبّب في ارتفاع الإيقاع، وتأنق النّص. و هذا ما أكّد عليه علي الجندي حينما أرجع جمالية الجناس إلى أمور ثلاثة هي:

1- تناسب الألفاظ في الصّورة كلّها أو بعضها، وهو مما يطمئن إليه الذّوق ويرتاح له.

2- التّجاوب الموسيقي الصّادر من تماثل الكلمات تماثلا كاملا أو ناقصا؛ فيطرب الأذن ويوتق النّفس ويهزّ أوتار القلوب.

3- التّلاعب الأخاذ الذي يلجأ إليه المجنّس لاختلاب الأذهان واختداع الأفكار.<sup>1</sup>

غير أنّ جمالية الجناس والسّجع عند عبد القاهر الجرجاني لا تكمن في جرسهما الصّوتي فحسب، إنّما تكمن في مدى خدمتهما للمعاني وتناسبهما معها، وبحسب رأيه « أنك لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بدلا، ولا تجد عنه حولا، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقّه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصد من المتكلّم إلى اجتلابه، وتأهّب لطلبه»<sup>2</sup>. لكنّ هناك من المحدثين من خالف الجرجاني فانتصر للفظ موضّحا بأنّ « عبد القاهر قد بالغ في هذا مبالغة غير محمودة، فجمال الجرس في الألفاظ أمر معترف به بين أهل

<sup>1</sup> ينظر: علي الجندي، فن الجناس: بلاغة-أدب-نقد، دار الفكر العربي، ط1، دت، ص:29.

<sup>2</sup> الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمان بن محمد الجرجاني النحوي، أسرار البلاغة، قر/وتع: أبو فهر محمود محمد شاكر، مط: المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط1، دت ص45.

الأدب ونقّاده في كلّ الأمم، ولا معنى لإنكاره»<sup>1</sup>. فالشعر مثلا قد يفقد كثيرا من جماليته وبريقه إذا لم يؤدّ بصوت غنائي رخيم، وينشد بإنغام موسيقية تناسبه. ويبدو من خلال هذا الاستدعاء الذكي لمختلف البدائل اللغوية، سواء أكانت مسجوعة أو متجانسة ملاءمتها للمعاني المطروحة، وخدمتها لها. وهذه الهندسة اللغوية هي التي ألقّت بظلالها على تحقيق جماليات النص، وقوّت نغمية جرس ألفاظه، وأعلت شدّة وقعته وتأثيره في المتلقّي، كما أنّ البديع في شطره اللفظي يحقّق عناصر الجمال ذات الوقع العالي على النفس.

أمّا بقية الوحدات الصوتية فقد عرفت استفاد الإبراهيمي لبعض المتقابلات والثنائيات الضدية، التي لا تعدّ ظاهرة فنية بلاغية، تستند إلى اقتران المتضادات اقترانا جدليا فحسب، بل صارت نسقا جماليا مطبوعا بالتناغم الإيقاعي ألقى بضلاله على بنية الألفاظ معنى وصوتا، مشكّلا بذلك تماثلات متشاكلة أو متضادة، هي أوقع في النفس وأدعى للقبول. وتتمثّل هذه المتقابلات في الطّباق والمقابلة، ومثّلت هذين المحسنين البديعيين البنيات التّالية:

### 1-الطّباق:

يعلم المصلح من المفسد.

جعل السيّف فرقانا بين الحقّ والباطل.

أخرج القوّة من الضّعف.

ولّد الحرّية من العبودية .

جعل الموت طريقا إلى الحياة.

<sup>1</sup>إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص:44.

جعل نصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة منوطا بالإيمان والصبر.  
ذمّ قوما.. ومدح قوما.

## 2-المقابلة:

أحال مساجد التوحيد بين أيديهم إلى كنائس للتثليث.

أحال فيهم كنائس التثليث إلى مساجد للتوحيد.

وما ظلم الأولين ولا حابى الآخرين.

يتبعها قوم فيفلحون، ويعرض عنها قوم فيخسرون.

بعد توشيح الإبراهيمي كلامه بالبديع التكراري: (الجناس والسجع)، ها هو يستأنس بالبديع التقابلي: (الطباق والمقابلة)، وهي نوع من المراوحة اللغوية، يلوذ إليها الكاتب بين الحين والآخر، إذ حشد أربعة عشر لفظا متطابقا، وستة عشر لفظا متقابلا، « والمطابقة أو الطباق أو التّضاد هي الجمع بين متضادين أي معنيين متقابلين في الجملة، ويكون بلفظين من نوع اسمين نحو: ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيَقَاضًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾<sup>1</sup>، أو فعلين نحو: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾<sup>2</sup>، أو حرفين، نحو: ﴿لَهَا مَاكَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَااكْتَسَبَتْ﴾<sup>3</sup>، أو من نوعين نحو: ﴿أَوْمَنَ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾<sup>4</sup>، وهو ضربان: طباق الإيجاب، كما مرّ، وطباق السلب نحو: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاحْشَوْنِ﴾<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> الكهف، الآية: 18.

<sup>2</sup> غافر، الآية: 68.

<sup>3</sup> البقرة، الآية: 286.

<sup>4</sup> الأنعام، الآية: 122.

<sup>5</sup> الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، صب: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط2، 1932.

ص: 348-349.

والثنائيات الضدية المحتواة في التشكيلات الصوتية السابقة كلّها من نوع طباق الإيجاب، استطاع الكاتب بواسطتها أن يخلق لنا صوراً متعكسة لها آثار في ذهنية القارئ ونفسيته ووجدانه.

أمّا المقابلة فهي محسنٌ بديعي معنوي مرادف للتضاد، إلاّ أنّها تخالفه في العدد فإذا كانت المطابقة بين الضدين فالمقابلة تكون بين أكثر من ذلك. وهي في حقيقتها « ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها، وهي من باب (المفاعلة) كالمقابلة والمضاربة، وهي قريبة من الطّباق؛ والفرق بينهما من وجهين:

الأول: أن الطّباق لا يكون إلاّ بين الضدين غالباً، والمقابلة تكون لأكثر من ذلك غالباً.

والثاني: لا يكون الطّباق إلاّ بالأضداد، والمقابلة بالأضداد وغيرها؛ ولهذا جعل ابن الأثير الطّباق أحد أنواع المقابلة»<sup>1</sup>.

و ممّا لاشكّ فيه أنّ حضور هذه المتقابلات في الأدب العربي، قديمه وحديثه، يدلّ على إدراك الباحثين اللغويين قيمة هذا المظهر اللغوي دلاليًا وجماليًا.

والكاتب لاشكّ مدرك للمقولة القائلة: "بضدها تتميز الأشياء"، لذلك وظّف هذه الصّور البديعية، لتخدم أغراض خطبته، والظّاهر من حضورها داخل النّص، اتسامها بالبساطة والعفوية وبعدها عن التكلّف.

<sup>1</sup> الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. البرهان في علوم القرآن، ج3، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة، ص: 458.



ثالثاً: جنس الرسالة:تحية غائب كالآيب<sup>1</sup>

حيّ الجزائر عني يا صبا... واحمل إليها مني سلاماً تباري لطافته لطافتك، و تساري إطفاته إطفاتك، فقديماً حملك الكرام الأوفياء مثل هذه التحية إلى من يكرم عليهم، أو ما يكرم عليهم، فحملتها روحاً، و أدبيتها روحاً، و أعلنتها شذى و فوحاً، و كنت بريد الأرواح إلى الأرواح، بألفاظ غير مكتوبة، و معان غير مكدوبة، و قديماً أفضى إليك الشعراء بشجونهم، و انتمنوك على جدّهم ومجونهم، فاحتملت غناً و سميماً، و كنت على الأسرار أمينا، فكأنك كنت لهم محطة إرسال و استقبال معاً، يحملونك الرسائل تخيلاً، و يتلقون أجوبتها إحساساً، و ما عرف واش ولا شعر رقيب، و ما كنت لديهم الثقة الأثير، إلا لأتلك ابن الأثير. و كأنّ محطات الحقيقة اليوم وضعت بإشارتك و تأثرت بإثارتك، و كأنّ شأنك و شأنهم في ذلك إرهاب بحقيقة حوموا عليها ولم يردّوا، و جمجموا عنها و لم يفصحوا، و ادّخر الله تحقيقها لهذا الزّمان، و لا عجب فكلّ حقيقة مبدأها خيال.

لي إليك وسيلة مرعبة المتات بما أسلف أوائلني فيك من مدح، و بما أذاعوا لك من فضل، و بما رفعوا لك من ذكر، فالذي تؤدّيه عني اليوم هو ثمن الإعلان وورثته عن سلف، ولم يسقط حقّي فيه تقادم الزّمان .

أنت يا صبا ريح، و كأنّ فيك قطعة من كلّ روح، يجد فيها كلّ غريب أنسا، وكلّ حبيب سلوى، وكلّ مكروب تنفيساً، خلال كلّها جلال، و ما ذلك الرّوح الذي

<sup>1</sup> - أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ص: 181 .

يجده الواله في أنفاسك، إلّا أنفاس المحبّين تمتزج بأنفاسك فيجدونها بردا على الأكباد، وبشاشة في الأسارير ورضى في السرائر. فلعمرك... لئن كان في الرّيح لواقح الأشجار، ففيك وحدك لقاح النفوس، ولئن كان فيها ما يحرق الورق، ففيك وحدك ما يطفئ الحرق.

حسبك شرفا -يا صبا- أن ألتقي النّاس فيك على وصف، وإن اختلفت بهم المنازع: جهل الجاهلون آثارك فقالوا: ما أسراك! و كلّ ربح سارية، وعرف العارفون فضلك وكرمك فقالوا: ما أسراك! و ما كلّ شجرة وارية، و بين السّرى و السّرو مفاوز هي مسافة ما بين الحسّ الكثيف و الحسّ الشّفاف.

سر -يا صبا- طاب مسراك، و صفا مجراك، في جو ضاحك الصّفحة، و فضاء سافر الغرّة، لا جبلا نعمان يعترضان مهبّك، ولا عواصف الدّبور تعارض مدبّك، فإذا لاحت لك بواذخ الأطلس فاسلك منها ما سلك بنو هلال، فرقة عن اليمين و عن الشّمال، و خذ من آثارهم بما يجدي، فكلكما نجدي، وستقع في شمالك على الخوولة، وفي يمينك على العمومة، فابثت أسرارك، و انثت أخبارك، فهناك محطة الهوى والشّوق.

أدّ التّحية عنّي للجزائر التي غدّت و ربّت، و أنبتت القوادم في الجناح، و أسلفت الأيادي البيضاء، و أسدت العوارف الغرّ، و أشربت من الطّفولة حبّ العروبة و الإسلام، و أخذت باليد إلى رياضهما، ففتقت اللّسان على أشرف لغة وسعت وحي الله ووحى العقول، و فتحت القلب لأكمل دين جمع الرّوح و المادّة، ثم أورثت - فيما أورثت من مآثر العرب و فضائل الإسلام - أنفا حميا، و فؤادا ذكيا، و لسانا جريئا، و همّة بعيدة، و إباء للمشارب الكدرة، و قنّاة لا تلين إلّا

للحقّ، و زيادا عن حرّيات الحمى و الدين، و نفسا لو تراءت لها زخارف الدنيا من وراء الدنيا ما خاضتها إليها، وروحانية أحد طرفيها في الأرض، و الآخر في السماء تأمر في ذلك كلّه و تنهى .

ثم عمّ التّحية إلى كلّ من تديّر الجزائر من إخوان الصّدق، و أحلاف الحقّ: من علماء جلاهم الإسلام سيوفا، و براهم سهاما، و قومهم رماحا، ثمّ وحدتهم العقيدة على غاية، و جمعهم الحقّ على بساط، و ألف بينهم الجهاد في ميدان، فاجتمعت قلوب على هداية بها و أسنتهم على دعاية إليها، و أيديهم على بناء لها . و من أنصار كانوا للدّعوة السّلفية الإصلاحية خزرجهما و أوسها، و كانوا للنّهضة الجزائرية عمادها و أسها، و كانوا الأحجار الأولى لبناء الجزائر الجديد، و الكتاب المبكّر لإحياء مجد العرب بعزّ الإسلام .

و من شبّان ربّيناهم للجزائر أشبالا، و وترناهم لعدوها قسيّا و نبالا، و صورنا منهم نماذج للجبل الزّاحف، بالمصاحف، و علمناهم كيف يحبّون الجزائر، و كيف يحيون فيها.

قل للجزائر الحبيبة هل يخطر ببالك من لم تغيب قطّ عن باله؟ و هل طاف بك طائف السّلو، و شغلك مانع الجمع و موجب الخلو، عن مشغول بهواك، عن سواك؟ إته يعتقد أنّ في كلّ جزيرة قطعة من الحسن، و فيك الحسن جميعه، لذلك كُنّ مفردات و كنت جمعا، فإذا قالوا الجزائر الخالدات رجعنا فيك إلى توحيد الصّفة و قلنا الجزائر الخالدة و ليس بمستكر أن تجمع الجزائر كلّها في واحدة.

لن أنسى - يا أمّ - أنّك كنت لي ماخطة الغرس، و ماشطة العرس، فلا تنسي أنّي كنت لك من عهد التّمائم إلى عهد العمائم، ما شغلت عنك إلاّ بك، ولا

خرجت منك إلا عائدا إليك، لا تنسي أنني ما زلت ألقى الأذى فيك لذيدا، و العذاب في سبيلك عذبا، و النَّصب في خدمتك راحة، و العقوق من بعض بنيك برا، و الحياة في العمل لك سعادة، و الموت في سبيلك شهادة، و لا تنسي أنني عشت غيظا لعداك و شجى في حلوهم، و كدرا لصفوهم، و أنني ما زلت أقارع الغاصبين لحقك في ميدان . و أكافح العابثين بحرمانك في ميدان، و أعلم الغافلين من أبناءك في ميدان، ثلاثة ميادين، استكفيتني فيها فكفيت، و رميت بي في جوانبها فأبليت، و لا منة لي يا أمّ عليك، وإنما هي حقوق أوجبته شرائع البرّ، قام بها الكرام، و خاس بعهدا اللّثام.

خطت الأقدار في صحيفتي أن أفتح عيني عليك و أنت موثقة، فهل في غيب الأقدار أن أغمض عيني فيك و أنت مطلّقة؟ و كتبت الأقدار علي أن لا أملك من أرضك شبرا، فهل تكتب لي أن أحوز في ثراك قبراً؟

لله في تقدير السنين أسرار، فبها تحسب الأعمار، وفيها تؤتي الأشجار الثمار، و فيها يتجدد الحنين و الادكار، و فيها يهيج الشوق بين المتجانسات فينشأ بين الفعل و الانفعال وجود، و لقد غبت عن الجزائر سنة و بعض السنة، فكنت أغالب الشوق فأغلبه، فلما قيل: هذا يوم 7 مارس - وهو موفي سنة الفراق - هجم علي من الشوق ما لا يغلب، فتمثلت بقول الوزير ابن الخطيب التّسلماني:

و جاشت جنود البين و الصّبر و الأسى علي فكان الصّبر أضعفها جندا  
غبت عن الجزائر بجسمي سنة و بعض السنة ، و لكنني ما غبت عنها  
بروحي و فكري دقيقة ولا بعض الدّقيقة، و ما عملت لغيرها عملا و لاجزاء من

عمل، فلساني رطب بذكرها، و شخصي عنوان عليها و رمز إليها، و أحاديثي تعريف بها و إغلاء لقيمتها، و محاضراتي في المحافل الحاشدة في الشرقين هي فضائلها شائعة، و مفاخرها ذائعة، و مباخرها ضائعة، و أعماله تمجيد لها و رفع لشأنها، و تنويه بنهضتها و تشريف لجمعية علمائها، و ما الجزائر إلا جمعية العلماء، لولاها لكانت الجزائر مثل جزائر واق الواق اسما يجري على اللسان، و مسمى معدوما في الوجود، لا ينكر هذا إلا صبي أو غبي، أو عقل وراءه خبي. أشهد لقد كنت ألقى في أسفاري أنواعا من التعب فلا يهونها علي و لا يغريني بالإقدام على غيرها إلا يقيني أنها مزيد في قيمة الجزائر وقيمة جمعية العلماء، و سعدت بقاء كثير من عظماء الشرق و علمائه و أمرائه وقادة الرأي فيه، فما عدت ذلك إلا من سعادة الجزائر و جمعية العلماء، و والله ما أنسانيها تبدل المناظر، و تنوع الأشخاص، و لا لفتني عنهما تعاقب المحاسن على بصري، و توارد معانيها على بصيرتي، بل كانتا دائما شغل خواطري، و نجوى سرائري، و طالما طرفتني منها أطياف، كأنها أسياف، فأرتاع و ألتاع، و أكاد أطيّر شوقا، ثم يمسح ذلك كله عن نفسي أن في سبيلهما سكوني واضطرابي، و لو خرجت تاجرا لكنت في الأخسرين صفقة، و لو خرجت متروحا لكنت كمن هجر الجام و مديره، و الرّوض غديره، إلى جفاة السّفَر، و جفاء القفر .

أيّها الوطن الحبيب:

رضيت بقسمة الله أن لم يجعلني أبا لأبناء الصّلب و أفلاذ القلب و حدهم، و لو خلقت بهم لحبوت و أبوت، و عثرت في مصلحتهم و كبوت، و لصنعت لهم ما تصنع الطّير لأفراخها... بل جعلني أبا لأبنائك كلّهم، يلوذون من علمي

بكنف رعاية، و يعوذون من حلمي بسور حماية، فأسوق ضالّهم ليهتدي، و أحتّ مهتديهم ليزداد هداية.

و رضيت فوق الرّضا بأبوتك لي أن رضيت ببنوتي لك، ويمينا لو تبرجت لي المواطن في حلها، و تطامنت لي الجبال بقلها، لتفتني عنك لما رأيت لك عديلا، و لا اتّخذت بك بديلا، و إذا كانت أوطان الإسلام كلّها وطن المسلم بحكم الدّين، فإنّ اختصاصك بالهوى و الحبّ من حكم الفطرة السّليمة، و لنا في رسول الله أسوة حسنة في حبه لمكّة و حنينه إليها .

و رضيت في أكمل الرّضى أن كان جهد المقلّ مني يرضيك، و ما هو إلاّ لبنة في بنائك، و قطرة في إنائك، و رعي لدمّتك، و سعي في كشف غمّتك، و رضيت من الجزاء على ذلك كلّه برضى الله و قبوله، فلا يهولنك فراغك مني أيّاما، فعسى أن يكون المسك ختاماً، و عسى أن تسعد بآثار غيبيتي أعواماً .  
أيها الوطن الحبيب:

إخوتك في الوطن العربي الأكبر رفاق سفر، و لكنّهم ساروا بالأمس و خلفوك، و ذكر بعضهم بعضاً و نسوك، فلتهنأ اليوم أنّ واحداً من أبنائك ألحقك بالسّائرين، ثم جلىّ بك فأصبحت في المقدّمة، و ذكرّ بك النّاسين، فلهجت باسمك الألسنة، و إنّهم شركة مساهمة لم يكن لك فيها سهم، فلتقرّ عينا بابنك الذي أصبحت به في الشّرّكة ذا سهم رابح، كما كنت به في موقف النّضال ذا سهم مصيب و أنت تدري من هو ذلك الابن .

أيها الوطن الحبيب:

أما الشوق إليك فحدّث عنه و لا حرج، و أما فراقك فشدّة يعقبها الفرج، و أما الحديث عليك فأزهار تَضَوّع منها الأرج، و أما ما رفعت من ذكرك فسل من دبّ و درج، و أما الانصراف عنك فأرجاف بالغى لم يجاوز صاحبه اللوى و المنعرج، و أما الأوبة فما زلت أسمع الواجب يهتف بي: أن يا بشير، إذا قضيت المناسك، فعجّل الأوبة إلى ناسك...

و سلام عليك يوم لقيت من عقبه و صحبه براء، فكنت شامخا مشمخرا، و يوم لقيت من بيجو و حزبه شرا، فسلمت مضطرا، و أمسيت عابسا مكفهرا، و للانتقام مسرا، و سلام عليك يوم تصبح حرّا، متهلّلا مفترّا، معتزّا بالله لا مغترّا .  
و معذرة إليك إذا كنت ارتخيت، ثم انتخيت، فإنّما هي نخوة الأباة الأشاوس، يدفعون بها وساوس الصدور، و يدفعون بها في صدور الوسائس .

### البنيات الصوتية:

العدد	البنية الصوتية	الحرف
36	تباري لطافته <u>لطافتك</u> ، و تساري <u>إطافته</u> <u>إطافتك</u> . وضعت <u>بإشارتك</u> و تأثرت <u>بإثارتك</u> . جهل الجاهلون <u>آثارك</u> فقالوا: ما <u>أسراك</u> ! طاب <u>مسراك</u> ، و صفا <u>مجراك</u> . لا جبلا نعمان يعترضان <u>مهيك</u> ، ولا عواصف الدبور تعارض <u>مدبك</u> . إبثت <u>أسراك</u> ، و <u>انثت</u> <u>أخبارك</u> .	الكاف

	<p>مشغول بهواك، عن سواك.          ما شغلت <u>عناك</u> إلا بك، ولا خرجت منك إلا عائدا إليك.          ما زلت أقارع <u>الغاصبين</u> لحقك في ميدان. و أكافح <u>العابثين</u>          بحرمانك في ميدان، و أعلم <u>الغافلين</u> من أبنائك في ميدان.          ما زلت ألقى الأذى فيك لذيذا، و العذاب في سبيلك عذابا،          و النصب في خدمتك راحة، و العقوق من بعض بنيك برا،          و الحياة في العمل لك سعادة، و الموت في سبيلك شهادة.          كان جهد المقل مني يرضيك، و ما هو إلا لبنة في بنائك،          و قطرة في إنائك، و رعي لذمتك، و سعي في كشف  <u>غمتك</u>.          ساروا بالأمس و خلفوك، و ذكر بعضهم بعضا و نسوك.          إذا قضيت <u>المناسك</u>، فعجل الأوبة إلى ناسك...</p>	
<p>28</p>	<p>تباري لطافته لطافتك، و تساري إطفاته إطفاتك          اجتمعت قلوب على هداية بها وألسنتهم على دعاية إليها، و          أيديهم على بناء لها.          كانوا للدعوة السلفية الإصلاحية <u>خزرجها</u> و <u>أوسها</u>، و كانوا          للنهضة الجزائرية <u>عمادها</u> و <u>أسها</u>.          لساني رطب بذكرها، و شخصي عنوان عليها و رمز إليها،          و أحاديثي تعريف بها و إغلاء لقيمتها، و محاضراتي في</p>	<p>الهاء</p>



	<p>المحافل الحاشدة في الشّرقيين هي فضائلها شائعة، و مفاخرها ذائعة، ومباخرها ضائعة، و أعمالها تمجيد لها و رفع لشأنها، و تنويه بنهضتها و تشريف لجمعية علمائها. سعدت بقاء كثير من عظماء الشرق و علمائه و أمرائه وقادة الرأي فيه. تبرّجت لي المواطن في حلّها، و تطامنت لي الجبال بقللها. هجر الجام و مديره، و الرّوض غديره.</p>	
23	<p>سلام عليك يوم لقيت من عقبه و صحبه برّاء، فكنت شامخا مشمخرا، و يوم لقيت من يبجو و حزبه شرّاء، فسلمت مضطرّاء، و أمسيت عابسا مكفهرا، و للانتقام مسرّاء، و سلام عليك يوم تصبح حرّاء، متهلّلا مفترا، معتزّا بالله لا مغترا . كتبت الأقدار علي أن لا أملك من أرضك شبرا، فهل تكتب لي أن أحوز في ثراك قبرا؟ الله في تقدير السنين أسرار، فيها تحسب الأعمار، وفيها تؤتي الأشجار الثمار، و فيها يتجدّد الحنين و الاديكار. كانتا دائما شغل خواطري، و نجوى سرائري. هجر الجام و مديره، و الرّوض غديره، إلى جفاه السّقر، و جفاء القفر. يجدونها .. بشاشة في الأسارير ورضى في السّرائر.</p>	الرّاء
18	أفضى إليك الشعراء بشجونهم، و ائتمنوك على جدهم	الميم

	<p>ومجونهم.</p> <p>علماء جلاهم الإسلام سيوفا، و براهم سهامها، و قومهم رماحا.</p> <p>كنت لك من عهد التّمائم إلى عهد العمائم.</p> <p>عشت شجي في حلوقهم، و كدرا لصفوهم.</p> <p>قام بها الكرام، و خاس بعهدا اللّئام .</p> <p>لا يهولنك فراغك مني أياما، فعسى أن يكون المسك ختاماً، وعسى أن تسعد بآثار غيبيتي أعواما .</p> <p>شبان ريّناهم للجزائر ..، و وترناهم لعدوها..</p> <p>يلوذون من علمي .. و يعوذون من حلمي ..</p>	
<p>16</p>	<p>جو ضاحك الصّفحة، و فضاء سافر الغرة.</p> <p>غذّت و ريّت.</p> <p>استكفيتني فيها فكفيت، و رميت بي في جوانبها فأبليت.</p> <p>لو خلقت بهم لحبوت و أبوت، و عثرت في مصلحتهم و كبوت</p> <p>معذرة إليك إذا كنت ارتخيت، ثم انتخيت</p>	<p>التّاء</p>
<p>13</p>	<p>تباري لطافته لطافتك، و تساري إطفاته إطفاتك.</p> <p>أورثت .. أنفا حميا، و فؤادا ذكيا.</p> <p>تراءت لها زخارف الدّنيا من وراء الدّنايا.</p>	<p>الياء</p>

	<p>كلّ ریح <u>سارية</u>... وما كلّ شجرة <u>وارية</u>. يلوذون من علمي بكنف <u>رعاية</u>، و يعوذون من حلمي بسور <u>حماية</u> لا ينكر هذا إلا <u>صبي</u> أو <u>غبي</u>، أو عقل وراءه <u>خبي</u>.</p>	
09	<p>حملتها <u>روحاً</u>، و أديتها <u>بوحاً</u>، و أعلنتها شذى و <u>فوحاً</u>. كنت بريد <u>الأرواح</u> إلى <u>الأرواح</u>. أنت يا صبا ریح، وكأنّ فيك قطعة من كلّ روح. لئن كان في الریح <u>لواقح</u> الأشجار، ففيك وحدك <u>لقاح</u> <u>النفوس</u>.</p>	الحاء
08	<p>احتملت غثاً و <u>سمينا</u>، و كنت على الأسرار <u>أمينا</u>. لا <u>يغريني</u> بالإقدام على غيرها إلا <u>يقيني</u> يلوذون..... يعوذون..... أحكك <u>بالسائرین</u>، ..و نكرّ بك <u>الناسين</u>.</p>	النون
07	<p>ألفاظ غير <u>مكتوبة</u>، و معان غير <u>مكتوبة</u>. يجد فيها كلّ <u>غريب</u> أنسا، و كلّ <u>حبيب</u> سلوى، و كلّ <u>مكروب</u> تنفيسا. لم يجعلني أبا لأبناء <u>الصّلب</u> و أفلاذ <u>القلب</u> و حدهم.</p>	الباء
07	<p>إلى كلّ من تديرّ الجزائر من إخوان <u>الصّدق</u>، و أحلاف <u>الحق</u>.</p>	القاف

	<p>خَطَّت الأقدار في صحيفتي أن أفتح عيني عليك و أنت  <u>موتقة</u>، فهل في غيب الأقدار أن أغمض عيني فيك و أنت  <u>مطلقة</u>؟</p> <p>لئن كان فيها ما <u>يحرق الورق</u>، ففيك وحدك ما يطفئ  <u>الحرق</u>.</p>	
06	<p>شبان ربيناهم للجزائر <u>أشبالا</u>، و وترناهم لعدوها قسيًا و نبالا          .</p> <p>...لما رأيت لك <u>عديلا</u>، و لا اتخذت بك <u>بديلا</u> / <u>خلال</u>  <u>كلها جلال</u>.</p>	اللام
05	<p>أرتاع و ألتاع / فضائلها <u>شائعة</u>، و مفاخرها <u>ذائعة</u>،  <u>ومباخرها ضائعة</u>.</p>	العين
05	<p>أما الشوق إليك فحدث عنه و لا <u>حرج</u>، و أما فراقك فشدّة          يعقبها <u>الفرج</u>، و أما الحديث عليك فأزهار <u>تضوع</u> منها  <u>الأرج</u>، و أما ما رفعت من ذكرك فسل من دبّ و <u>درج</u>، و          أما الانصراف عنك فأرجاف <u>بالغى</u> لم يجاوز صاحبه اللوى  <u>و المنعرج</u>.</p>	الجيم
04	<p>خذ من آثارهم بما <u>يجدي</u>، فكلكما <u>نجدي</u>.</p> <p>قلنا الجزائر <u>الخالدة</u> و ليس بمستكر أن تجمع الجزائر <u>كلها</u>          في <u>واحدة</u>.</p>	الدال

04	كنت لي <u>ماخطة الغرس</u> ، و <u>ماشطة العرس</u> . السيّين هي نخوة الأبوة <u>الأشاوس</u> ، .. يدفعون بها في صدور <u>الوساوس</u> .
04	طالما <u>طرقتني</u> منها <u>أطياف</u> ، كأنّها <u>أسياف</u> . صوّرنا منهم نماذج للجيل <u>الزّاحف</u> <u>بالمصاحف</u> .

الملاحظ بعد العملية الإحصائية للبنيات الصوتية المرصودة أنّ الأصوات المفردة قد توزّعت على الأحياز الأربعة السابقة الذكر، وأنّ أصوات حيّزي الأسنان والحنك هي التي هيمنت على نصّ هذه الرسالة، حيث بلغ عددها جملة 122 صوتا مفردا ، وجاءت على الشكل التالي:

تعدادها الإجمالي	الأصوات المفردة وعددها	الحيّز
61	الراء + التاء + النون + اللام + الدال + السيّين	<u>حيّز</u> <u>الأسنان</u>
	4 + 4 + 6 + 8 + 16 + 23	
61	الكاف + الياء + القاف + الجيم	<u>حيّز الحنك</u>
	5 + 7 + 13 + 36	
42	هـ + ح + ع	<u>حيّز الحلق</u>
	5 + 9 + 28	
29	م + ب + ف	<u>حيّز</u> <u>الشفّتين</u>
	4 + 7 + 18	

وإذا نظرنا إلى هذه الأصوات المفردة من جهة صفاتها، سوف يتبين لنا أنّ الكاتب استثمر الأصوات الشديدة والمتوسطة والرخوة. وحسب ابن جنّي أنّ «الشديدة ثمانية أحرف، وهي: الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والدال، والتاء، والباء، ويجمعها اللفظ "أجدت طبقك" و"أجدك طبقت". والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية أيضاً، وهي: الألف، والعين، والياء واللام، والتون، والراء، والميم، والواو، ويجمعها اللفظ: "لم يرو عتاً"، وما سوى هذه الحروف والتي قبلها هي الرخوة.»<sup>1</sup> والملاحظ أنّ الأصوات الشديدة وصل عدد الموظّف منها إلى ستة (6)، أنواع، وبلغ عددها الإجمالي خمسة وسبعين (75) صوتاً شديداً، كما استخدم الكاتب الأصوات الرخوة - أيضاً - ولكن بدرجة أقلّ، حيث بلغ عددها أربعة (4) أنواع، أمّا تعددها الإجمالي فوصل إلى (45) صوتاً رخواً. واستخدم كذلك ستة (6) أنواع من الأصوات المائعة، وبلغ عددها الإجمالي ثلاثة وسبعين (73) صوتاً متوسطاً. والرّسم التّخطيطي الآتي يبرز هذا التّمايز في استخدام هذه الأصوات.

### الأصوات الشديدة:

العدد الإجمالي	الدال	الجيم	الباء	القاف	التاء	الكاف
75 صوتاً شديداً	4	5	7	7	16	36

### الأصوات الرخوة :

العدد الإجمالي	الفاء	السين	الحاء	الهاء
45 صوتاً رخواً	4	4	9	28

<sup>1</sup> - أبو الفتح عثمان بن جنّي «سر صناعة الإعراب، ج1، تح: حسن هندايوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993، ص: 61.

الأصوات المتوسطة (المائعة) بين الشدة والرخاوة:

العدد الإجمالي	العين	اللام	النون	الياء	الميم	الراء
73 صوتا متوسطا	5	6	8	13	18	23

ما يلاحظ بعد هذه العملية الإحصائية أنّ الأصوات السابقة الذكر فرضت وجودها في النصّ، وأنّ الكاتب جعلها من أهمّ خياراته، لأنّ موحياتها أكثر توافقاً مع المعاني التي باح بها بشأن علاقته بوطنه، زيادة على ذلك أنّها أكثر تعبيراً عن أحاسيسه ومشاعره وحاجاته،<sup>1</sup> كما أنّه استخدم هذه المواد الصوتية -باعتبارها أدوات فنيّة - ليعبر عمّا خطر في ذهنه، وما اختلجت به نفسه من خواطر وأفكار، مراعيًا في هذه الاستقدمات اللغوية المتنوّعة ما يتناسب مع المعاني التي أراد البوح بها، « وكما قُسم المعنى إلى عنيف ورقيق يمكن أن تُقسّم الحروف إلى قسمين: أحدهما ينسجم مع المعنى العنيف والآخر يناسب المعنى الرقيق الهادئ، ومرجع هذا التقسيم في الحروف صفاتها ووقعها في الآذان، و ربّما كانت الأحرف الآتية أنسب الحروف للمعاني العنيفة: الخاء-القاف- الجيم -الضاد - الطاء - الظاء - الصاد».<sup>2</sup>

وإذا قارنا بين ماذهب إليه إبراهيم أنيس في تقسيمه للأصوات اللغوية مع الخيارات الصوتية التي استخدمها البشير الإبراهيمي فإننا نجد أنّ الأصوات الهادئة الرقيقة هي الأكثر شيوعاً في هذه الرسالة، ومرجع ذلك - في تصوّري -

<sup>1</sup> ينظر: أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ج3، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط، دت، ص(264-265).

<sup>2</sup> إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص:41.

هو غربة الكاتب عن وطنه، وحنينه إليه، وتوقه إلى أن تكتحل عيناه برؤيته. فالرسالة مليئة بالتّحايا وتعابير الاعتذار والاستعطاف والأمانى، ولذلك انسأقت الأصوات اللّغوية على سمت المعاني المستهدفة.



# الفصل الثاني

## المستويات الأسلوبية الصرفية في أدب البشير الإبراهيمي

التّصريف يحتاج إليه جميع أهل العربية أتمّ حاجة، وبهم إليه أشدّ فاقة، لأنّه ميزان العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الدّاخلية عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلّا به.

ابن جنّي، المنصف، ص: 2

## المباحث

دراسة صرفية لأرجوزة هزلية، بعنوان: رواية الثلاثة.

المبحث الأول: توطئة حول المستوى الصرفي.

المبحث الثاني: أبنية الأسماء.

المبحث الثالث: أبنية الأفعال:

المبحث الرابع: أبواب الأفعال ومعانيها.

المبحث الأول:

## المستوى الصرفي المورفولوجي (Morphologie)

يعتبر التصريف أشرف شطري العربية، وأغمضهما: فالذي يبيّن شرفه احتياج جميع المشتغلين باللغة العربية، من نحوي ولغوي إليه أيما حاجة، لأنه ميزان العربية؛ إذ لا يتمّ القياس والاشتقاق والإعلال والإبدال والقلب والنقل والإدغام وغيرها إلاّ بمعرفته، و ما يدلّ على غموضه كثرة ما يوجد من السّقطات فيه لجلّة العلماء.<sup>1</sup> «فبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الدخيلة عليه، ومن فاته هذا العلم فاته المعظم.»<sup>2</sup>

يعدّ المستوى الصرفي المرحلة التي يأخذ فيه الباحث في اللغة تلك الجذور والأصوات، ويبعث فيها الحياة بإضافة حروف الذّلاقة إليها ليحوّلها إلى مفردات (كلمات، مورفيمات)، و با عتباره أحد فروع اللّسانيات، وأحد مستويات التّحليل اللّغوي فإنّه يعنى بتناول البنية بمعزل عن التّركيب، فيقوم بتحليلها لمعرفة جذرها ووزنها الصرفي، وما طرأ عليها من زيادة أو نقصان أو إعلال أو إبدال أو إدغام أو قلب، وأثر ذلك في المعنى، بالإضافة إلى معرفة ما اتّصل بها من سوابق ونوع تلك السّوابق، وما لحقها من ضمائر أو لواحق ومكونات تلك الضّمائر واللّواحق،

<sup>1</sup> ينظر: ابن عصفور الإشبيلي، الممتع في التصريف، ج 1، تخ: فخر الدين قباوة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص: (27-28-29).

<sup>2</sup> أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، تخ: أبو الأشبال أحمد بن سالم المصري، دار الكيان للطباعة والنشر، الرياض، (د ط، د ت)، ص: 15. وينظر أيضا: العلامة محمد بن مالك الطائي النحوي، إيجاز التعريف في علم التصريف، تخ: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2009، ص: 5.

ومعرفة نوع الكلمة نفسها ؛ اسما أو فعلا أو حرفا، إلى غير ذلك من التوصيفات الصرفية التي تخص كل قسم من أقسام الكلم العربي.

في الوقت الذي كان اللغويون القدامى يعتمدون على الكتابة في تحديد الكلمة أثناء التعامل مع قضايا علم الصرف؛ فكل مجموعة من الحروف تكتب مجتمعة وتأخذ شكلاً مستقلاً في الكتابة اعتبروها كلمة، نجد أن علماء اللغة المحدثين يتعاملون مع مسائل الصرف على أساس صوتي، بتركيزهم على الوحدة الصرفية (Morphème)، وتطلق الأبحاث الحديثة على هذا الدرس مصطلح (المورفولوجيا) وهو يشير عادة إلى دراسة الوحدات الصرفية أي: "المورفييمات" دون أن يتطرق إلى مسائل التركيب النحوي، وعلى الرغم من أن هذا الدرس درس محدث فإن معظم اللغات المعروفة -الحديثة والقديمة- عبرت عما تشير إليه المورفييمات كالصيغ والمقولات الصرفية والنحوية، كما حفلت بالجدول التصريفية، التي حددت أزمنة الأفعال، وهذا الدرس التقليدي للصرف لم يكن مستقلاً بذاته لأنه كان يُتناول ضمن القواعد النحوية؛ إذ اعتبرت معظم الدراسات اللغوية القديمة النحو علماً شاملاً للصرف والإعراب مع أن كلا منهما يحظى باستقلال المسائل ووضوح الحدود الفاصلة بين هذا وذاك.

نظراً لأن الإعراب لا يقوم إلا على معطيات الصرف فإن النحاة القدامى مهّدوا لأبواب الدراسة بالحديث عن اللفظ وأقسامه، وعن الشروط الصرفية التي لا يصحّ بها هذا الإعراب أو ذاك، و تنبّه علماءنا القدامى إلى الصلة الوثيقة بين الأصوات والتغييرات الصرفية حين قدّموا لأبواب الإدغام والبدل ونحوهما بعرض الأصوات العربية ومخارجها وصفاتها وما يأتلف منها في التركيب وما يختلف، وأكد ابن

جني : أنّ الأولى تقديم درس الصّرف على درس الإعراب: لكون «التّصريف إنّما هو لمعرفة أنفس الكلمات الثّابتة، والنّحو إنّما هو لمعرفة أحواله المتقلّبة»<sup>1</sup>، كما قيل فيه أيضا: «إنّ الصّرف عبارة عن العلم بذات الكلم، أي جوهرها من حيث معرفة الأصل منها، والزّائد والصّحيح والمعتل والتّام والنّاقص، والمظهر والمدغم والمبدل، والأصل والفرع. كما أنّه: العلم بأصول تعرف بها أصول أبنية الكلم التي ليست بإعراب، ليدخل فيه ماخرج من الأوّل.<sup>2</sup> أي أنّ التّصريف يستهدف معرفة ذوات الكلم وأصولها في أنفسها منفردة ومنعزلة عن التّركيب.

### الأقسام الرئيسيّة التي تنظّم المسائل الصرفية: ثلاثة هي:

**الأولى:** تصرّف الكلمة لغاية معنوية، وفيه: الاشتقاق وأنواعه، و النسب والتّصغير، والزّيادة ومعانيها، ومسائل التّعريف والتّكثير والتّذكير والتّأنيث والتّثنية.

**الثانية:** وحدات التّغيير التي تدخل على الكلمات لغير غاية معنوية مثل الإعلال والإبدال والقلب والنّقل والإدغام ومسائل أخرى كالوقف والإمالة والتقاء الساكنين.

**الثالثة:** مسائل التّمرين: وهي تطبيقات على قواعد الصّرف جيء بها لتدريب الطّلاب على إتقان التّصريف.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ابن جني ، المنصف، شرح لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، ج1، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، ط1، 1954، ص4.

<sup>2</sup> ينظر: علي موسى الشّوملي، ج1 ، شر: ألفية ابن معطي ، مكتبة الخريجي، الرياض، ط5، 1985، ص1313.

<sup>3</sup> - ينظر: هادي نهر، الصرف الوافي- دراسات وصفية تطبيقية- عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2010، ص10-11

## الوحدات الصرفية أو المورفيمات:

تعددت تعريفات المورفيم وتمايزت، لكنّه بشكل عام يعني أصغر وحدة صرفية في لغة ما ذات معنى، وتتمثل المورفيمات أساساً في الكلمات واللواحق واللواحق والدواخل وتنقسم هذه الوحدات الصرفية إلى ثلاثة أقسام هي:

**1- مورفيمات حرّة "مستقلة":** وهي التي تقوم بذاتها وتعبر عن محتواها الدلالي بذاتها، مثل: فَتَحَ، وُلِدَ، بَنَتَ، والضّمائر المنفصلة: هو، هي، أنا، أنت...إلخ.

**2- مورفيمات مقيدة:** وهي التي لا يمكن أن تقوم بذاتها ولا تعبر عن معناها بذاتها وإنما تقترن بما يوضّح معناها، مثل: الضّمائر المتصلة أو السوابق واللواحق. مثال: (كَتَبَ) عبارة عن مورفيم مستقلّ، بينما الواو في (كتبوا) ضمير متّصل دالّ على جماعة الفاعلين الغائبين الذكور، وهذه الواو مورفيم مقيد لا يشكّل دلالة مستقلة لوحده، وهذه الوحدات الصرفية تردّ إمّا قبل الكلمة أو بعدها أو في وسطها على شكل مبانٍ زائدة عن الأصل.

**3- المورفيم الصّفري:** هذا النوع لا وجود له في الرّسم الكتابي، وإنما هو في الصّورة الموضوعية في الذّهن مثل الضّمائر المستترة والصّيغ في المشتقّات، والإسناد في الجملة<sup>1</sup> وتجري أنواع الوحدات الصرفية على هذا الشّكل:

أ. الصدّور أو السّوابق: يسمّى بالإلصاق ويظهر في البنية العربية عبر (ال) التّعريف، وحروف المضارعة (أنيت) وهمزة التّعدية في وزن (أفعل)، مثل: أخرج، والألف والسّين والتّاء في وزن استفعل، مثل استغفر، استرضى.

<sup>1</sup> - ينظر: عبدالقادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، سلسلة الدراسات اللغوية، دط، 1998 ص: 107 إلى 112.

ج. الأعجاز أو اللواحق: تتمثل اللواحق<sup>1</sup> في: التأنيث عن طريق إضافة ألف القصر أو ألف المدّ، أو التاء، وفي إضافة ياء النسب وفي الضمائر المتصلة مثل: واو الفاعلين، تاء الفاعل، نون النسوة، ياء المؤنثة المخاطبة، ألف الاثنين، نون الوقاية، وعلامات التثنية والجمع . كما تظهر -أيضا- في النحت الذي اعتبره العرب القدامى من الصيغ الإلصاقية، ومن أمثلة ذلك: قولنا حوقل: أي قال: لاحول ولا قوة إلا بالله. أو بسمل أي قال: بسم الله الرحمن الرحيم<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الإلحاق: (عرفه الصّبان نقلا عن الدّماميني بأنه جعل ثلاثي أو رباعي موازنا لما فوقه. و عرفه غيرهما بأنه زيادة حرف على أصول الكلمة لا لغرض معنوي بل لتوازن بها كلمة أخرى كي تجري الكلمة الملحقة في تصريفها على ما تجري عليه الكلمة الملحق بها.) ينظر: محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، بيروت، ط1، 1985، ص:2001.

<sup>2</sup> نفسه ، ص:70 إلى 73.

دراسة صرفية لأرجوزة هزلية، تحت عنوان:

رواية الثلاثة؛ حول الرئاسة والرؤساء والحكام<sup>1</sup>

نص الأرجوزة

1. أعطوا الرئاسة حقَّها ----- أعطوا الرئاسة حقَّها
2. إنَّ العقوق مزلَّة ----- تعس امرؤ قد عقَّها
3. الحرّ يعلي شأنها ----- والغرُّ<sup>2</sup> يبغي محققها
4. إنَّ الرُّؤوس رئيسة ----- لم تعدُّ فينا أفقَّها
5. الله أحسن صوغها ----- وأجلَّها وأدقَّها
6. أو ما تراها أشرفت ----- لا شيء يعلو فوقها
7. ما القول فيمن حطَّها ----- ما القول فيمن دقَّها؟
8. أو هدَّها أو قطَّها<sup>3</sup> ----- أو شجَّها أو شقَّها
9. حقُّ على الرُّؤساء أن ----- يعطوا الجماعة ثِقَّها
10. هم معشر لا يملكو ----- ن من الجماعة رِقَّها
11. وعليهم أن يحسنوا ----- تصرِّفها أو سوقها
12. وعليهم أن يحملوا ----- ما قد تجاوز طوقها
13. وعليهم أن يجنُّوا ----- ما لا يلائم ذوقها

<sup>1</sup> البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص: من (80 إلى 83).

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج5، مادة غرر، الغر والغرير = الشاب الذي لا تجربة له، والذي لا يظن للشر ويغفل عنه. ص 3235.

<sup>3</sup> نفسه، مج5، مادة: قطط: القط: هو القطع عامة، وقيل: هو قطع الشيء الصلب، ص: 3671.



14. وعليهم أن يرهبوا ----- ربا تولى خلقها
15. وعليهم أن يفلقوا ----- رأسا يحاول فلقتها
16. وعليهم أن يسحقوا ----- خلقا يسبب سحقتها
17. وعليهم أن يقتلوا ----- بُرغوثها أو بقها
18. وعليهم أن يحفظوا ----- أبدا عليها رزقها
19. وعليهم أن يجرعوا ----- محض الحياة ومذقتها
20. وعليهم أن يتبعوا ----- يسر الأمور ورفقها
21. و عليهم أن يجمعوا ----- بعصا الكياسة فرقها
22. و على الجماعة أن تفي ----- لهم وتعطي صفقتها
23. تعنوا لهم وتمدّ في ----- الطّاعات دأبا<sup>1</sup> عنقها
24. إن كنت كبش كتيبة ----- فاغش الكتيبة وألقها
25. فالخيل في الهبوات تع ----- رف هجنها<sup>2</sup> أو عتقها<sup>3</sup>
26. إنّ البروق كواذب ----- والغيث يظهر صدقتها
27. و السّحب لا تحيي الثرى ----- ما لم تتابع ودقها<sup>4</sup>
28. إنّ الفخار معارج ----- من يخشها لا يرقها
29. والنّخلة القرواح<sup>1</sup> لا ----- تجني التّابل<sup>2</sup> عذقها

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج2، مادة : دأب، الدأب: العادة والملازمة، ص:1310.

<sup>2</sup> نفسه، مج6، مادة هجن، الأزهري:الهجين من الخيل الذي ولدته برذونة من حصان عربي. ص:4625---4626.

والبراذين من الخيل: ما كان من غير نتاج العرب. مج1، مادة : البرذون ، ص252.

<sup>3</sup> نفسه، مج4، مادة عتق، عتقها: العتيق الكريم الرائع من كل شيء. و فرس عتيق : رائع كريم بين العتق، ص: 2799.

<sup>4</sup> - نفسه، مج6، ودقها: مادة ودق: الودق: المطر كله شديده وهينه، وقد ودق يدق ودقا أي قطر. ص4800.

30. إنّ الفضيلة خمرة ----- فأت المحامد تسقها
31. هي خمرة الأرواح لا ----- أعني المُدام وزقّها<sup>3</sup>
32. إنّ العوالم أفصحت ----- ووعى الغيالم نطقها
33. المجد حصّة من سعى ----- بالجدّ ينفض طرُقها
34. خاض الصّواعق لم يهب --- في جوّ جربة صعقها
35. ومن الذّوابل سمرها ----- ومن الأسنّة زرقها
36. يلقي الخطوب عوابسا ----- بشّ الأسيّرة طلقها
37. أسرار ربّك بعضها ----- عقل تولّى خرقها
38. العلم يسرّ فتحها ----- والجهل عسرّ غلقها
39. إنّ شئت تفقه سرّها ----- فاقرا الحوادث وافقها
40. لا تستجيب لقاعد ----- فالق المكارم تلقها
41. و الأرض لا تعطي الغنى --- إنّ لم تجوّد عزقها<sup>4</sup>
42. إنّ الحياة موارد ----- للحقّ صابت غدقها<sup>5</sup>
43. فالذّمّر<sup>6</sup> يشرب صفوها ----- والعُمر<sup>7</sup> يشرب رنقها<sup>1</sup>

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج5، مادة قرح، القرواح: الجرداء الملساء الطويلة ص:3574.

<sup>2</sup> نفسه، مج1، مادة تنبل التنابل= الصغار. ص450.

<sup>3</sup> نفسه، مج3، مادة زق، الزق= هو الذي تنقل فيه الخمر. ص1845.

<sup>4</sup> نفسه، مج4، مادة عزق، عزقها= عزق الأرض يعزقها عزقا: شقها وكريها. وأرض معزوقة إذا شققنتها بفأس أو غيره. ص2929.

<sup>5</sup> نفسه، مج5، مادة: غدق: الغدق: المطر الكثير العام، أو الماء الكثير، ص:3218.

<sup>6</sup> نفسه، مج3، مادة: نمر، الذّمير: الشجاع، ص1515.

<sup>7</sup> نفسه، مج5، مادة: غمر، الغمر: الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور، ص:3295.

44. إنَّ الليالي لجة ----- و الكَلَّ يحذر غرقها
45. تزجي إلى كرمائها ----- دُهم<sup>2</sup> الخطوب وبلقها
46. ذو اللَّب يلبس لليالي ----- كيسها أو حمقها
47. خير الرِّجال السَّابقين ----- فتىَّ يجاري شبقها
48. نَسَقَ الأمور قلائدا ----- غرًّا فأحسن نسقها
49. وَسَقَ العظامم محملا ----- خِفًّا فأجمل وسقها<sup>3</sup>
50. ما هاب في غمراتها ----- رعد الخطوب وبرقها
51. شرَّ الخلائق أمة ----- علم المهيمن فسقها
52. فأذلها وأقلَّها ----- عدًّا وقتَّر رزقها
53. ضاعت وإن كثر الحسا ----- أم أضاعت خُلُقها
54. أو ما ترى أن قد علا ----- غربُ الممالك شرقها
55. إنَّ الأكارم عصابة ----- نَمَت المكارم عرقها
56. في الجاهلية قُسُّها ----- أوفى فعفى شَقُّها
57. ثم انبرى الإسلام يرتُق<sup>4</sup> ----- بالفضيلة فتقها
58. النُّور منبعث السنَّا ----- يهدي العوالم رشدها
59. والعلم يقتاد الحجى ----- للحقَّ يذكي سوقها

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج3، مادة: رنق، الرنق: تراب في الماء من القذى ونحوه، ص: 1744.

<sup>2</sup> أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، مادة: دهم: يدل على غشيان الشيء في ظلام، والدهمة: السواد، ص: 307.

<sup>3</sup> نفسه، مج4، مادة وسق، وسق = جمع. ص: 4837

<sup>4</sup> نفسه، مج3، مادة رنق: الرنق: ضد الفتق. ابن سيده: الرنق إلحام الفتق وإصلاحه، ص: 1577.

60. حذقت فنون العلم ----- والتأريخُ سجل حذقها
61. خفقت بنودهم على - ----- كلّ الممالك خفقا
62. سل (طارقا) وسلّ المدائن ----- إذ تولّى طرّقا
63. وإلى الفتوح جلائلا ----- غرّا ومهدّ طرّقا
64. سل بالمشارك عنهم ----- بغدانا ودمشقا
65. مهدّ المعارف منهما ----- نشق الأعاجم نشقا<sup>1</sup>
66. عبقت بريّاها المشارق ----- والمغارب عبّقا
67. حتى انبرى التّفريق يفتق ----- بالرزيلة رتقا
68. رشقتهم نبلُ العدا ----- والدّهر سدّد رشقا
69. مَشَقَّ<sup>2</sup> السيّوف لحريهم ----- جهرا وواصل مشقا
70. يا ساخرا بي كلّما ----- سمع الحقيقة قهقا
71. الخير ما بيّنته ----- والشّرّ أن لا تفقا

### أولاً: أبنية الأسماء.

إنّ القارئ لهذه الأرجوزة الشعريّة يتراءى له منذ الوهلة الأولى ذلك الكمّ الهائل من الأسماء الذي استخدمه الكاتب، فإذا ما استثنينا الضمائر منها، فسنجد أنّ عددها وصل إلى مائتين وثلاثة وعشرين اسما موزّعا على أنواع عدّة، و ذلك

<sup>1</sup> أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ، مج6، مادة نشق: انتشق الماء في أنفه واستنشقه: صبه فيه. واستنشقت الريح: شممتها. والنشاق: الريح الطيبة، ص:4431.

<sup>2</sup> نفسه، مج 6، مادة مشق، المشق: جذب الشيء ليمتد ويطول، والسير يُمشق حتى يلين، والوتر يُمشق حتى يلين ويُجوّف، ومشق الوتر: جذب ليمتد، ص:4211.

لأنّ « الأسماء أدلّ على مسمياتها، والمسميات حقائق تاريخية ذات وجود شرعي».<sup>1</sup>

من هذا المنطلق عرّف علماء اللّغة الاسم بالقول: أنّه ما يعرف به الشّيء، ويستدلّ به عليه. و عرّفه النّحاة بقولهم: بأنّه ما دلّ على معنى غير مقترن بزمن، نحو: رجل و فرس.<sup>2</sup> «ومن خواصّه: دخول اللّام، والجرّ، والتّنوين، والإضافة، والإسناد إليه».<sup>3</sup> غير أنّها تختلف عن بعضها من جهة الحجم، «فأقلّ ماجاء منها على حرفين مثل (من) و(ما) وما أشبه ذلك. وليس يجوز أن يكون اسم أقلّ من حرفين».<sup>4</sup>

يرى بعض علماء اللّغة أنّ الأسماء بمختلف صيغها أعمّ وأشمل وأثبت في الدّلالة من الفعل، فهي تدلّ على الاستقرار والاستمرار والثّبات على وضع معيّن، ومرجع هذا هو خلوّها من عنصر الزّمن، عكس الأفعال التي تكسب النّص حركية وحيوية ونشاطا، بحكم توفّرها على عنصر الزّمن؛ ولذلك فالنّص الأدبي الغني بالأشكال الاسمية يمكنه أن يوحي بعدة دلالات تتعلّق بالسّكون واللاّحركة والجمود، وهذا التّنوع في استخدام الاسم واضح في هذه الأرجوزة.

<sup>1</sup> عبدالمالك مرتاض، المرجع نفسه، ص 69.

<sup>2</sup> راجي الأسيّم، المعجم المفصّل في علم الصرف، مرّ: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص: 80.

<sup>3</sup> العلامة: ابن حاجب، كافية، مكتبة البشري، كراتشي، باكستان، ط2، 2011، ص: 9.

<sup>4</sup> أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1980، ص: 53.

صيغ المصادر:

من جملة الأسماء التي وظّفها الإبراهيمي بكثرة في هذه الأرجوزة: المصدر. الذي خاض فيه علماء اللغة كثيرا، لكونه عماد اللغة وأصل المشتقات، ففضله اتّسعت وامتدّت، فتكثّفت المعاني والدلالات التي يؤديها، زيادة على دلالاته الصرفية؛ فقد ينوب عن فعل الأمر والمضارع والماضي و يؤدي وظيفة، كما قديؤدي صفة المفعول أو الفاعل كم في قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وجاؤوا على قميصه بدم كذب﴾ أي: مكذوب، وقوله تعالى في سورة الملك: ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا..﴾ أي: غائرا وهكذا،<sup>1</sup> و من ضمن ما قيل في المصدر: أنّه هو اللفظ الدالّ على حدث، مجرد عن الزّمان، متضمّنا أحرف فعله. و هو نوعان:- مصدر الفعل الثلاثي-ومصدر الفعل فوق الثلاثين،<sup>2</sup> غير أنّ ابن جنّي وابن يعيش اتّفقا على أنّ المصدر صيغة تدلّ على الحدث والزّمن المطلق، يقول ابن جنّي: «اعلم أنّ المصدر كلّ اسم دلّ على حدث وزمان مجهول».<sup>3</sup>

أمّا ابن يعيش فقال: «إنّ المصدر يدلّ على زمن، إذ الحدث لا يكون إلّا في زمان غير متعيّن»،<sup>4</sup> لكن قد تُعينه على الزّمن المطلوب قرينة لفظية أو معنوية، لكونه ينوب عن الفعل داخل السّياق اللّغوي، فيعمل عمله، ويدلّ على زمنه. مثل:

<sup>1</sup> ينظر: فاضل مصطفى السّاقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشّكل والوظيفة، تق: تمام حسان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دط ، 1977، ص:274/275.

<sup>2</sup> ينظر: علي بهاء الدين بوخود، المدخل الصرفي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1988 ، ص:103.

<sup>3</sup> أبو الفتح عثمان بن جنّي، اللمع في العربية، تح: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، الأردن، دط ، 1988، ص:44.

<sup>4</sup> موفق الدين ابن يعيش، شرح المفصل، ج7، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دت، ص:2.

عجبت من ضربك زيدا أمس، أي عجبت من أن ضربت زيدا أمس. وهكذا تحدّد زمنه في الماضي بفضل قرينة -أمس- . كما تمّ تعريفه - أيضا - على أنّه : اسم للحدث الجاري على الفعل، وهو من الثلاثي المجرد سماع، ومن غيره قياس.<sup>1</sup>

إنّ ما يسجّل على الإبراهيمي في هذه الأرجوزة هو الاستدعاء المكثّف للأسماء، وإقحامه داخلها عددا معتبرا من المصادر ليعبّر عن موقفه من الرئاسة والرؤساء والحكام، ويبدو أنّ رهانه بدرجة كبرى تعلق بمصادر الفعل الثلاثي المجرد، لأنّ فيها « وفرة وغنى وتلوين مدهش، وتنوع عجيب عبّرت فيه العربية عن مراعاة الفرق بين المعاني، والمخالفة بينها أدقّ تعبير، حتى يمكننا القول أنّ هذا الباب شاهد على دقّتها، وإحكام أمرها»<sup>2</sup>. إذ أنّ كلّ صيغة صرفية لها هويتها وشخصيتها الخاصة بها، و تعبّر عن معنى مستقلّ عن الصيغ الأخرى، وهذا ما أشار إليه العقّاد وأكد عليه في مؤلّفه: أشتات مجتمعات في اللّغة والأدب.<sup>3</sup>

«و الأفعال تكون من هذا على ثلاثة أبنية: على فَعَلَ يَفْعُلُ، وفَعَلَ يَفْعُلُ، وفَعَلَ يَفْعُلُ»<sup>4</sup> ويكون المصدر فعلاً، و الاسم فاعلاً،<sup>4</sup> و يُظنّ أنّ وزن المصدر الأصلي للثلاثي (فَعَلَ) لكثرتة، وأوزانه كثيرة و هي سماعية، لكلّ فعل مصدر على وزن خاصّ، وهناك ضوابط غالبية تتبع المعنى وهذا بيانها:

### 1-الغالب فيما دلّ على حرفة أو شبهها أن يكون على وزن (فَعَالَة) مثل: تجارة.

<sup>1</sup> ابن حاجب، نفس المرجع، ص137-138.

<sup>2</sup> علي كاظم المشري، الفروق اللغوية في العربية، دار صفاء للنشر، عمان، ط1، 2011، ص: 276.

<sup>3</sup> ينظر: عباس محمود العقّاد، أشتات مجتمعات في اللّغة والأدب، دار المعارف، القاهرة، ط6، دت، ص (64-65).

<sup>4</sup> سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب، ج4، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة

، دار الرفاعي بالرياض، ط2، 1982، ص:5.

- 2-الغالب فيما دلّ على اضطراب أن يكون على وزن (فَعْلان).  
 3-الغالب فيما دلّ على امتناع أن يكون على وزن (فِعَال) مثل: إباء.  
 4-الغالب فيما دلّ على داء أن يكون على وزن (فُعَال) مثل: صداع.  
 5-الغالب فيما دلّ على سير أن يكون على وزن فعيل مثل: رحيل.  
 6-الغالب فيما دلّ على صوت أن يكون على وزن (فُعَال) أو (فَعِيل) مثل: عواء، أنين.

- 7-الغالب فيما دلّ على لون أن يكون على وزن (فُعَلَة) مثلك صُفْرَة.  
 وفي غير هذه المعاني يغلب أن يكون مصدر المتعدّي من باب (نَصَرَ) و(فَهِم) على وزن فَعَلٍ ك نصرٍ وفهيمٍ، ومصدر اللازم من (فَعَلَ) على وزن (فُعُول) مثل: صعود. و مصدر اللازم من (فَعِل) على وزن (فَعَلِ) مثل: ضَجَرَ. ومصدر اللازم من (فَعَلَ) على وزن (فُعُولَة) او (فَعَالَة) مثل: سهولة وشجاعة.<sup>1</sup>  
 وفيما يلي جدول إحصائي لاستعمال المصدر في هذه الأرجوزة.

مَحَقَّ	صَوَّغَ	قَوَّلَ	سَوَّقَ	طَوَّقَ	ذَوَّقَ	خَلَّقَ	فَلَّقَ	سَحَقَ	عَدَّ	فَعَلَ
مَذَّقَ	فَرَّقَ	صَفَّقَ	صَعَّقَ	طَلَّقَ	خَرَّقَ	فَتَّحَ	غَلَّقَ	عَزَّقَ	بَشَّ	
غَدَّقَ	رَنَّقَ	غَرَّقَ	شَبَّقَ	نَسَّقَ	وَسَّقَ	شَقَّ	فَتَّقَ	خَفَّقَ	مَهَّدُ	
طَرَّقَ	نَشَّقَ	رَثَّقَ	رَشَّقَ	مَشَّقَ	شَرَّ	طَرَّقَ	خَلَّقَ	سَوَّقَ	حَقَّ 2	
وَدَّقَ	رَشَّدَ	جَهَّرَ	صَفَّوْ	جَهَّلَ	مَحَضَّ	مَجَّدَ	عَدَّ			
<b>المجموع: 49 صيغة.</b>										

<sup>1</sup>- ينظر: سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد العربية، ع/ج 1، دار الفكر، بيروت - لبنان، دط، 2003م. ص163.

وينظر: عبد القاهر الجرجاني، كتاب المفتاح في الصرف، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1987  
 ص: من (63-إلى 66) .



فُعْل	يُسْر	عُسْر	نُطِق	حُمِق	دُهْم	بُلُق
المجموع: 6 صيغ.						

فِعْل	رَفِق	صَدَق	فَسَق	حَدَق	جَدَّ	عِلْم
المجموع: 6 صيغ.						

فَاعِلِيَّة	تَفْعِيل	إِفْعَال	فَعَال	فَعَالَة	فَعَالَة
جاهلية	تصريف- تفريق	إسلام	فَخَار	حياة	رئاسة (مرتين) - كياسة
صيغة واحدة	صيغتان (2)	صيغة واحدة	صيغة واحدة	صيغة واحدة	ثلاث صيغ
المجموع العام: 70 صيغة					

الملاحظ بعد العملية الإحصائية للمصادر الأصلية أنّ الإبراهيمي استخدم تسعة أنواع من الصيغ المصدرية، ولكن بنوع من التباين في الاستعمال، وإذا ما أنعمنا النظر في المصادر المستخرجة في الجدول فسوف يتبين لنا أنّ الصيغة الأكثر استعمالاً هي صيغة - فَعْل - التي وصمها أهل اللّغة بأنّها المصدر الأصلي للثلاثي وأنّها الأكثر استعمالاً وشيوعاً في الكلام، وإذا ما دققنا النظر في العدد المستعمل منها في هذه الأرجوزة فسوف نجد أنّه وصل إلى ثمانية وأربعين مرّة، في حين استعملت صيغة - فُعْل - وصيغة - فِعْل - ستّ مرّات فقط

لكلّ منهما ، واستعملت صيغة - فِعَالَةٌ وتفعيل - مرتين، اثنتين، وصيغة- فَعَالَةٌ وفَعَالٍ وإفْعَالٍ وفاعلية- مرّة وحدة فقط. و بحساب جميع المصادر الأصلية المستعملة نجد أنّ عددها بلغ سبعين مصدرا، وجاءت نسب الاستعمال على الشكل الآتي:

فَعْلٌ	فُعْلٌ	فِعْلٌ	فِعَالَةٌ	تفعيل	فَعَالَةٌ	فَعَالٌ	إفْعَالٌ
49	06	06	03	02	01	01	01
%70	% 8.57	% 8.57	% 4.28	%2.85	%1.42	%1.42	%1.42

إذا عدنا إلى الجدول ثانية فسوف نجد أنّ المصادر المستخدمة مصادر سماعية ماعدا ثلاث صيغ هي: تفعيل وإفْعَالٍ وفاعلية، واستعملت كلّ واحدة منها مرة واحدة فقط، و با عتماد الإبراهيمي على المصادر السماعية يكون قد هيأ لنفسه مجالا لغويا فسيحا، يتّسع للكثير من الإمكانيات والبدائل اللغوية، ممّا جعله يتحرّك في مجال ألسني رحب و ممتدّ، يعجّ بالخيارات الألسنية المتميزة، التي تمكّنه من بلوغ غايته المقصودة، وهي إقناع المخاطبين بصواب رأيه وسداد تصوّره.

بغرض بلوغ الغاية المنشودة استخدم الكاتب نوعا آخر من المصادر، هو المصدر الميمي، الذي اصطلح عليه ب: «أنّه ماكان في أوله ميم زائدة وغير منته بياء مشدّدة بعدها تاء مربوطة، نحو: منقلب و مضرب و موعِد،» غير أنّ هذا الاستعمال جاء محدودا، إذ أنّ الكاتب جنّد عشرة مصادر ميمية فقط، منتزعة من الفعل الثلاثي المجرد على الوزنين القياسيين: مَفْعَلٌ و مَفْعِلٌ ، وفي الجدول التّالي توضيح لهذا النّمط من المصادر.

المعارف (معرفة) المشارق (مشرق) مغارب (مغرب) موارد (مورد)	مهذ / محمل / المحامد (محمّد) / معارج (معرج) مذاق / معشر	المصدر الميمي
مَفْعَلُ	مَفْعَلُ	وزنه

### - صيغ الجموع:

استقدم الإبراهيمي -أيضا - حشدا معتبرا من الجموع والأسماء المفردة للتأكيد على موقفه الثابت من الرئاسة والرؤساء، والملاحظ أن خياره في الجموع وقع على جموع التكسير بدرجة كبرى، حيث بلغ استعمالها إجمالا اثنين وستين جمعا، ثلاثة منها للمؤنث السالم، وجمع رابع للمذكر السالم، والباقي كله جموع تكسير. أفاض النحاة في هذا النوع من الأسماء طويلا، وأكدوا على أن جمع التكسير هو ما تغير فيه صيغة الواحد، إما بزيادة أو بنقص أو بتبديل شكل، أو بزيادة وتبديل شكل، أو بنقص وتبديل شكل، أو بالنقص والزيادة وتبديل الشكل،<sup>1</sup> كما عملوا على تقسيمه إلى جمع قلة وجمع كثرة. أما جمع القلة فأبنيته هي أفْعُلُ، وأفْعَالُ، وأفْعَلَةٌ، وفِعْلَةٌ، وما عدا ذلك جمع كثرة.<sup>2</sup> وقد قام بعض النحويين بنظم أبيات في جموع القلة منها:

بأفْعَلٍ وبأفْعَالٍ وأفْعَلَةٍ----- وفِعْلَةٍ يُعْرَفُ الأَدْنَى من العَدَدِ<sup>3</sup>  
أما القدماء فقد حدّدوا عدد صيغ جموع الكثرة بثلاثة وعشرين صيغة.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> خالد الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح، ج2، نص: لجنة من العلماء، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط، د ت)، ص: 299-300.

<sup>2</sup> ينظر: ابن حاجب، نفس المرجع، ص: 137.

<sup>3</sup> جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، ج2، تح: غازي مختار طليمات، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (د ط، د ت)، ص: 306.

وفيما يلي رصد لأبنية الجمع المستخدمة في هذه الأرجوزة.

- 1- **فُعُولٌ**: عقوق-رؤوس-أمور(2)-فنون -بروق-بنود - سيوف- فتوح (مرتين)- خطوب(3).
- 2- **فُعُلٌ**: هُجن - عُنق - زُرُق - طُرُق - سُمُر - بُرُق - نُبُل.
- 3- **فَوَاعِلٌ**: عوابس - ذوابل -كواذب - صواعق - حوادث - عوالم.
- 4- **مَفَاعِلٌ**: محامد - مكارم - معارج - مشارق - مغارب - موارد - معارف - ممالك(مرتين).
- 5- **فَعَائِلٌ**: مدائن - خلائق - جلائق - عظام - قلائد.
- 6- **أَفَاعِلٌ**: أكارم :أعاجم.
- 7- **فَعَائِلٌ**: تتابلُ - غيالم.
- 8- **فَعَلَاتٌ**: غمرات - هبوات - طاعات.
- 9- **أَفْعَالٌ** : أسرار - أرواح.
- 10- **أَفْعَلَةٌ** :أَسِرَّةٌ - أَسِنَّةٌ.
- 11- **فُعَلَاءٌ**: كرماء - رؤساء.
- 12- **فِعْلٌ**: حِجَى - عِدا.
- 13- **فَعَالِيٌ** : ليالي (مرتين).
- 14- **فِعَالٌ** رجال.
- 15- **فُعَلٌ** أمم.

<sup>1</sup> ينظر: رمضان عبد الله، الصيغ الصرفية في العربية في ضوء علم اللغة المعاصر ، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية،

ط1، 2006 ص:113.

## 16- فاعلين سابقين.

يبدو من خلال توظيف الجموع في هذه الأرجوزة أنّ الإبراهيمي وجّه اهتمامه أكثر نحو جموع الكثرة، واكتفى باستقدام أربعة من جموع القلّة فقط ، هي: أسرار - أرواح - أسيرة - أسنة، نظرا لكون جموع القلّة تعبّر عن ما دون العشرة أمّا جموع الكثرة فتعبّر عن العدد الكثير، والتّوسع والامتداد ممّا يؤدّي إلى زيادة في التّوهج الدّلالي، زد على ذلك أنّ أبنية جموع الكثرة كثيرة ، تصل - حسب تقدير القدماء - إلى ثلاثة وعشرين وزنا، وهو أمر يجعل المتكلّم أمام خيارات لغوية لاحصر لها، تمكّنه من التّعبير بسلاسة عمّا يختلج في صدره من مكونات فكرية وشعورية.

- الأسماء المعارف.

من الأسماء التي فرضت حضورها في هذه الأرجوزة بقوة الأسماء المعرّفة، كالمعرّف ب: "ال" والمعرف بالإضافة، الذي نوع الكاتب في استعماله، حيث استدعى المضاف الى الضّمير ، والمضاف إلى الاسم المعرفة، كما وظّف من المعارف أسماء الأعلام والضّمائر، وخاصة الضّمير الدّال على الغائبة وضمير جماعة الغائبين.

الاسم المعرّف في عرف النّحاة: اسم دلّ على معيّن، كعمر ودمشق وأنت. وهو سبعة أنواع: الضّمير والعلم واسم الإشارة والاسم الموصول والاسم المقترن ب(أل) والمضاف إلى معرفة والمنادى المقصود بالنداء.<sup>1</sup> وقد عمل النّحاة على ترتيب المعارف وشاب هذا التّرتيب بعض الاختلافات، ومن ضمن ما جاء في ترتيبها ما أورده الأشموني بقوله: « فأعرفها المضمّر على الأصحّ، ثم العلم، ثم اسم الإشارة،

<sup>1</sup> مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج1 ، مر: عبد المنعم خفاجة ، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، لبنان،

ط28، 1993، ص:(147).

ثم الموصول، ثم المحلّي»<sup>1</sup>. و مهما تكن طبيعة ترتيب هذه المعارف، فإنّه من الواضح أنّ لكلّ نوع منها مذاقا خاصًا، وخصوصية وشخصية متميّزة، وهذا التّنوُّع والتّعدّد فيها بإمكانه أن يصلّ بالباحت اللّغوي- إن أحسن استخدامها - إلى استنطاق النّص الأدبي وكشف خباياه، والوقوف على جماليته.

فيا لجمال هذا النّوع من الكلام! تصوّروا: ما هو غير معرّف توكل إليه مهمّة التعرّف! فاسم الإشارة يحلّ با لضرورة محلّ اسم يلوّح به من غير أن يُذكر! و الاسم الموصول يأخذ مكان شخص معيّن..<sup>2</sup>

وقد قام " التعرّف - بكلّ أشكاله - في هذه الأرجوزة بعدّة أدوار أسلوبية هامّة ، إذ مكّن الكاتب من الإفصاح عن عدّة معان ومدلولات، أبرزت موقفه من الرّئاسة و الرّؤساء والمرؤوسين، وهي مهامّ ما كانت لتتمّ لو تمّ استدعاء النّكرة مكان المعرفة.

وفيما يلي عرض لهذه الأنواع.

### 1- المعرف بـ: "ال"

الاسم المقترن بـ "أل" اسم معرفة بعد أن كان نكرة، و"ال" إمّا أن تكون لتعريف الجنس، وتسمّى الجنسية. وإمّا لتعريف حصّة معهودة منه، ويقال لها العهدية، التي قد تكون للعهد الذّكري: وهي ماسبق لمصحبها ذكر في الكلام، كقولك: " جاءني ضيف فأكرمت الضّيف" أي: الضّيف المذكور.

<sup>1</sup> ابن مالك، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، شرح الأشموني، ج1، تح: محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، ط1، 1955، ص: 84.

<sup>2</sup> ينظر: أوغدن و ريتشاردز، معنى المعنى، - دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرّمزية- تق/وتر: كيان أحمد حازم يحيى، دار الكتاب الجديدة المتحدة، (د ط، د ت) ، ص: 372.

وإمّا أن تكون للعهد الحضورى: وهو ما يكون مصحوبها حاضرا، مثل: " جئت اليوم " ، أي: اليوم الحاضر الذي نحن فيه. وإمّا أن تكون للعهد الذهني: وهي ما يكون مصحوبها معهودا ذهنيا، فينصرف الفكر إليه بمجرد النطق به، مثل: "حضر الأمير" . والمعرف بـ "أل" العهدية، هو معرف لفظا، لاقتراانه بـ "أل"، ومعنى لدلالته على معين.

وإمّا (ال الجنسية): فقد تكون للاستغراق، أو لبيان الحقيقة. والاستغراقية، إمّا أن تكون لاستغراق جميع أفراد الجنس، وهي ما تشمل جميع أفرادها، كقوله تعالى: وخلق الإنسان ضعيفا ، أي: كلّ فرد منه. وإمّا لاستغراق جميع خصائصه، مثل: (أنت الرجل)، أي: اجتمعت فيك كلّ صفات الرجال.

و"ال" التي تكون لبيان الحقيقة: هي التي تبين حقيقة الجنس وماهيته وطبيعته، مثل: (الإنسان حيوان ناطق)، أي: حقيقته أنه عاقل مدرك، وليس كلّ إنسان كذلك.<sup>1</sup>

ما يسجل على هذه الأرجورة الشعرية أنّ الإبراهيمي استقدم ثمانين اسما معرفا بـ: "أل" وتلونت فيها دلالة "ال"، التعريف، ما بين "ال" العهدية و"ال" الجنسية، مضفية بذلك شحنا دلاليا وجماليا على النص، فقد أبانت الكلمات المقرونة بـ "ال" العهدية مثل: (الخيال - النخلة القرواح - المدام - السابقين - السيوف ، الإسلام- الجاهلية) عن مدى تعلق الإبراهيمي الكبير بالماضي وارتباطه به، وحينه إلى أمجاده، وفيما جدول إحصائي للمعرف بـ: "أل"

<sup>1</sup> نفسه، ص: (147-148).

الرئاسة- الحرّ- العزّ- القول- الله- الرّؤوس- الجماعة- الخيل- الذّمّر- العُمر- الغيث-  
 الثّرى- الفخار- النّخلة- القرواح- المدام- المجد- الجدّ- العلم- الجهل- الحياة- الأرض  
 الغنى- اللّب- الحقّ- الحصا- المهيمن- النور- السنّا- الحقّ- الجاهلية- الاسلام-  
 الفضيلة- الرّذيلة- الدّهر- التّفريق- الحقيقة- الخير- الشرّ- التّاريخ- الكتيبة- الكلّ  
 العقوق- الرّؤساء- الطّاعات- البروق- السّحب- المحامد- العوالم- الغيالم- الصّواعق-  
 التّنابل- الدّوابل- الأسنة- المكارم- الهبوات- العظام- السّابقين- الخطوب- الرّجال-  
 الأمور- الأسيرة- الحوادث- الخلائق- المكارم- الحجى- العدا- العوالم- الفتوح- المدائن  
 الممالك- المشارق- المعارف- المغارب- الأعاجم- الأكارم- اللّيالي- السيّوف.

المجموع: 80 اسما معرّفا

## 2- المعرف بالإضافة:

شكل توظيف الاسم المعرف بالإضافة في هذه الأرجوزة حضورا لافتا، مشكّلا بذلك بروزا أسلوبيا عجبياً، ومضفياً على النّصّ جوّاً موسيقياً جذّاباً، عمّق جماليته وتأثيره. و السّبب في ذلك هو أنّ « المركّب الإضافي يقيم علاقة بين عنصرين اسميين أساسيين في تكوينه، فالعنصر الأوّل، أي رأس المركّب، هو المضاف، والعنصر الثّاني، أي الفضلة، هو المضاف إليه»<sup>1</sup>، كما أنّه قد يودّي أدواراً دلالية مختلفة تمثّل العلاقة بين المضاف والمضاف إليه منها:

- الملكية، مثل: كتاب زيد.

- الاحتواء: مثل: فنجان قهوة.

- مكان: أمير القفار.

<sup>1</sup> عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء المغرب، ط3، 1993، ص:158.



-شكل و مادة: خاتم ذهب.

-منقذ و ضحية: قاتل السجين.<sup>1</sup>

عقب تتبّع هذا النوع في النصّ تبين أنّ الكاتب ركّز - بدرجة أكبر - على ثلاثة أنواع من المعارف، هي المضاف إلى ضمير الغائب، و المضاف إلى الاسم، والمعرّف بالإضمار، الذي سنفرد له حديثاً خاصاً نختم به كلامنا عن الأسماء المعرّفة.

بعد تفحص هذه الأرجوزة الشعريّة تمكّننا من رصد واحد وسبعين اسماً مضافاً إلى ضمير الغائب، وثمانية عشر اسماً مضافاً إلى الاسم، أي أنّ العدد الإجمالي للمركّب الإضافي المستعمل وصل إلى تسعة وثمانين اسماً، وهو اختيار جنح إليه الكاتب لوصف الحالة التي وصلت إليها مهمّة حكم الشعب وسياسته، و للإفصاح عن تصوّره للصورة التي يجب أن يكون عليه الرؤساء والمرؤوسون وواجبات كلّ طرف منهما. وفيما يلي جدول إحصائي للمضاف إلى ضمير الغائب والمضاف إلى الأسماء.

المضاف إلى ضمير الغائب								
حَقَّهَا	شَأْنَهَا	مَحَقَّهَا	أُفِقَّهَا	صَوَّغَهَا	فَوَّقَهَا	شَقَّهَا	رَقَّهَا	تَصْرِيْفَهَا
سَوَّقَهَا	طَوَّقَهَا	ذَوَّقَهَا	خَلَقَهَا	فَلَقَهَا	سَحَقَهَا	بُرَعُوْثَهَا	بَقَّهَا	خَفَقَهَا
رَزَقَهَا	مَذَقَهَا	رَفَقَهَا	فَرَقَهَا	صَفَقَهَا	عَنَقَهَا	هَجَنَهَا	عَنَقَهَا	صَدَقَهَا
وَدَقَهَا	عَدَّقَهَا	زَقَّهَا	نَطَقَهَا	طَرَقَهَا	صَعَقَهَا	سَمَرَهَا	زُرَقَهَا	طَلَقَهَا
بَعْضُهَا	خَرَقَهَا	فَتَحَهَا	غَلَقَهَا	سَرَهَا	عَزَقَهَا	غَدَقَهَا	بُلَقَهَا	صَفَوْهَا
رَنَقَهَا	غَرَقَهَا	كَرَمَائَهَا	فَسَقَهَا	رَزَقَهَا	خُلِقَهَا	شَرَقَهَا	عَرِقَهَا	قُسَّهَا
شَقَّهَا	فَتَقَهَا	رَشَدَهَا	سَوَّقَهَا	حَدَّقَهَا	بَنَوْدَهُمْ	حَرَبَهُمْ	طَرَقَهَا	طُرُقَهَا

<sup>1</sup> ينظر: نفسه، ص: 158.

بغدانها	دمشقها	نشقها	رَيَّاهَا	عَبَقَهَا	رتقها	رشقها	مشقها
المجموع: 71 مركبا إضافيا							

المضاف إلى الاسم				
يسر الأمور	محض الحياة	عصا الكياسة	كباش كتيبة	خمرة الأرواح
جوّ جربة	بشّ الأسيرة	أسرار ربك	دُهم الخطوب	شرّ الخلائق
نبلُ العدا	منبعث السنّا	فنون العلم	كلّ الممالك	مهذّ المعارف
ذو اللب	غربُ الممالك	حصّة من سعي		
المجموع: 18 مركبا إضافيا				

الملاحظ على المركبات الإضافية المسجّلة تنوع دلالاتها، حيث نجدها تتوزّع على عدّة دلالات بنوع من التّمايز في الاستعمال، فقد استخدم الشّاعر المركبات الدّالة على التّوعية بكثرة، ومرجع ذلك هو إرادة الكاتب إشباع الرّئاسة والرّؤساء وصفا وتمييزا، متغيّباً بذلك تجليتها وكشفها، وتلتها في الرّتبة التّالية: مركبات الملكية فالاحتواء، التي تبيّن من خلالها ما للرّئاسة و ما عليها، ثمّ أعقبها بعدد أقلّ من المركبات الدّالة على المكان. وفيما يلي توزيع لهذه المركبات حسب الدّالة.

الاحتواء: شَقَّهَا - رَقَّهَا - تصريفها - طوقها - فرقها - صفقها - صدقها - عَدَّقَهَا - زَقَّهَا - طلقها - بعضُها - بُلِقَهَا - قُسَّهَا - شَقَّهَا - رَيَّاهَا - نشقها - حريهم - حصّة من سعي - فنون العلم - كلّ الممالك.

**الملكية:** حقّها - شأنها - خلقها - بُرغوثها - بقّها - رزقها - عنقها - هجنها - عتقها - ودقها نطقها - سرّها - عزقها - غدقها - كرمائها - عرقها - رشدها - بنودهم - عبّقها - رتقها - نبّل العدا - منبعت السنّا - أسرار ربك.

**المكانية:** أفقّها - فوقها - طرّقها - شرقها - طرّقها - بغدانها - دمشقها - جوّ جربة - غرب الممالك - مهّد المعارف.

**النمطية: (شكل و مادة):** محقها - صوغها - سوقها - ذوقها - فلقها - سحّقها - مذاقها - رفقا صعقها - سمرها - زرقها - خرقها - فتحها - غلقها - صفوها - رنقها - غرقها - فسقها - خلقها فنتقها - سوقها - حدّقها - خفقها - طرّقها - رشقها - محض الحياة - يسر الأمور - بشّ الأسيّرة - عصا الكياسة - نو اللّب - كبش كتيبة - دهم الخطوب - خمرة الأرواح - شرّ الخلائق.

### 3- الضمائر:

لم يكتف الإبراهيمي بما حشد من أسماء من أجل الإخبار عن موقفه من الرئاسة، بل عمد إلى استدعاء ما ينوب عنها بغية شحن النصّ دلالياً، فاستعان بالضمائر التي توصم بأنها نوع من المعارف الدالة على الأسماء، و الضمير كما تعارف عليه النّحاة « هو اللفظ الموضوع للكناية عن متكلّم أو مخاطب أو غائب نيابة عن الأسماء الظاهرة للاختصار»<sup>1</sup> وقد جاء في الضمير قول صاحب الألفية :

«فَمَا لِذِي غَيْبَةٍ أَوْ حُضُورٍ \*\*\* - كَأَنْتَ، وَ هُوَ - سَمٌّ بِالضَّمِيرِ .»<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عبد الهادي الفضيلي، مختصر النحو ، دار الشروق للنشر، جدة، ط7، 1980، ص:43.

<sup>2</sup> محمد محي الدين عبد الحميد، ألفية ابن مالك، ج1 ، شر: ابن عقيل ، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980، ص: 88.

و يطلق عليه المضمّر والضمير وهما اسمان لمسمّى واحد، وهذا المسمّى الواحد قد يكون متكلمًا أو غائبًا أو مخاطبًا.<sup>1</sup>

ومن فوائد الإضمار أنّه يغني عن التكرار، ويؤدّي إلى الاختصار، وهذه الخاصية هي التي تضي عليه جمالية وسحرا حين استخدامه.

إنّ أول ما يعاينه الباحث في هذه الأرجوزة، وهو يلاحق الضمائر المستخدمة فيها استخداما بارزا، هو الاستعمال المكثف لنوعين منها في سياقات منوّعة، للتعبير عن مقاصد معنوية مختلفة، مدارها الرّئاسة والرّؤساء. وهو استعمال يبرز القيمة الأسلوبية لهذين الضميرين في ذهن الكاتب، وهذان النوعان من الضمائر هما:

**1- ضمير جماعة الغائبين:** الذي استخدم ثمانية عشر مرة (18)، ودلّ على الرّؤساء والحكام في أربعة عشر موضعا، وهي كما يلي: (هم معشر لا يملكون.. / عليهم أن يحسنوا / عليهم أن يحملوا / عليهم أن يجنبوا / عليهم أن يرهبوا / عليهم أن يفلقوا / عليهم أن يسحقوا / عليهم أن يقتلوا / عليهم أن يحفظوا / عليهم أن يجرعوا / عليهم أن يتبعوا / عليهم أن يجمعوا / أن تقي لهم / تعنوا لهم / خفقت بنودهم / سل بالمشارك عنهم / رشقتهم نبأ العدا / مشق السيوف لحربهم)، في حين دلّت الضمائر الأربعة المتواجدة في أواخر أبيات الأرجوزة على الأكارم و العلماء.

<sup>1</sup> ينظر: ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1، شر: محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د ط، د ت)، ص: 83.

2- ضمير الغائبة: الذي استخدم ستاً و تسعين مرة (96). وهو استعمال مكثف ألقى بضلاله على مضمون هذه الأرجوزة.

يبدو من هذين الرّقمين الإحصائيين أنّ تركيز الكاتب مُنصبّ -كثيراً - على الرّئاسة، فلو أمعنا البصر في ضمير الغائبة لوجدناه عائداً - في معظمه - على الرّئاسة، وهذا يشي بأنّ الكاتب يسعى جاهداً إلى إبراز حقوقها وتحديد مواصفاتها، وذكر شروطها وواجباتها. كما يُظهر استحضار الكاتب ضمير الغائب إلى غياب الرّئاسة الحقّة، التي تراعي شؤون الرّعية وتقضي فيها بالعدل، وهي محاولة منه لأعطاء المتلقّي الصّورة المنشودة للرّئاسة والرّؤساء كما يتصوّرها بعقله.

والملاحظ أنّ عدد المعارف المستخدمة - مجتمعة - جاء مرتفعاً ولافتاً، إذ وصل إلى مائتين وثلاثة وثمانين لفظاً معرفاً، وهي نسبة عالية جدّاً، إذا ما قورنت بنسبة الجموع والمصادر المستخدمة.

### المعرّف بالعلمية:

تزخر أرجوزة الإبراهيمي بالعديد من الأعلام المتنوّعة، حيث وصل عددها إلى ثلاثة وستين اسماً، والعلم نوع من المعارف، صنّفه علماء اللّغة من المعارف المحضة، وهو بذلك يساعد على تقييد الحدث بأصحابه، فيقرّر حقيقته ويزيل إبهامه.

لكنّ وظيفة الأعلام في الكلام الإنشائي ليست هي ذات الوظيفة في الكلام التّقريبي، فالأعلام في الكلام الإنشائي تكون دلالتها في الغالب إيحائية رمزية؛ أي فيما وراءها من أبعاد، تساق للتّصوير عن طريق التّشبيه والاستعارة والكناية،

يتخيّرنا الشاعر من رصيده الثقافي، ويرتضيها فنّه - مثلاً - للموصوفات المسوقة، وهي أعلام أكثر ما تكون تناسباً مع الكلام الشعري، بينما تكون في الكلام التقريري - غالباً - وظيفتها إخبارية تقريرية؛ أي تكون دلالتها في ذاتها فقط.<sup>1</sup>

يبدو من خلال الأعلام التي استقدمها الإبراهيمي أنّها منوّعة، حيث شملت أعلام الأشخاص والحيوان والمكان والحشرات والأشياء والظواهر، وهناك أعلام أخرى استعاض عنها الكاتب ببدائها وأوصافها، بغرض تحقيق أغراض أسلوبية تتناسب والسياق، وتكون بالغة التأثير في المتلقّي.

استناداً على هذا حاولت جاهداً أن أُميّز بين هذه الأنواع في هذه الأرجوزة، لأقف على دلالتها داخل سياقاتها التعبيرية. فتوصّلت إلى الآتي:

- 1) أعلام الأشخاص: الأعاجم - خلق - رؤساء - فتى - الحجي - العوالم - امرؤ - رجال - أمّة - قسّ - طارق - العدا - أمم.
- 2) أعلام الأماكن: جربة - بغداد - دمشق - المدائن - الأرض.
- 3) أعلام الأشياء والظواهر: البروق - المدام - السيوف - الغيث - زقّ - الليالي - السحب - الأسنة - اللب - نبل.
- 4) أعلام الحيوان: غيالم - برغوث - بقّ - كبش - الخيل.

### 1- أعلام الإخبار:

- أعلام الأشخاص الأخبارية المقيدة بالزمن:

قسّ ← طارق ← الأعاجم ← العدا.

<sup>1</sup> ينظر: محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، مج 2/ع: 20، منشورات الجامعة التونسية، 1981،

### -أعلام الأخبار المقيّدة بالمكان:

جربة ← بغداد ← المدائن ← دمشق ← المشارق ← المغرب.

نلاحظ أنّ أسماء الأشخاص حدّدت الإطار الزمني الذي تدور حوله أحداث هذه الأرجوزة، وتمثّل فيما يلي:

أ- زمن الكاتب الذي ساء فيه حال الرّئاسة والرّعية.

ب- العهد الجاهلي الذي شهد اتّصاف العرب ببعض القيم الأخلاقية النبيلة كالكرم والوفاء بالعهد.

ج- زمن الفتوحات الإسلامية ، وما أعقبها من حروب صليبية.

أمّا أسماء الأماكن فقد حدّدت الأطر المكانية، التي جرت فيها أحداث هذه الأرجوزة، و هي: المشرق والمغرب العربيين.

يبدو من هذا التّوضيح بأنّ أعلام الإخبار لم تخلق جوّاً شعريا يسترعي الانتباه، بل قامت بالدور المنتظر منها، وهو تحديد موضوع الحديث، والتّفصيل في بعض خصوصياته.

### 2- أعلام الإيحاء:

يسجّل على الأعلام الإيحائية في أرجوزة الإبراهيمي جنوحها - أحيانا- عن استعمال العّلم الأصلي، واستعاضتها عنه ببديله، لتحقيق أغراض أسلوبية يتطلّبها المقام، ويبدو من خلال التّدبّر في الأرجوزة أنّها كانت من أولوياته في طائفة الأعلام. وفيما يلي قراءة تحليلية وجيزة فيها.

أعلام الإيحاء	المعاني التي أوحى بها داخل سياقاتها
رأسا-خلقا	الكلّ مسؤول ومحاسب مهما كان أصله ومركزه.
عصا	وجوب استعمال عصا السّياسة والحكمة والفتانة وقت الحاجة.
جماعة	تُصوّر الرعية كَيَدٍ واحدة، وعلى قلب رجل واحد.
كباش	تشير إلى القائد ونمطية علاقته برعيته.
خيل	ترمز في الشّعر الجاهلي إلى الجهد والكرم، <sup>1</sup> وهي في هذه الأرجوزة تشير-زيادة على ما سلف- إلى الأصالة والشّجاعة والنّجدة.
خمرة	تشير إلى الغياب في الحضرة الإلهية، كما يعتقد المتصوّفة.
عقل	تشير إلى ذوي الفكر والعلم و حصافة الرّأي.
الذّم، الحرّ، الغرّ	تشير إلى وجوب الاتصاف بخلال الرّجولة لتفادي الانخداع بملذات الدنيا وزخارفها
اللّيالي لجة	اللّيالي مثل لجاج البحر الهائج لايسلم منها إلا من قدّم الحذر والحيلة.
كتيبة	تشير الى الرّعية وضرورة اتّحادها لنصرة الحقّ.
قلائد	تدلّ على إتقان الصّنعة وحسن تصميمها.
الغمر	تدلّ على أن أعدى أعداء الإنسان هو الجهل.
الأكارم	تشير إلى أنّ الخير حتى وإن تناقص فهو باق في النّفس الإنسانية.
الرؤوس	تدلّ على وجوب تميّز قادة الأمّة عن العامّة بالعلم والأخلاق

<sup>1</sup> ينظر: جميل عبد المجيد، بلاغة النّص، مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، (د ط)، 1999، ص: 87.



والدهاء.	
تشير إلى أنّ المحن والشدائد لا تعتبر شيئاً أمام العظماء.	رعد- برق
يقصد به هجمات أعداء الإسلام ومكائدهم.	نبل
تشير إلى منجزات عظماء الأمة.	طُرُقها
تشير إلى أنّ شعلة الحقّ باقية ولن تنطفئ مهما كاد لها الكائدون.	النور - السنا
تشير إلى الحشرات الآدمية، التي يتوجّب على الكلّ محاربتها.	برغوث- بقّ.
تشير إلى الخضوع والانقياد لولي الأمر الصّالح.	عنق
تشير إلى شرار الخلق والمنحرفين.	الحصا

### 3- أسماء الأعلام الخاصة بالذات الإلهية:

جاءت كلّها في عبارات غير جاهزة، وهي كما يلي:

الله ← ربّاً ← ربك ← المهيمن.

استخدم الكاتب هذا النوع من الأعلام في أربعة مواضع، تمثلها الأبيات التالية:

1. الله أحسن صوغها ----- وأجلّها وأدقّها
2. وعليهم أن يرهبوا ----- ربّاً تولّى خلقها
3. أسرار ربك بعضها ----- عقل تولّى خرقها
4. شرّ الخلائق أمّة ----- علم المهيمن فسقها

جنحت هذه الأرجوزة في بعض الأحيان عن العلم إلى بديله بغية تحقيق أغراض أسلوبية يقتضيها السياق، وقد ورد من أشكال العلم ذكر الصّفة عوضاً عنه. كما ورد في البيتين الثّاني والثّالث، إذ يلحظ عليهما أنّ الكاتب آثر دلالة

زائدة على معنى العلمية، وهي ذكر الصّفة (ربّاً و ربك) دون العلم الأصلي، وهو لفظ الجلالة (الله)، تعظيماً وتفخيماً لله تعالى، وابتغاء الإشارة إلى تفرّده بالربوبية، وهو الأحقّ بالرهبة والخوف. كما فضّل وصفاً آخر للذات الإلهية هو - المهيمن - الدّالة على الاستعلاء والسيطرة على الوجود كلّه، وهو لأجل ذلك جدير بالعبادة والطّاعة والتّوحيد.

ومن أشكال العلم التي استخدمها الكاتب أيضاً، هو إيراد العلم مضافاً إلى معرفة، ويظهر ذلك مع الأعلام التّالية:

بُرغوثها - بقها - عنقها - هجنها - عتقها - زقها - طرقها - برقها - قسها -  
بغدانها - دمشقها - عصا الكياسة - خمرة الأرواح - رعد الخطوب - نبأ العدا.  
أضيفت هذه الأعلام إلى نوعين من المعارف، هما ضمير الغائبة، والمعرّف ب: (أل)، وهذا الاستعمال قد «يفقد الإضافة طاقتها الأصيلة في التّعبير عن التّعريف، وتكتسب طاقة جديدة للتّعبير عن معانٍ دقيقة أخرى»<sup>1</sup>، مثل: إبراز الصّفة والتّشبيه وبيان الأصل.

يتّضح مما سبق أنّ تكثيف التّعريف بالجمع بين العلم والإضافة، هو شكل من أشكال توسيع الدّلالة و إثرائها، ويكسب الأعلام طاقة إيحائية جديدة إذا كانت في السّياق أعلام إحياء، و يجعلها مشتركة بين الإخبار والإحياء إذا كانت أعلام أخبار.

<sup>1</sup> نفس المرجع السابق، ص: 384.

1- الأسماء النكرة:

تعتبر الأسماء النكرة من البنى الصرفية التي وظّفها الإبراهيمي في هذه الأرجوزة، ولعلّ السبب في ذلك هو دلالتها على العموم والشمول والإطلاق، وهو أمر قد يساعد الباحث الأسلوبي على الانطلاق في مجالات شاسعة مشبعة بالمعاني والدلالات، لأنّ « النكرة كلّ اسم شائع في جنسه لا يُخصّ به أحد دون آخر نحو: رجل وفرس وثوب وغلام وما أشبه ذلك، وأنكر النكرات شيء ثم جوهر ثم حيوان ثم إنسان ثم رجل»<sup>1</sup>، وعلامتها أن تصلح لأن تدخل عليها "أل" وتؤثّر فيها ، نحو (رجل) فإنّه يصحّ دخول "أل" عليه، فتقول (الرجل).<sup>2</sup>

يبدو أنّ تجنيد الكاتب لعدد معتبر من النكرات كان الغرض منه الوصول إلى تحقيق الغايات المنشودة ببسر وسلاسة، نظرا لأنّ التّكثير قد يولد في نفس المتلقّي الشّعور بالتّعميم والإطلاق، حين يفتح لمخيلته مجالاّ فسيحا غنيا بالدلالات والتأويلات، مردّه إلى اختلاف صيغته وسياقاته التي ورد فيها .

ونظرا لكون التّكثير -كما هو معروف- يفيد الشّيع والتّكثير والإطلاق، لذا فإنّ ما تعلّق به من إسناد يصبح حكمه شائعا ومطلقا هو الآخر.

قد يُنكر الاسم المسند أو المسند إليه لاعتبارات مختلفة، نذكر منها الإفراد مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾<sup>3</sup> أو للنوعية كقوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهْمُ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾<sup>4</sup> وقد يدلّ على معانٍ أخرى ، تفهم

<sup>1</sup> الزجاجي، الجمل، شرّ: الشيخ بن أبي شنب، مطبعة: جول كريونل، الجزائر، (د ط) ، 1926، ص: 191-192.

<sup>2</sup> ينظر: محمد محيي الدين عبد الحميد، التحفة السنية ش: المقدمة الأجرومية ، مكتبة دار السلام بالسعودية، ودار

الفيحاء بسوريا، ط1، 1994، ص: 106.

<sup>3</sup> - سورة القصص، الآية: 20.

<sup>4</sup> - سورة البقرة، الآية: 96.

من السياق العام، مثل: التعميم أو التعظيم أو التهويل أو التحقير أو التكثير أو التقليل أو للوصف أو البيان والتأكيد.<sup>1</sup>

الواضح في هذه الأرجوزة أنّ الكاتب استخدم واحداً وثلاثين (31) اسماً نكرة، تعددت دلالاتها، وتنوّعت بتنوّع مقاماتها التعبيرية. لأنّ « النكرة تفيد معناها مطلقاً من كلّ قيد، أمّا ما يذكره علماء البلاغة من معان استفيدت من النكرة، فإنّها لم تفدها بطبيعتها، وإنّما استفادتها من المقام الذي وردت فيه، فكأنّما المقام هو الذي يصف النكرة، ويحدّد معناها ». <sup>2</sup>

فالنكرة إذن كلمة تعيش داخل التركيب، وهو الذي يسهم -بقوّة- في تمييز معناها وتحديده. وفيما يلي جدول يرصد هذه الأسماء النكرة داخل سياقاتها، ويصنّفها حسب المعاني التي أدتها داخل تلك السياقات التعبيرية.

### 1- التعميم والتقليل و التحقير:

إنّ العقوق مزلة ← أن يفلقوا رأساً ← أن يسحقوا خلقاً  
لا تستجيب لقاعد ← يا ساخرا

### 2- النوعية:

إنّ الأكارم عصبية ← وسقّ العظام محملاً خفاً ← تمدّ في الطاعات دأباً  
هي خمرة الأرواح ← المجد حصّة من سعى ← نسقّ الأمور قلاندا غراً  
خير الرجال فتى يجاري.. ← شرّ الخلائق أمة.

### 3- التعميم والتكثير:

ضاعت وإن كثر الحسا أمم ← فأذلّها وأقلّها عدّاً ← لا شيء يعلو فوقها  
أن يحفظوا أبداً ← إنّ الحياة موارد

<sup>1</sup> ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبدیع)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (د ت)، ص: (من 49 إلى 52).

<sup>2</sup> أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، (د ط)، 2005، ص: 102.

**4-المبالغة والتّهويل:**

إنّ البروق كواذب / نسقَ الأمور قلائدا / يلقي الخطوب عوابسا / إنّ الليالي لجة

**5-التعميم والتّعظيم:**

إنّ الرؤوس رئيسة ← إنّ الفضيلة خمرة

**6-التّعظيم:**

إلى الفتوح جلائلا غرا ← مشقّ السيوف لحربهم جهرا

**7-التّعظيم والإفراد:**

أن يرهبوا ربّا تولّى ← عقل تولّى خرقها

**8-البيان والتوكيد:**

حقّ على الرؤساء أن يعطوا الجماعة.

**قراءة في معاني المجموعات الأربعة الأولى:**

نظرا لأنّ المجموعات الأربعة الأولى هي الأكثر اشتمالا على النكرة، فقد استهدفتها بالتّحليل والتّعليق، في حين تجاهلت المجموعات الأخرى ، لقلّة نكراتها.

**1-التعميم والتقليل و التحقير:**

مزلّة	رأسا	خلقا	قاعد	ساخر
-------	------	------	------	------

يلاحظ على هذه الأسماء النكرة أنّها دلّت - وهي داخل أوعيتها التعبيرية - على ثلاثة معاني، وفي مقدّمتها دلالة التعميم، فلفظ " مزلّة " ارتبط بحديث الكاتب عن العقوق، ودلّ على أنّها جميعا - مهما كان نوعها، أو أطرافها - خطايا وانحدار من المرء إلى الأسفل، كما دلّت أيضا على التقليل من الشّأن والتّحقير أيضا، فالزلل عيب ونقيصة وحقارة، وهو سلوك يشين صاحب، ويحطّ من قدره، خاصّة إذا تعلّق بخطيئة العقوق.

ودلّت التّكرتان: رأسا و خلقا على العموم أيضا، فهما داخل سياقهما التّعبيري يدلّان على الاعتداء على الرّئاسة، ومحاولة إفسادها؛ فأبى رأس أو خلق -مهما كانت منزلته أو مركزه- لا يجوز له أن يتناول على الرّئاسة أو يفسدها، لأنّه سلوك معيب لصاحبه ، ويدلّ على نذالته وحقارته.

ودلّت قاعد على الشّمولية والاطلاق- أيضا- حينما لم تميّز هذا القاعد ولم تشخصه. والعود ضدّ الحركة والسّعي، وهو سلوك سلبي، لا يُقبل التّحلّي به ، أو الالتفات لأصحابه.

أمّا كلمة: "ساخر" فدلّت على الكليّة والقبح أيضا، لكونها لم تشخص هذا الساخر، وهي صفة تحطّ من قدر صاحبها ، وتزري به.

## 2-النوعية:

عصبة	خِفًا	دأبا	خمرة2	حصّة	غرا1	فتى	أمة
------	-------	------	-------	------	------	-----	-----

يلاحظ على نكرات هذه المجموعة أنّها، جنحت نحو الوصف وتبيان النوع، فكلمة "عصبة" دلّت على أنّ كرام الخلق حتّى وإن قلّوا فهم جماعة متماسكة، فهذه النّكرة أغنت المعنى ، وتمّمته وميّزته، وهو أمر ماكان ليتمّ لو عرّفت كلمة: (عصبة) ب:ال التعريف.

أمّا كلمة: " خِفًا" فدلّت على صفة في العظماء هي الخفة، فعلى الرّغم من كثرة العظائم وثقل الأعباء إلّا أنّ خير الفتيان لا يجد صعوبة في فعلها أو التّمسك بها، في حين دلّت النّكرة "دأبا" على الصّفة التي يجب أن تكون عليها الرّعية أمام راعيها، ونوعية العلاقة بينهما، وهي ملازمة طاعتهم.

ودلت كلمة **خمرة** الثانية على نوعية **الخمرة المقصودة**، وهي **خمرة روحانية**، فالكاتب هنا لا يقصد أي **خمرة** كانت، وإنما يعني أن شأن المرء يتعاضم بتحليته بمكارم الأخلاق و فعله للمحامد والفضائل.

اتضح دلالة **النكرة** " **حصّة** " بإضافتها إلى الجملة الموصولة ( من سعى)، فأبانت عن نوعية الناس الذين يحققون المجد، وأبرزت أن بلوغ المعالي هو ثمرة السعي الحثيث، والنشاط الدؤوب، وأبانت **النكرة** " **غزّا** " عن صفة الجمال التي أضحت عليها الأمور، بعد نسقها ونظمها، أما كلمة " **فتى** " فدلت على أن الفتیان الأخيار هم الذين يحسنون مواجهة الليالي الحبلى بالخطوب والمشاكل. كما تجلّت دلالة **النكرة** " **أمة** " بعد إلحاقها بالجملة **التعنية** - علم المهيمن فسقها - فاستبان أن الأمة الشريفة هي التي لا تتحرف على المستوى الفردي فحسب، وإنما تتحرف على المستوى الجماعي أيضا.

### 3- التعميم والتكثير:

محملا	أمم	عدداً	شيء	أبدا	موارد
-------	-----	-------	-----	------	-------

بعد إعمال الفكر في هذه المجموعة، يتضح أنها عبّرت عن الإطلاق والشمولية والكثرة أيضا، فلفظ **النكرة** " **محملا** " دلّ على كثرة العظائم، وكلمة " **أمم** " دلت على أن الأمم التي تعرّت من الأخلاق كثيرة، و هي ضائعة لا محالة. في حين دلت **النكرة**: " **عدداً** " على كثرة المصائب، ودرجة العقاب الذي قد ينزله الله بالأمة المارقة الفاسقة، بينما أفادت **النكرة**: " **شيء** " معنى الإطلاق والعموم، فقد دلت على أنه لاحق لأي كائن مهما كانت صفته في أن يقف في طريق العقول النيرة في الأمة من أن تتبوأ المراكز السيادية في الحكم.

كما دلّت النكرة: "أبدا" على مطلق الزّمن وكليته، فرعاية الحقوق العامّة ليس فعلا ظرفيا، إنّما هو فعل ممتدّ عبر الزّمن. وأبانت النكرة "موارد" على التّكثير، لمجيئها على وزن من أوزان جموع الكثرة، ودلّت على أنّ الحياة تهيّء للإنسان كلّ أنواع المشارب، والعاقل من النّاس هو الذي يختار أصلحها وأنفعها.

#### 4-المبالغة والتّهويل:

كواذب	عوابس	قلائد	لجّة
-------	-------	-------	------

دلّت نكرات هذه المجموعة على المبالغة، لمجيء أغلبها على وزن من أوزان صيغة منتهى الجموع (فواعل) التي تدلّ على الكثرة، كما دلّت على التّهويل من أمر الحدث، فكلمة: "كواذب" دلّت على المبالغة في الكذب والإكثار منه، وهو سلوك يزرى بالإنسان. ودلّت كلمة "عوابس" أيضا على كثرة العبوس، ودرجة انتشاره، والتّهويل من شأنه، وأنّ الخطوب لا ينتظر المرء من ورائها نفعا. كما أدت النكرة: "قلائد" معنى الكثرة والمبالغة حينما جاءت على وزن من أوزان صيغة منتهى الجموع.

ودلّت النكرة "لجّة" على أنّ اللّياالي تحمل المصائب كلجج البحر الكثيرة المرعبة، فقد أبانت هذه النكرة عن جسامة الأمر وشدّة الخطب وخطورته.

#### صيغ اسم الفاعل:

لاذ الكاتب- أيضا - باسم الفاعل الذي يدلّ على الفاعلية، حسب آراء علماء النّحو، الذين ذهبوا إلى أنّه « وصف مشتقّ من الفعل المبني للمعلوم الذي وقع منه الفعل، أو قام به. ويبدلّ على الحدوث والتّجدّد»<sup>1</sup> وقد قال فيه شارح المفصل

<sup>1</sup> صلاح مهدي الفرطوسي و هاشم طه شلاش، المهذب في علم التصريف ، مطابع بيروت الحديثة، ط1، 2011،



للزّمخشري: « اعلم أنّ اسم الفاعل الذي يعمل عمل الفعل هو الجاري مجرى الفعل في اللفظ والمعنى؛ أمّا اللفظ فلأنّه جار عليه في حركاته وسكناته، ويطرّد فيه، وذلك نحو: (ضارب)، و(مُكْرِم) و (مُنْطَلِق) و (مُسْتَخْرِج) و(مُدْحَرِج)، كلّ جار على فعله الذي هو (يضرب) و (يُكْرِم) و(ينطلق) و(يستخرج) و(يُدْحَرِج)،<sup>1</sup> ولما كان بينه وبين الفعل مضارعة ومثابهة..وجب أن يصحّ بصحّته، ويعتلّ باعتلاله ليكون العمل فيهما من جهة واحدة، ولولا اعتلال فعله لما اعتلّ.<sup>2</sup>

يتّضح من خلال هذين التعريفين أنّ اسم الفاعل صيغة تدلّ على الفاعلية والتّجدّد والحدوث، لذلك استعان بها الإبراهيمي، ولكن بدرجة أقلّ، حيث وظّف هذا النوع من المشتقات إحدى عشرة مرّة فقط، وفي الجدول التّالي بيان لهذا الاستعمال.

اسم الفاعل	ساخر	طارق	منبعث	مهيمن	قاعد	سابقين، جمع مفرده: (سابق)
وزنه	فاعل	فاعل	مُنْفَعِل	مُفَعِّل	فاعل	فاعلين
فعله	سخر	طرق	انبعث	هيمن	قعد	سبق

اسم الفاعل	عوابس، جمع مفرده:	ذوابل، جمع مفرده:	كواذب، جمع مفرده:	حوادث، جمع مفرده: (حادثة)	صواعق، جمع مفرده: (صاعقة)
---------------	----------------------	----------------------	----------------------	------------------------------	------------------------------

<sup>1</sup> موقف الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، شُر: المفصل للزّمخشري، ج4، تق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2001، 1، ص:84.

<sup>2</sup> ابن إيّاز، ش: التعريف بضروري التّصريف، تح: هادي نهر وهلال ناجي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2002، 1، ص105.

		(كاذبة)	(ذابلة)	(عابسة)	
وزنه	فواعل	فواعل	فواعل	فواعل	فواعل
فعله	صعق	حدث	كذب	ذبل	عبس

يستنتج ممّا سبق أن اسم الفاعل قد أخذ دلالات متباينة نظرا لاختلاف السياقات التركيبية التي ورد فيها، فهو بناء صرفي وظيفته الأساسية هي وصف الفاعل بالحدث، كما يدلّ على تجدد دلالة الفعل، مثلما يبدو في الصيغ السابقة "ساخرا - طارقا- مهيمن - قاعد - سابقين - عوابس - ذوابل - كواذب - حوادث - صواعق " التي تحدّدت دلالتها الزمنية في الحال أو الاستقبال لكونها جاءت مقطوعة عن الإضافة، بفعل التثوين الظاهر في أواخرها، « فاسم الفاعل إذا أريد به الحال أو الاستقبال، يعمل عمل الفعل إذا كان متوناً، أو فيه الألف واللام، لأنّ التثوين مانع من الإضافة، والألف واللام تعاقب الإضافة ».<sup>1</sup>

في حين نجد أنّ صيغة "منبعث" ارتبطت بالمضاف إليه- السنّاء-، قصد التخفيف فقط، «فقد يحذف التثوين من اسم الفاعل تخفيفاً، وإذا زال التثوين عاقبته الإضافة، والمعنى معنى ثبات التثوين، ولذلك لا يكون إلاّ نكرة.»<sup>2</sup>

يلاحظ أنّ بعض أسماء الفاعل جاءت جمع تكسير وهي كما يلي: عوابس- ذوابل - كواذب - حوادث- صواعق، وهي علاوة على كونها جموعاً مكسّرة، فهي على وزن من أوزان صيغة منتهى الجموع (فواعل) الممنوعة من الصّرف، لذلك

<sup>1</sup> ابن إيّاز، شر: التعريف بضروري التصريف ، ص: 84.

<sup>2</sup> نفسه، ص: 84.

سقط التّنوين من أواخرها، لكن رغم ذلك تبقى عاملة عمل مفردها فيما بعدها. « قال صاحب الكتاب: وما ثني من ذلك وجمع مصحّحاً أو مكسراً يعمل عمل المفرد».<sup>1</sup>

لذلك يمكن القول إنّ توظيف الإبراهيمي لبعض صيغ اسم الفاعل في أرجوزته هذه يعود إلى سعيه وراء التّكثيف الدّلالي، فباله موجّه صوب الحاضر والمستقبل، وغايته القصوى هي أن يصطلح حال الرّئاسة والرّؤساء والمرؤوسين في قابل الأيام.

### ثانياً: أبنية الأفعال:

إنّ أوّل ما يلفت انتباه الباحث في هذه الأرجوزة، وهو يبحث في أفعالها الكثيرة العدد، هو تلك التّلوينات التي مسّت أزمنة هذه الأفعال وصيغها. مما أضفى على النّص ثراء دلالياً، مشكّلاً بذلك بروزاً أسلوبياً واضحاً. و«الفعل مادلّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة. ومن خواصه: دخول قد، والسّين، وسوف، والجوازم، ولحوق تاء التّأنيث ساكنة، ونحو تاء فَعَلْتِ».<sup>2</sup> وهو «يصلح للحدث الذي يتجدّد لحظة بعد لحظة، أو لنقل للتّعبير عن الحدث المتحرّك في النّفس».<sup>3</sup>

تتمثّل أبنية الفعل في حال التّعدية واللّزوم في أربع صيغ، ف«كل ما تعدّك إلى غيرك يكون على ثلاثة أبنية: على فَعَلَ يَفْعَلُ، وفَعَلَ يَفْعَلُ، وفَعَلَ يَفْعَلُ، وذلك

<sup>1</sup> نفسه، ص: 95.

<sup>2</sup> ينظر: ابن حاجب، نفس المرجع، ص: 150.

<sup>3</sup> أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتّراث، دار غريب للطباعة والنّشر والتوزيع، القاهرة، (د ط، د ت) ، ص: 152.

نحو: ضَرَبَ يَضْرِبُ، وَقَتْلَ يَقْتُلُ، وَلَقِمَ يَلْقَمُ. وهذه الأضرب تكون فيما لا يتعدّك، وذلك نحو: جَلَسَ يَجْلِسُ، وَقَعَدَ يَقْعُدُ، وَرَكَنَ يَرَكُنُ. ولما لا يتعدّك ضرب رابع لا يشركه فيه ما يتعدّك، وذلك فَعَلٌ يَفْعُلُ نحو كَرُمَ يَكْرُمُ، وليس في الكلام فَعَلْتُهُ متعديا. وليفْعُلُ ثلاثة أبنية يشترك فيها ما يتعدّى وما لا يتعدّى: يَفْعُلُ وَيَفْعُلُ وَيَفْعُلُ، نحو: يَضْرِبُ وَيَقْتُلُ وَيَلْقَمُ. و فَعَلٌ على ثلاثة أبنية، وذلك فَعَلٌ، وَفَعِلٌ، وَفَعُلٌ، نحو: قَتَلَ وَ لَزِمَ وَمَكَّتَ.<sup>1</sup>

لذلك عمدت - وأنا أبحث في الصيغ الفعلية- إلى الفصل بين الصيغ البسيطة والصيغ المركبة ودراسة كل نوع على حدة. و عُنيت بالصيغ البسيطة الأفعال المجردة من الحروف على تنوعها، وقصدت بالصيغ الفعلية المركبة تلك الأفعال التي اقترنت بناصب أو جازم أو غيرهما من الحروف الأخرى.

### الصيغ الفعلية المفردة (البسيطة):

1- صيغ الزمن الماضي المجرد: استعمل الكاتب من هذا النمط واحدا وثلثين فعلا، توزعت على أربع صيغ هي:

- صيغة فَعَلَ: سعى - نشق - رشق - مَشَقَّ - وسق - نسق - عبق - خفق - هاب - خاض - ضاع - صاب - شاء - علا - نمى - وعى - عَقَّ - دَقَّ - شَقَّ - هَدَّ - قَطَّ - شَجَّ - حَطَّ.

- صيغة فَعِلَ: ستة أفعال (6) هي: علم - نَعَسَ - حَنِقَ - خَشِيَ - سمع - رَقِيَ.  
- صيغة فَعُلَ: فعل واحد هو: كَثُرَ.

<sup>1</sup> سيبويه ، الكتاب، ص:38.

- صيغة فعل: فعل واحد هو: قهقه.

## 2- صيغ زمن المضارع المجرد:

استخدم الكاتب النوع ثلاثة وأربعين فعلا مجردا، بصيغة الإفراد والتركيب معا، هي:

### أولا: الصيغ المفردة:

بلغ عدد المستعمل منها ثمانية وعشرين فعلا، توزعت على عشر صيغ هي:

- **يَفْعَلُ**: ستة أفعال هي: يظهر - يشرب - يلبس - يحذر - يخشى - يرقى.

- **يَفْعَلُ**: ثلاثة أفعال هي: يملكون - يبغى - يهدي.

- **يُفْعَلُ**: ثلاثة أفعال هي: يذكي - يعلي - يلقى.

- **تَفْعَلُ**: ثلاثة أفعال هي: تفقه - تلقى - ترى.

- **تُفْعَلُ**: ثلاثة أفعال هي: تحيي - ترجي - تعطي.

- **يَفْعُلُ**: أربعة أفعال هي: يرتق - يفتق - ينفذ - يعلو.

- **تَفْعِلُ**: فعلان هما: تعرف - تجني.

- **تُفْعَلُ**: فعل واحد هو: تُسقى.

- **أَفْعِلُ**: فعل واحد هو: أعني.

- **تَفْعُلُ**: فعلان هما: تمدّ - تعنو.

### ثانيا: الصيغ المركبة:

استعمل الكاتب منها خمسة عشر فعلا، تقاسمتها سبع صيغ صرفية هي:

- أن **يَفْعَلُوا** 5 أفعال أن يرهبوا أن يسحقوا أن يحفظوا أن يتبعوا أن يجمعوا

- أن **يُفْعَلُوا** فعلان أن يُعطوا أن يُحسنوا.

- أن **يَفْعَلُوا** فعلان أن يجنبوا أن يقتلوا.

- أن يَفْعِلُوا فعلان أن يَحْمِلُوا أن يَفْلِقُوا.

- أن تَفْعِلَ فعلان أن تَقِي أن تعطي.

- لم تَفْعُلَ فعل واحد لم تعد.

- لم يَفْعَلِ فعل واحد لم يهب.

### 3- صيغ الزمن الماضي المزيد:

استخدم الإبراهيمي من هذا النمط واحدا وعشرين فعلا، ووزعها على ستة أبنية صرفية هي:

- أَفْعَلْ ثمانية أفعال هي: أحسن- أشرف- أفصح- أضاع- أجل- أذل- أقل- أدق.

- فَعَلَ ثمانية أفعال هي: بين- يسر- عسر- مهد- قتر- سجل- سد- عفى.

- تفاعل فعلان هما: تجاوز- تتابع.

- انفعل فعل واحد هو: انبرى.

- فاعل فعل واحد هو: واصل.

- تفعّل فعل واحد هو: تولى.

### 4- صيغ زمن المضارع المزيد:

وظّف الكاتب من هذا النوع سبعة أفعال فقط، جاءت في معظمها صيغا مفردة، وهي كما يلي:

#### أ- الصيغ المفردة:

- يُفَاعِلُ: ثلاثة أفعال هي: يلائم يحاول يجاري.

- يُفَعِّلُ: فعل واحد هو: يُسبِّبُ.

- يَفْتَعِلُ : فعل واحد هو: يقتاد .

- تستفعل: فعل واحد هو: تستجيب.

ب- الصيغ المركبة:

لم تفعل: فعل واحد هو: لم تجوّد .

5- صيغ أفعال الطلب: عبارة عن تسعة أفعال، تقاسمتها بنيتان صرفيتان

هما: صيغة أفعل وصيغة أفعل.

صيغة أفعل: سبعة أفعال هي: أعطوا (اعط) اغش الق فأث اقرأ افقه سل

صيغة أفعل: فعلان أحسن أجمل المجموع:

قراءة تحليلية في أبنية الأفعال:

يلاحظ أنّ هذه الأرجوزة استخدمت الأفعال بمختلف أزمنتها وصيغها، إذ بلغ

عددها مجملّة مائة وأحد عشر فعلا (111)، وكان حضور زمني المضارع

والماضي لافتا، إذ شهد استخدامهما تقريبا بيّنا في الاستعمال، حيث وصل

الماضي إلى اثنين وخمسين فعلا (52) موزعا على عشر صيغ. هي: فَعَلَ - فَعِلَ -

فَعُلَ - فَعَّلَ - أَفَعَلَ - تَفَاعَلَ - انْفَعَلَ - فاعَلَ - فَعَلَ - تَفَعَلَ، بينما بلغ

استعمال الزمن المضارع خمسين فعلا (50)، موزعا على اثنين وعشرين صيغة،

هي: يَفَعَلُ - يَفَعِلُ - تَفَعِلُ - يَفَعُلُ - يَفَعُلُ - تَفَعُلُ - تَفَعِلُ - أَفَعِلُ -

تَفَعُلُ - أن يَفَعُلُوا - أن يَفَعِلُوا - أن يَفَعُلُوا - أن تَفَعُلُ - لم تَفَعُلُ -

لم يَفَعُلُ - يُفَاعِلُ - يُفَعِّلُ - يَفَعِّلُ - تَسْتَفَعِلُ - لم تُفَعِّلُ.

إنّ حشد الكاتب للعديد من صيغ الفعل المضارع بهذه الكثافة ينم عن رغبة

جامحة في تصوير كلّ مستجدّات الحدث، «فالشاعر والأديب إذا أجاد استغلال

الفعل المضارع في نظم عباراته يستطيع أن ينقل جوّ الحدث والتّصوّر المتجدّد به.<sup>1</sup>

أما أفعال الطّلب فقد بلغ عددها تسعة أفعال فقط، موزّعة على صيغتين اثنتين هما: **افْعَلْ** و **افْعَلِي**، و يبدو من هذا التقارب في الاستعمال بين الزّمنين الماضي والمضارع، ومن خلال توظيفهما بهذه النّسبة العالية أنّ الإبراهيمي يستهدف المعنى الذي يفيدانه، فالفعل المضارع يفيد التّجدّد والاستمرار، لذلك وظّفه الكاتب، ليبرز أنّ الرّئاسة ثابتة مستقرّة، بينما الرّؤساء متجدّدون، وما دام أمرهم غير مستقر فالواجب عليهم أن يحسنوا سياسة النّاس وحكمهم حتى تذكرهم الأجيال اللاحقة بخير.

كما أنّ استخدام الإبراهيمي للفعل الماضي بالكثافة التي ذكرنا سابقا جاء انطلاقا من وظيفته المعنوية، إذ أنّه يفيد الإخبار والتّقرير والثّبوت، وهي دلالات تخدم الكاتب في الوصول به إلى الغايات التي يريد إثباتها، ولعلّها إقرار الكاتب وإخباره للمتلقّين بما آل إليه أمر الرّئاسة والرّؤساء في زمنه.

الملاحظ أنّ الكاتب استخدم الفعل المجرّد استخداما واسعا حيث وصل استعماله إلى واحد وثمانين فعلا، بنسبة مئوية قدرها 72.97 % ، ولعلّ اعتماده على الفعل المجرّد بهذا الشّكل المكتّف، يعود إلى تنوّع دلالات أبنيته، وقد أشار

<sup>1</sup> أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتّراث، ص: 152.



النَّحَاةُ العرب أنَّ للفعل الماضي الثلاثي المجرّد ثلاثة أبنية هي : فَعَلَّ فَعِلَّ فَعَلَ  
وَأَنَّ لِكُلِّ بِنَاءٍ دَلَالَتُهُ الْخَاصَّةُ.<sup>1</sup>

فالبنية الصّرفية (فَعَلَّ) غالباً ما تدلّ على الحسن والقبح يقول سيبويه: «أما ما  
كان حُسْنًا أو قُبْحًا فَإِنَّهُ مِمَّا يَبْنِي فَعْلُهُ عَلَى فَعُلٍ يَفْعُلُ نَحْوُ: قُبْحٌ يَقْبَحُ قُبَاحَةً، وَ  
سُمٌّ يَوْسُمُ وَسَامَةً»<sup>2</sup>.

أما البنية الصّرفية (فَعِلَّ) فغالباً ما تأتي للدلالة على:  
أ/ الأدواء. نحو: وَجِعَ وَ سَقِمَ.

ب/ الجوع والعطش: نحو: ضَمِيَّ يَضْمَأُ وَ عَطِشَ يَعْطِشُ.

ج/ الألوان: نحو: شَهَبَ.

د/ صفات الجمال والقبح: نحو: نَضِرَ وَ بَشِعَ.

ويلاحظ أنّ البناء الصّرفي: (فَعُلَّ) و(فَعِلَّ) يشتركان في الدلالة على الجمال  
والقبح والألوان.<sup>3</sup>

أما البناء الصّرفي (فَعَلَّ) فمعانيه كثيرة لأنّه أخفّ أبنية الأفعال، واللّفظ إذا  
خفّ كثر استعماله.<sup>4</sup> وإذا تمعنا في الأفعال المجرّدة المستعملة في هذه الأرجوزة  
نجد أنّ الغالبية العظمى منها جاءت على وزن - فَعَلَ - إذ بلغ تعدادها سبعة

<sup>1</sup> ينظر: العلامة محمد بن مالك الطائي النحوي، إيجاز التعريف في علم التصريف، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة  
الدينية، ط1، 2009، ص: (11-12-13).

<sup>2</sup> سيبويه، الكتاب، ج4، تح: محمد عبد السلام، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1982، ص: 28.

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص: من (17 إلى 27).

<sup>4</sup> نفسه، ص: 5 وللتوسيع أكثر، ينظر: ابن حاجب، مجموعة الشافية، تح: محمد عبد السلام شاهين، مج 1، دار الكتب  
العلمية، لبنان، ط1، 2014، ص: 215.

وخمسين فعلا(57)، بنسبة قدرها 70.37 % من مجموع الأفعال المجردة المستعملة، وتوزعت هذه الأفعال على أربعة أبواب هي:

### 1- باب فَعَلَ بِفَعْلٍ: 12 فعلا

تدلّ أفعال هذا الباب - غالبا - على: الذهاب أو المضي - الصّوت - الهدوء - الفرح - الافتخار - الخوف. وجاءت أفعال أخرى على معاني أخرى.

سعى	هاب	شاء	ظَهَرَ	رَأَى	حَيَا	رَهَبَ	سَحَقَ	جَمَعَ	قَرَأَ	سَأَلَ	وَسَقَ
يَسْعَى	يَهَابُ	يَشَاءُ	يُظَهِّرُ	يَرَى	يَحْيَا	يَرْهَبُ	يَسْحَقُ	يَجْمَعُ	يَقْرَأُ	يَسْأَلُ	يُوسِقُ

والمعاني التي أفادتها أفعال هذا الباب هي:

الأفعال	دلالاتها
سعى - جَمَعَ - وسق	الذهاب أو المضي والحركة.
هاب - سَحَقَ - رَهَبَ	الخوف والفرع
يقرأ - يسأل - شاء.	الصّوت
ظَهَرَ - رَأَى - حَيَا	الاهتداء والهدوء والفرح.

### 2- باب فَعَلَ بِفَعْلٍ: 29 فعلا تدلّ على المعاني التالية:

الهدوء والسكون - الجوع والعطش - الاقتراب والابتعاد - الحركة والاضطراب - الرفعة أو السمو. وقد جاءت أفعال أخرى من هذا الباب على غير هذه المعاني.

نشق	رشق	مَشَقَّ	خَفَقَ	عَبَقَ
يُنَشِقُ	يُرْشِقُ	يَمَشِقُ	يَخْفِقُ	يَعْبِقُ
نسق	خاض	حَطَّ	عَقَّ	دَقَّ

يَنْسُقُ	يَخُوضُ	يَحْطُ	يَعُقُّ	يَدُقُّ
هَدَّ	شَجَّ	شَقَّ	قَطَّ	فَتَقَّ
يَهْدُ	يَشُجُّ	يَشُقُّ	يَقُطُّ	يَفْتُقُّ
رَتَقَ	نَفَضَ	عَنَا	مَدَّ	جَنَبَ
يَرْتُقُ	يَنْفُضُ	يَعْنُو	يَمُدُّ	يَجْنُبُ
عَادَ	نَمَا	عَلَا	عَنَا	زَجَا
يَعُودُ	يَنْمُو	يَعْلُو 3	يَعْنُو	يَزْجُو

والدلالات التي أفادتها أفعال هذا الباب هي:

الأفعال	دلالاتها
مشق - نشق - رشق - نفَضَ - خاض - زكا -	الحركة والنشاط والاضطراب
عق - دق - هد - شج - شق - قط - قتل	السلوك العنيف
نما - علا	الرفعة والسمو
عاد - عنا - جنب - قط - فتق - رتق - حط - نسق	الاقتراب والابتعاد

### 3- باب فَعَلَ يَفْعُلُ: 13 أفعال

تدلّ أفعال هذا الباب على المعاني التالية:

الهدوء والسكون - الكبر والشيوخوخة - المجيء والذهاب - الصفة القبيحة -  
الصوت - الاضطراب والحركة - العطش - السير أو العدو. وجاءت أفعال كثيرة  
جدًا على معاني أخرى .

ضاع	مَلَكَ	بَغَى	هَدَى	عَرَفَ	جَنَى	حَمَلَ
يَضِيعُ	يَمْلِكُ	يَبْغِي	يَهْدِي	يَعْرِفُ	يَجْنِي	يَحْمِلُ
وَفَى	وَعَى	أَتَى	فَلَقَ	سَقَى	صَاب	
يَفِي	يَعِي	يَأْتِي	يَفْلِقَ	يَسْقِي	يَصِيب	

المعاني التي أدتها أفعال هذا الباب:

الأفعال	دلالاتها
ضاع	الكبر والشيخوخة
أتى	المجيء والذهاب
مَلَكَ - صَاب	الهدوء والسكون
فَلَقَ - بَغَى	الصفة القبيحة (سلوك عنيف)
سَقَى - جَنَى	الحركة والنشاط.

4-باب فَعَلَ يَفْعَلُ: 3 أفعال هي:

تَعَسَ	يَتَعَسُ	خَشِيَ	يَخْشَى	رَقِيَ	يَرْقَى
--------	----------	--------	---------	--------	---------

يدلّ هذا الباب على المعاني التالية:

اللَّهُو واللَّعب والفرح- الداء - الحزن - الخوف والفرع - العيب- السكون والهدوء- الحركة والنشاط والاضطراب - الغضب- الجوع والعطش- الشقاء أو السعادة- السهولة والصعوبة- اللون- العيب في الخلقة- والكبر والسمن- العلم أو الفهم- الحيرة-الحلية.

المعاني التي أدتها أفعال هذا الباب:

الأفعال	دلالاتها
تَعَسَ	الحزن والحرارة في الجوف.
خَشِيَ	الخوف والفرع.
رَقِيَ	السعادة.

هكذا يبدو أنّ الأبراهيمي عوّل كثيرا على الأفعال المجردة التي جاء بناؤها على وزن - فعَل - نظرا لخفتها وكثرتها وهو أمر يتناسب مع لغة هذه الأرجوزة، و يمكن من الوصول إلى الهدف الذي يستهدف الإبراهيمي تحقيقه بيسر وسلاسة. أما أفعال الطلب (اعطوا- اغش- الق - فأت - اقرأ - افقه - سل- أحسن - أجمل، فقد جاءت ليؤكد الكاتب من خلالها على ما يجب أن يكون عليه حال الرئاسة والرؤساء والحكام، ولعلّ الكاتب لم تسعفه هذه الأفعال الطلبية وحدها في ثني رؤساء زمنه عن السلوكيات التي لا تليق بمقامهم العالي، فاستقدم بعض الأفعال المضارعة، وألحقها ببعض القرائن، التي أحالتها إلى صيغ طلبية بامتياز، وهذه الأفعال هي: أن يرهّبوا- أن يسحقوا- أن يحفظوا- أن يتبعوا- أن يجمعوا - أن يُعطوا - أن يُحسنوا - أن يحملوا - أن يفلقوا - أن يجنبوا - أن يقتلوا - أن تفي وتعطي.

لقد استحالت هذه الأفعال المضارعة إلى أفعال طلبية معبرة عن واجبات ومطالب، بعد أن قرنها الكاتب بقريئة " عليهم" فأبانت عن الصّورة التي يجب أن

يكون عليها الرؤساء ، وطريقة سياسة الناس وقيادتهم ، وكيفية التعامل مع كل السلوكيات الصادرة من الرعية مهما كانت طبيعتها.

أمّا الأفعال الماضية المزيدة فقد بلغ عدد المستعمل منها واحدا وعشرين فعلا موزعة على ستّ صيغ هي: **أَفْعَل - فَعَلَ - فاعل - تَفَعَّل - تفاعل - انفعل**، لكنّ الصيغ الأكثر استعمالا هما صيغتا **أَفْعَل وَفَعَلَ** إذ وُظِّفَا مجموعتين ستّ عشرة مرّة، بنسبة قدرها 76.19%. و يبدو من هذا الاستعمال أنّ هاتين الصيغتين استحوذتا على اهتمام الكاتب، نظرا لاقترانهما بهمزة التّعدية و التّضعيف، اللّتين أخصبتا الدّلالة و وسّعتها. و فيما يلي عرض لأفعال هاتين الصيغتين قبل الزيادة وبعدها.

### 1- صيغة فَعَلَ:

الفعل بعد الزيادة	بيّن	يسرّ	عسرّ	عفىّ	مهّد	قتّر	سجّل	سدّد
الفعل قبل الزيادة	بان	يسر	عسر	عفا	مهّد	قتّر	سجّل	سدّد

تتعدّد دلالات الزيادة في صيغة **فَعَلَ** كسابققتها، وقد ذكر النّحاة المعاني التي

تفديها كما يلي:

- (التّعدية) نحو أدبت الصّبي.

- (التّكثير) كفتّحت الأبواب، ودبّحت الغنم.

- (السّلب) كقرّدت البعير، وحلّمته، أي أزلت قراده وحلمه.

- (التّوجّه) كشرّق، وغرّب.

- (اختصار الحكاية) كَأَمَّنْ، وَهَلَّلْ، وَسَبَّحَ. إِذَا قَالَ: آمِينَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسَبَّحَانَ اللَّهِ.

- (بمعنى فَعَلَ) مَخْفَفَ الْعَيْنِ كَقَدَّرَ بِمَعْنَى قَدَرَ، وَبَشَّرَ، وَمَيَّزَ بِمَعْنَى: بَشَّرَ وَمَازَ.<sup>1</sup>

«و من مقتضيات التّكثير والمبالغة في الحدث استغراق وقت أطول وأنّه يفيد تلبّثنا أو مكثان ف-(قَطَعَ) يفيد استغراق وقت أطول من (قَطَعَ) و (فَتَّح) يفيد استغراق وقت أطول من (فَتَّح).»<sup>2</sup>

## 2- صيغة أفعل:

تختلف (أفعل) من حيث الدلالة عن (فعل). ففي (علم) من التلبّث وطول الوقت في التعلّم ما ليس في (أعلم) تقول: (أعلمت محمدا خالدا مسافرا) و تقول: (علمته الحساب)، و لا تقول (أعلمته الحساب..<sup>3</sup>) وفيما يلي عرض لصيغ هذا البناء الصرفي:

أضاع	أقلّ	أذلّ	أفصح	أشرف	أدقّ	أجلّ	أحسن	الفعل بعد الزيادة
ضاع	قلّ	ذلّ	فصح	شرف	دقّ	جلّ	حسن	الفعل قبل الزيادة

تتنوّع دلالات همزة صيغة - أفعل- للمزيد من الفعل الثلاثي، فتدلّ على المعاني التالية:

<sup>1</sup> جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج 3 ، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (د ت) ، ص: 265-266.

<sup>2</sup> فاضل صالح السمرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، شركة العاتك لصناعة الكتاب، للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط2، 2006، ص: 58.

<sup>3</sup> نفسه: ص: 58.

-التَّعْدِيَّة: ك: أخرجت زيدا.

-الصَّيْرُورَة: ك: أغدَّ البعيرُ، أي صار ذا غدة.

-السَّلْب: ك: أشكيتَه أي أزلت شكايته.

-التَّعْرِيض: كأقتلت فلانا إذا عرَّضته للقتل ، وأبعت الشيء إذا عرَّضته للبيع.

-وجود الشيء على صفته: ك أحمدت فلانا، وأبخلته، وأجبنته، أي وجدته متصفا بالحمد والبخل والجبن.

-الإعانة: كأحلبت فلانا، وأرعيتَه: أي أعنته على الحلب والرعي.

-(ويعنى فَعَل): كأحزنه بمعنى: حزنه، وأشغله بمعنى شغله، وأحبّه بمعنى حبّه.

-(مطاوعته) ككَبَّبت الرّجل فأكبّ. وقشَعَت الرّيح السّحاب فأقشَع.

-(الإغناء عنه) كأزقَلَ وأعنَّقَ، أي سار سيرا سريعا. وأذنب بمعنى: أثم، وأقسم بمعنى: حلف.

أمّا صيغ زمن المضارع المزيد فقد جاء توظيفها محتشماً، حيث بلغ مجموع ما وظّف منها سبعة أفعال فقط، موزعة على خمس صيغ هي: يُفَاعِل - يُفَعِّل - لَمْ تُفَعِّل - يَفْتَعِل - تَسْتَفَعِل. فالصيغ الثلاثة الأولى زيدت بحرف واحد، أمّا صيغة يَفْتَعِل فقد زيدت بحرفين - بينما زيدت صيغة تَسْتَفَعِل بثلاثة أحرف، واستحوذت صيغة يُفَاعِل على ما يقارب نصف الصيغ، حين استحوذت على ثلاثة منها.

وباب فاعل يُفَاعِل يكون للمشاركة بين اثنين غالبا، نحو (راميته وخاصمته)، والمعنى: أني فعلت به ذلك، وفعل بي مثله. و قد تدلّ على معان أخرى، تفهم من قرينة الكلام.



أما باب **فَعَلَ يَفْعَلُ وَتَفَعَّلَ** فيكون للتعدية والتكثير غالباً، في حين يدلّ باب **افتعل يفتعل** - في الغالب - على المطاوعة نحو: جمعت القوم فاجتمعوا، ويكون باب استفعل للطلب والسؤال في معظم الأحيان، نحو: استغرت الله. أي طلبت منه المغفرة.<sup>1</sup>

ولو تأملنا الأفعال: يلائم - يحاول - يجاري. نجد أنّ الفعلين: يلائم - يحاول. جاء في معرض حديثه عن حقوق الجماعة على الرؤساء، بمطالبتهم باجتتاب ما يتناقض مع ذوق الجماعة وأهوائها، ومعاينة كل من يتناول عليها، بينما دلّت صيغة يجاري على ضرورة مجازاة الفتى الخير لشهوات الحياة ولياليها، والتكيف مع تقلباتها.

و با لعودة إلى الأبيات التي ضمت هذه الصيغ.

وعليهم أن يجنبوا ---- ما لا يلائم ذوقها

وعليهم أن يفلقوا----- رأساً يحاول فلقتها

خير الرجال السابقين-- فتى يجاري شبقتها

نجد أنّها دلّت على المشاركة بين اثنين، هما:

الجماعة ← ما يتناقض مع أذواقها.

الجماعة ← أعداؤها.

خير الفتيان ← شهوات الحياة.

<sup>1</sup> ينظر: العلامة محمد بن مالك الطائي النحوي، ص: 14-15.

و دلت صيغة يسبب و لم تجود كما هو واضح في البيتين التالين على التعدية والكثرة.

وعليهم أن يسحقوا ----- خلقا يسبب سحقتها

و الأرض لا تعطي الغنى --- إن لم تجود عزقها

أما صيغة يقتاد فقد دلت - كما يوضح البيت الآتي - على المطاوعة والانقياد التام.

والعلم يقتاد الحجي ----- للحق يذكي سوقها

و في البيت:

لا تستجيب لقاعد ---- فالحق المكارم تلقها.

دلت تستجيب المقرونة بـ: لا النافية على عدم الاستجابة لطلب المتخاذل الكسول الذي أثر القعود و رضي به.

ونخلص في نهاية حديثنا عن أبنية الأفعال إلى القول بأن الصيغ الفعلية التي وظفها الإبراهيمي جاءت متساوقة مع آرائه في الرئاسة والرؤساء، ووفت بالعرض من استعمالها، متضامنة مع أبنية الأسماء لتحقق الغاية التي يستهدفها الكاتب، مما أضفى على البنية التركيبية شحنا دلاليًا كبيرًا.

## الفصل الثالث

### المستويات الأسلوبية التركيبية في أدب البشير الإبراهيمي

الألفاظ لا تفيد حتى تؤلّف ضرباً خاصاً من التأليف،

ويُعَمَدُ بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب. فلو أنّك عمدت

إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدّاً كيف جاء واتّفق، وأبطلت

نضدَهُ ونظامه الذي عليه بني، وفيه أُفْرِغَ المعنى وأُجْرِيَ، وغيّرت ترتيبه

الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، و بنسقه المخصوص أبان المراد، نحو

أن تقول في: (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل). (منزل قفا ذكرى من

نبك حبيب)، أخرجته من كمال البيان، إلى مجال الهذيان.

عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص4.

## المباحث

المبحث الأول: المستوى التركيبى.

المبحث الثاني: أنماط الجملة البارزة في هذه الخطبة

المبحث الثالث: بعض خصائص البنية التركيبية.

المبحث الأول: المستوى التركيبي:

اللغة وسيلة إنسانية خالصة، و«هي أهم أداة من أدوات الحضارة»،<sup>1</sup> كما أنها «ظاهرة اجتماعية»<sup>2</sup> يستخدمها الإنسان في الاتصال ببني جنسه، لنقل أفكاره، ويعبر من خلالها عن «المعاني والدلالات التي يراد نقلها من متكلم إلى مستمع، تستخدم الأصوات المنطوقة والمكتوبة صورة لها. فهنا إذن جانبان أحدهما مادي مسموع أو مرئي، والآخر إدراكي معنوي، وكلا الجانبين يؤثر في الآخر ويتأثر به».<sup>3</sup>

غير أنّ رأياً آخر ركّز على الوشائج اللغوية أكثر من تركيزه على الألفاظ، بذهابه إلى أنها «ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات»<sup>4</sup>، وهذه الوسيلة لا تكتمل إلا بعد تركيبها من عدد من العناصر أو المستويات منها: المستوى التركيبي أو النحوي، الذي اعتبره علماء اللغة أحد العناصر الأساسية في الظاهرة اللغوية، لكونه يهتم بتنظيم الكلمات التي تتشكل من مجموعة من الأصوات والمقاطع الصوتية والكلمات في جمل، وفق مجموعة من العلاقات لأداء معنى مخصوص.

<sup>1</sup> أوغدن و ريتشاردز، معنى المعنى، صفحة الغلاف الخارجي للكتاب.

<sup>2</sup> أوزوالد ديكر، وجان ماري سشايغر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، (د ط، د ت)، ص: 265.

<sup>3</sup> محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي- الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000، ص: 39.

<sup>4</sup> عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، (د ط، د ت)، ص: 80.

والجملة هي الوحدة الدّنيا التي يتحقّق من خلالها الكلام، فقبل أن تتحقّق نطقاً أو كتابة، كانت حقيقة عقلية قائمة في ذهن المتكلّم أو بالأحرى كانت فكرة. « فهي في أقصر صورها، أقلّ قدراً من الكلام يفيد السّامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تركّب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر...»<sup>1</sup> و قد اختلف النّحاة واللّغويون في صياغة مفهوم موحد لها، بسبب اختلافهم في وجهات النّظر، و لكن يمكن القول أنّ بعض تعاريفهم تشير إلى «أنّ الجملة مجموعة من العلاقات النّحوية الرّابطة بين أجزاء الكلام ربطاً وظيفياً.»<sup>2</sup>

والكلام في كلّ لغة يمكن أن ينقسم إلى كتل، يفيد كلّ منها معنى يكتفي به السّامع ويطمئنّ إليه، وتشتمل كلّ كتلة منها في غالب الأحيان على ما يسمّى بالمسند والمسند إليه وحدهما، وتلك هي الجملة القصيرة التي اكتفى بركنيتها الأساسيين.. و لكن للجملة في الأعمّ الأغلب أموراً أخرى تطول بها الجملة وتتعدّد<sup>3</sup> نظراً لتعدّد عناصرها، وتباينها في الشّكل والنّوع.<sup>4</sup>

يمكن الاهتمام إلى نوع العلاقة الوظيفية والدّلالية التي تربط بين ألفاظ الجملة، من خلال ملاحظة مواقع الكلمات داخل التّراكيب، والعلامات الإعرابية على أواخرها، فلو قلنا مثلاً: (ضرب موسى عيسى)، و حاولنا معرفة الضّارب

<sup>1</sup> إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1978، ص: (276-277).

<sup>2</sup> عبد السلام المسدي، الشرط في القرآن، الدّار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، (د ط)، 1980، ص135. نقلاً عن: نبيل قواس، سجينات أبي فراس الحمداني، دراسة أسلوية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العباسي، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009، ص: 90.

<sup>3</sup> ينظر: نفسه، ص: 177.

<sup>4</sup> ينظر: جمعة العربي الفرجاني، مفهوم الكلام والجملة والتّركيب عند القدامى والمحدثين، مقال، المجلة الجامعة، ع15، مج2، جامعة الزاوية، 2013.

من المضروب، فلن نصل إلى ذلك إلا من خلال ملاحظة الرتب الطبيعية للكلمات داخل الجملة، لأنّ العلامة الإعرابية لا تظهر على أواخر كلّ الأسماء، التي منها الأسماء المقصورة؛ لذلك اعتبرت العلامات الإعرابية إحدى المؤشّرات الإضافية، التي تزيد في تمييز نمط العلاقة النحوية والوظيفية والدلالية لعناصر الجمل التي تنتمي إلى هذا النوع، ومن هنا كان الموقع (الرتبة) هو الفيصل في تحديد الوظيفة النحوية والدلالية للكلمات، وقد أكّد الجرجاني هذه الحقيقة بقوله: « و على ذلك وضعت المراتب والمنازل في الجمل المركّبة، وأقسام الكلام المدوّنة، فقيل: من حقّ هذا أن يسبق ذلك، ومن حقّ ما ههنا أن يقع هناك، كما قيل في المبتدأ والخبر والمفعول و الفاعل، حتى حظر في جنس من الكلم بعينه أن يقع إلا سابقاً، وفي آخر أن يوجد إلا مبنياً على غيره وبه لاحقاً »<sup>1</sup>

والمؤشّرات اللغوية الإضافية التي تميّز نوع العلاقة الوظيفية والدلالية التي تربط الكلمات بعضها ببعض داخل التركيب نوعان، هما: قرائن لفظية وقرائن معنوية.

#### أولاً: القرائن اللفظية: وتتمثل في ما يلي:

1- العلامات الإعرابية: في كلامنا نستغني - أحياناً - عن الرتبة فنقدّم ونؤخّر، ونغيّر الترتيب المعتاد للجملة من أجل غرض بلاغي، فتبقى علامات الإعراب هي المؤشّر الدال على الوظيفة، مثال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>2</sup>، خرجت هذه الآية عن النسق المعتاد للجملة "فعل + فاعل + مفعول به" حيث تقدّم المفعول به لفظ الجلالة (الله) على الفاعل (العلماء) وذلك لغرض بلاغي هو الحصر.

<sup>1</sup> أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، أسرار البلاغة، ص 5.

<sup>2</sup> - فاطر، الآية: 28

والفتحة على آخر لفظ الجلالة (الله) هي التي دلّت على أنّ المفعول به هو المتقدّم و الفاعل هو المتأخّر.

2- حروف العطف مثل: الواو- والباء- والفاء : وهي نوع آخر من المورفيمات ليست مستقلة ولا مقيدة، وإنما هي مورفيمات وظيفية تدخل تحتها الظروف وحروف المعاني والأدوات بشكل عام؛ فالواو تكون للقسم والعطف والحال والمعينة، والسياق هو الذي يحدّد وظيفتها، كما أنّ اللام تكون: للأمر والتعليل والجحود والجرّ.<sup>1</sup>

3- صيغ الفعل الماضي: إذا كانت داخل جمل شرطية أو طلبية (دعائية)، تتجاوز معنى الماضي لتدلّ على المستقبل مثل: "إن تابرت في دراستك نجحت" فالماضي هنا يفيد المستقبل لأنّه يفيد الشرط. وكذلك تكون دلالته على المستقبل في الجمل الدعائية، مثل: "شفاك الله".

4- الصيغة: هي المبنى الصرفي للأسماء والأفعال والصفات، و هي قرينة لفظية يقدّمها علم الصرف للنحو، و مثال ذلك: أنّ الفاعل والمفعول به، والمبتدأ والخبر، ونائب الفاعل يجب أن تكون أسماءً لا أفعالاً.

5- الرتبة نوعان:

أ- رتبة محفوظة: مثل تقدّم الموصول على الصلة والموصوف على الصفة وغيرها.

ب- رتب غير محفوظة: مثل: تقدّم المبتدأ على الخبر والفاعل على المفعول به، وغيرها.

<sup>1</sup> ينظر: عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبدالقاهر، ص: (76-77-78).



6-المطابقة: قرينة لفظية توثق الصلة بين أجزاء التركيب وتعين على إدراك العلاقات التي تربط بين المتطابقين. تكون المطابقة في العلامات الإعرابية والعدد والنوع. فإذا قلنا: الطلبة المثابرون ينجحون. كان التركيب تامّ المطابقة صحيحها. خلافا لقولنا: (الطلبة المثابرون ينجح). فالتركيب فاسد؛ لأنّ المطابقة غير حاصلة في موضعين يستوجبانها.

7- الرّبط: هو قرينة لفظية تدلّ على اتصال أحد المترابطين بالآخر، وله دور في إبراز المطابقة بين أجزاء الكلام. ويكون الرّبط بالضمير مستتراً وبارزاً.. فالمستتر نحو: زيدٌ قام. و البارز: زيد قام أبوه.

8- التّضام: أي: التّلازم، مثل: الموصول والصلة، حرف الجر ومجروره، واو الحال وجملة الحال، حرف العطف و المعطوف.

9-الأداة: هي مبنى صرفي يؤدي وظائف خاصّة في التركيب النحوي، وتنقسم إلى: أ. أدوات أصلية: لا تنتمي إلى أيّ مبنى صرفي سابق وإنما هي حروف وضعت لمعان خاصّة عند أهل اللّغة أساساً، مثل: حروف الجرّ وحروف العطف. ب. أدوات محوّلّة: وهي التي تنتمي إلى مباني الأسماء والأفعال والظروف لكنّها أشبهت بالحرف شبيهاً معنوياً، مثل: متى، أين، كيف."

10- النّعمة: هي النّغم الصّوتي الذي تقال به الجملة في السّياق، فهناك أشكال للتّغيم، تنطق بها الجملة الاستفهاميّة أو المنفيّة أو المؤكّدة أو جملة التّمني أو العرض، فكلّ جملة من هذه الجمل شكل أو صيغة تنغيمية خاصّة بها. و بناء على ما ذكر قد تكون النّعمة قرينة أكيدة على المعنى النحوي.

ثانياً - القرائن المعنوية، وهي :

\* الإسناد: وهي العلاقة الرابطة بين طرفي الإسناد كالعلاقة بين المبتدأ والخبر،  
والعلاقة بين الفعل والفاعل.

\* التخصيص: وهي قرينة معنوية تضم مجموعة من المعاني، مثل: التّعديّة، الغائيّة،  
الظرفية، الإخراج.

فالتّعديّة مثل: نصح محمد أخاه. إيقاع الضرب على كلمة (أخاه) تخصيص لعلاقة  
الإسناد. وأمّا الغائيّة (السببية): هو أن نأتي بالمفعول لأجله على التخصيص، مثل  
قولنا: ترددت على المدارس طلباً للعلم. وأمّا الإخراج (الاستثناء): فيدلّ على أنّ  
الإسناد لا يشمل المستثنى لأنّه أخرج منه، نحو قولنا: نجح الطّلابُ إلّا عليّاً. فإسناد  
النجاح هنا إلى الطّلاب استثنى منه واحد هو(عليّاً) للدلالة على إخرجه منهم.  
وأمّا الظرفية فهي مثل قولنا: (استيقظت حين أذن المؤذن لصلاة الفجر). يخصّص  
الإسناد إذا قيّد بزمان أو مكان.<sup>1</sup>

فالبنية التركيبية إذن تُعنى بوصف نظام الجملة، وكيفية تكوينها، لذلك حفل النّحاة  
بها كثيراً، ووضعوا لها حدوداً، وأبرزوا ما يطرأ عليها من عدول: كالّتقديم والتأخير  
والذّكر والحذف والطّول والقصر و الاعتراض والتّوكيد والالتفات، ثم العدول  
على مستوى الصّورة التي ترسمها الجملة، بواسطة التّشبيه والاستعارة والكناية،  
وغيرها.

<sup>1</sup> ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: من (150 إلى 200).

قراءة أسلوبية في المستوى التركيبى في أول خطبة إبراهيمية بعد الاستقلال.المبحث الثاني: أنماط الجملة.1- الجمل بين البساطة والتركيب.

الأصل في الجملة العربية أن تتألف من دعامتین مهمّتين، هما المسند إليه والمسند وهما ما يمثّل الحدّ الأدنى الذي لا تتعدّد الجملة بدونه، وهما عمدة الكلام، ولا يكون الكلام مفيداً يحسن السكوت عليه إلاّ إذا تحقّق فيه ذلك الحدّ الأدنى الذي هو أساس الكلام، و هذا ما أشار إليه سيبيويه عند حديثه عن علاقة المسند إليه بالمسند، حين قال : « و هما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر، و لا يجد المتكلمّ منه بدا. فمن ذلك الاسم المبتدأ، والمبنيّ عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك: يذهب عبد الله، فلا بدّ للفعل من الاسم، كما لم يكن للاسم الأوّل بدّ من الآخر في الابتداء»،<sup>1</sup> كما عبّر بلاشير عن فكرة الإسناد بقوله: «الجملة هي مجموعة من الألفاظ مرتبطة فيما بينها بعلاقات نحوية، ولا ترتبط نحوياً بأية مجموعة أخرى و تكفى بذاتها.»<sup>2</sup>

فالتكوّن الأساسي للجملة إذن لا يتحقّق إلاّ من خلال وجود ركنين أساسيين؛ لا يستغني واحد منهما عن الآخر، وهما: المسند إليه والمسند؛ أي: المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية، و الفعل والفاعل في الجملة الفعلية، و «ما زاد عن المسند والمسند إليه فهو فضلة عدا المضاف إليه فإنّه يمكن أن يلتحق بالعمدة أو أن

<sup>1</sup> سيبيويه، الكتاب، ج 1، تح: عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ص: 23.

<sup>2</sup> Blachère. : Grammaire de l'arabe classique. Paris 1975

نقلا عن: علاء إسماعيل الحمزاوي، أستاذ العلوم اللغوية المساعد بكلية الآداب، جامعة المنيا، الجملة الدنيا والجملة الموسعة في كتاب سيبيويه- دراسة وصفية تحليلية- ص: 9.

يلتحق بالفضلة بحسب موقعه في الإضافة»<sup>1</sup>، فيكون أساسيًا إذا أضيف إلى العمدة ، ويكون فضلة إذا أضيف إلى فضلة.

هذا المستوى البسيط من الكلام الذي يمثل أصل الوضع للجملة العربية، عرف عدّة تسميات عند المحدثين هي: الجملة الأصلية، والجملة البسيطة، والجملة الأساسية، والبنية الأساسية، ويقابله في المفهوم النحوي القديم الجملة الكبرى ، أو المركبة في المفهوم اللساني الحديث، ووفقا لذلك رأى بعض الدارسين أنّ الجملة من حيث بساطتها وتركيبها، لا تزيد عن ثلاثة أنواع، هي: الجملة البسيطة أو الأصلية، والجملة الكبرى، والجملة الصغرى.

يدرك المتأمل في خطبة البشير الإبراهيمي أنها تزخر بالعديد من الجمل البسيطة، إذ بلغ استعمالها مائة وخمس جمل، في مقابل ثمانية وخمسين جملة مركبة فقط، ففي افتتاحيتها ذكر الكاتب حديثا مجملا، موصولا بالمضمون العام للخطبة، وعرفت حضورا قويا للجملة الفعلية البسيطة، ومرجع ذلك تقلب أحول البلاد، والأهواء غداة الاستقلال، وأنّ دفع البلاد نحو المستقبل المنشود مازالت تقف في وجهه كثير من العقبات، لذلك وظف الإبراهيمي الجمل الفعلية البسيطة، لاستيقانه أنّ هذه التراكيب الفعلية قادرة على حمل المعاني المراد تبليغها ببسر وسلاسة إلى رواد المسجد الكثيرين.

إنّ الجملة الفعلية بما تتضمنه من أفعال، تدلّ على خصوصية معينة مغايرة للجملة الاسمية، وتتجلّى هذه الخصوصية في كون الفعل «يدخل فيه عنصر الزمن

<sup>1</sup> فاضل صالح السمراي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، دار الفكر، عمان، الأردن، ط2، 2007، ص17.

والحدث، ولأنّ عنصر الزّمن داخل في الفعل، فهو ينبعث في الدّهن عند النّطق به<sup>1</sup>، « ويؤدّي إلى تجدد المعنى لحظة بعد لحظة، أو يعبر عن الحدث المتحرّك في النّفس»<sup>2</sup>، خاصّة إذا كان الفعل في الزّمن المضارع.

إنّ الجزائر مازالت حديثة العهد بالاستقلال، وقد ورثت من الاستعمار تركة ثقيلة، تتوء عن حملها الجبال، وهي في حاجة إلى عرق جميع أبنائها، و حركيتهم، لا قعودهم، ونشاطهم لا تقاعسهم، لكي تستعيد عافيتها، وقد عبّر الكاتب بواسطة هذه التراكيب الفعلية البسيطة عن جملة من الأمور اليقينية التي يتحمّم على عمّار المسجد وعامة المسلمين أن يؤمنوا بها، وهي الإيمان بأنّ:

1- سنن الله نافذة في الكون لا رادّ له. 2- نصر الله مشروط بالإيمان والصّبر.

3- القوّة والضّعف أمران يتداولان على البشر، ويتحقّقان كلّما تحقّقت أسبابهما.

كما أبرز من خلالها - أيضا - أنّ النّصر والغلبة لا يتحقّقان إلّا إذا تحقّقت

شروطهما، ومن الشّروط التي أفصح عنها ما يلي:

\* الصّلاح \* الإيمان والصّبر \* اتّباع السنن الكونية \* اليقين والثّقة بوعده الله \*

إخلاص النّيّات \* صفاء السّرائر. \* طهارة الضّمائر \* التّبرؤ من الفرقة وأهلها ومن

الفتنة وأصحابها \* طلب معونة الله على تجاوز المصائب، نسيان الأحزان \* الدّعاء

لأولي الأمر بالقدرة على التّأليف بين النّفوس وتحقيق الوحدة الحقيقية التي تزرع

القيّم الإنسانيّة.

<sup>1</sup> أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، (د ط، د ت) ص: 151.

<sup>2</sup> نفسه، ص: 152.

ومما يبرز بوضوح على الجمل البسيطة في هذه الخطبة، هو أنّها جاءت على أنماط شتى، فتارة يطبعها الإيجاز، وتارة أخرى يطبعها الإثراء، ولعلّ الإبراهيمي رأى في هذا التنوّيع نوعاً من المراوحة اللغوية، التي تدفع عن مخاطبيه الملل، وتجعلهم يصغون لكلامه، ويتمعنّون فيه. ولمزيد من الإيضاح، نقوم بعملية تفكيكية لهذه التراكيب المتنوّعة.

**النّمط الأوّل:** فعل + فاعل. (البنية الأساسية فقط، أو النواة).

بنياته اللغوية: أدبر الباطل - يفلحون - تكلمت البنادق - يخسرون - تنقضي - تعالى.  
**النّمط الثاني:** فعل + جار ومجرور + فاعل.

البنية الكلية	البنية الأساسية (الجملة الدنيا)	البنية الزائدة (العناصر التوسيعية)
يعرض عنها قوم	يعرض قوم	عنها.

**النّمط الثالث:** فعل + فاعل + مضاف إليه.

البنية الكلية	البنية الأساسية (الجملة الدنيا)	البنية الزائدة (العناصر التوسيعية)
تعالّت أسماؤه	تعالّت أسماؤ	هاء الغائب.
تمّت كلماته	تمّت كلمات	هاء الغائب.
تعالى جده	تعالى جدّ	هاء الغائب
استقام دين الحقّ	استقام دين	الحقّ.

**النّمط الرابع:** فعل + فاعل + مفعول به.

البنية الكلية	البنية الأساسية (الجملة الدنيا)	البنية الزائدة (العناصر التوسيعية)
ما ظلم الأوّلين	ما ظلم	الأوّلين
لاحابي الآخرين	لا حابي	الآخرين
يعلم المصلح	يعلم	المصلح

هم	يبتلّي	يبتلّيهم
هاء الغائب	أضعتمو	أضعتموها
هاء الغائب	استرجعتمو	استرجعتموها
قوما	مدح	مدح قوما
الاغتصاب	سجّلت	سجّلت الاغتصاب
أسابيع	لم يجاوز	لم يجاوز أسابيع

**النّمط الخامس:** فعل + فاعل + مفعول به + حال.

البنية الزائدة	البنية الأساسية	البنية الكلّية
الأحزاب وحده	هزم	هزم الأحزاب وحده
—ها منه غالبا	أخذتمو	أخذتموها منه غالبا
جميعا على قدر	التقيتم	التقيتم جميعا على قدر
—كم/ جميعا	وفق لله	وفقكم الله جميعا
—ها/بقوّة.	أعينوا	أعينوها بقوّة
الخير على أيديكم	أجرى	أجرى الخير على أيديكم جميعا
جميعا		

**النّمط السادس:** فعل + فاعل + مفعول به + مضاف إليه.

البنية الزائدة	البنية الأساسية	البنية الكلّية
عده	نصر	نصر عبده
جنده	أعزّ	أعزّ جنده
وعده	صدق	صدق وعده
صدق يقينهم	يعلم	يعلم صدق يقينهم
حرارة الثكل	تنسى الأيم	تنسى الأيم حرارة الثكل

عشرات الآلاف	تركت	تركت عشرات الآلاف
مرارة اليتيم	ينسى اليتيم	ينسى اليتيم مرارة اليتيم.
قولي هذا.	أقول	أقول قولي هذا.

**النمط السابع:** فعل+فاعل+ مفعول به+مضاف إليه+جار ومجرور.

البنية الكليّة	البنية الأساسية	البنية الزائدة
لا تقطعوا أوقاتكم في السّافس	لا تقطعوا	أوقاتكم في السّافس
بذرت بذور الثّورة في النّفوس	بذرت	بذور الثّورة في النّفوس

**النمط الثامن:** فعل+ فاعل+جار ومجرور+مضاف إليه أو صفة.

البنية الكليّة	البنية الأساسية	البنية الزائدة
نستنزل من رحمات الله	نستنزل	من رحمات الله
باعوا بالصفقة الرابحة	باعوا	با لصفقة الرابحة
قاتل لإعلاء كلمة الله.	قاتل	لإعلاء كلمة الله
اعجبوا لتصاريف الأقدار.	اعجبوا	لتصاريف الأقدار.
نرجع إلى مطالبات قولية.	نرجع	إلى مطالبات قولية.
تجلّى برحمته على آخرين	تجلّى	برحمته على آخرين
تجلّى على بعض عباده بالغضب	تجلّى	على بعض عباده
عاد التّوحيد إليه	عاد التّوحيد	بالغضب إليه.
امسحوا على أحزانهم	امسحوا	على أحزانهم
لم يخرج من أسنتكم	لم يخرج	من أسنتكم

**النمط التاسع:**

فعل+ فاعل+جار ومجرور.



البنية الزائدة	البنية الأساسية	البنية الكليّة
على الإنسان على الوحش إلى الإصلاح عليه . من قلوب بعضكم على هذه السمعة العاطرة.	يبغي الإنسان يبغي الوحش انصرفوا صلى الله لم يخرج تقضوا	يبغي الإنسان على الإنسان يبغي الوحش على الوحش انصرفوا إلى الإصلاح صلى الله عليه . لم يخرج من قلوب بعضكم تقضوا على هذه السمعة العاطرة.

**النمط العاشر:** فعل+فاعل+مفعول به+جار ومجرور .

البنية الزائدة	البنية الأساسية	البنية الكليّة
القوّة من الضعف الحرية من العبودية.	أخرج ولّد	أخرج القوّة من الضعف ولّد الحرية من العبودية.

**النمط الحادي عشر:** فعل+مفعول به+فاعل+...

البنية الزائدة	البنية الأساسية	البنية الكليّة
ها —ه شعب كم ه/ المؤمنون على الموت ها/ منكم استلابا.	يتبع قوم لم يحز شعب يستزلّ الشيطان بايع عباد أخذ الاستعمار	يتبعها قوم لم يحزه شعب يستزلّم الشيطان بايعه عباد المؤمنون على الموت أخذها الاستعمار منكم استلابا

**النمط الثاني عشر:**

فعل+ فاعل +جار ومجرور + مفعول به +...

البنية الكليّة	البنية الأساسية	البنية الزائدة
أحال فيهم كنائس التّثليث إلى مساجد للتوحيد	أحال	فيهم كنائس التّثليث إلى مساجد للتوحيد
أنتج من المتضادّات أضدادها	أنتج	من المتضادّات أضدادها
استمدّ من الله اللّطف	استمدّ	من الله اللّطف
أنفق في أوصافك الغرّ أوقاتي	أنفق	في أوصافك الغرّ أوقاتي

**النّمط الثالث عشر:** فعل + فاعل + مفعول به أول + مفعول به ثان + ...

البنية الكليّة	البنية الأساسية	البنية الزائدة
جعل السيّف فرقانا بين الحقّ و الباطل	جعل	السيّف فرقانا بين الحق الباطل
جعل الموت طريقا إلى الحياة.	جعل	الموت طريقا إلى الحياة
جعلكم متعاونين على البر.	جعل	كم متعاونين على البر.
جعل نصر الفئة القليلة منوطا بالإيمان ..	جعل	نصر الفئة القليلة منوطا بالإيمان ..

**النّمط الرابع عشر:**

فعل + فاعل + مفعول به + مضاف إليه + ظرف + مضاف إليه.

البنية الكليّة	البنية الأساسية	البنية الزائدة
أحال مساجد التّوحيد بين أيديهم إلى كنائس للتّثليث.	أحال	مساجد التّوحيد بين أيديهم إلى كنائس للتّثليث.

**النّمط الخامس عشر:** فعل + فاعل + مفعول به + جار ومجرور.

البنية الكلية	البنية الأساسية	البنية الزائدة
شرع الجهاد في سبيل الله.	شرع	الجهاد في سبيل الله
جمع أيديكم على خدمة الوطن.	جمع	أيديكم على خدمة الوطن
حزتم من إعجاب.	حزتم	من إعجاب.
اشملوهم بالرعاية.	اشملوا	هم بالرعاية

**النمط السادس عشر:** فعل + فاعل + مصدر مؤول + جملة معطوفة + فعل + فاعل

+ جار ومجرور + مضاف إليه 4.

البنية الكلية	البنية الأساسية	البنية الزائدة
احذروا أن يركبكم الغرور	احذروا	أن يركبكم الغرور
ويستزلّكم الشيطان	يستزلّ الشيطان	كم
فتشوّها بسوء تدبيركم	فتشوّها	بسوء تدبيركم محاسن
محاسن هذه الثّورة.		هذه الثّورة.

**النمط السابع عشر:** فعل محذوف + فاعل + مفعول به + مضاف إليه.

البنية الكلية	البنية الأساسية	البنية الزائدة
يا أتباع محمد		أتباع محمد
يا معشر الجزائريين		معشر الجزائريين
يا معشر المؤمنين	يا ( أَدْعُوْهُ أَوْ أُنَادِيْهِ )	معشر المؤمنين
أيّها المؤمنون		أيّها المؤمنون
يا إخواني.		إخواني.

**النمط الثامن عشر:**

فعل مبني للمجهول + نائب فاعل + جار ومجرور.

البنية الكليّة	البنية الأساسية	البنية الزائدة
أبيح للضرورة / يقدر بقدرها.	أبيح - يُقدّر	للضرورة- بقدرها.

### النمط التاسع عشر:

فعل منفي + فاعل + جار ومجرور + مفعول مطلق + مضاف إليه.

البنية الكليّة	البنية الأساسية	البنية الزائدة
لا فرحتم باسترجاعه. فرحة الصبيان.	لا فرحتم.	باسترجاعه فرحة . الصبيان.

### النمط العشرون:

فعل محذوف+فاعل مقدر+مفعول مطلق+مضاف إليه.

البنية الكليّة	البنية الأساسية	البنية الزائدة
سبحانه.	محذوفة. تقديرها: أسبّح أنا	سبحانه.

### النمط الحادي والعشرون:

فعل منفي+فاعل+أداة حصر + مفعول به+ اسم معطوف

البنية الكليّة	البنية الأساسية	البنية الزائدة
لا نملك إلاّ الحوقلة والاسترجاع.	لا نملك	إلاّ الحوقلة والاسترجاع

النمط الثاني والعشرون: فعل+فاعل+مفعول به+صفة+ جار ومجرور

البنية الكليّة	البنية الأساسية	البنية الزائدة
-تلقت تركة مثقلة بالتكاليف. -استغفر الله العظيم لي ولكم.	تلقت استغفر	تركة مثقلة بالتكاليف الله العظيم لي ولكم

يتبين من خلال استدعاء الإبراهيمي للجمل الفعلية البسيطة أنه ركّز على ثمانية أنماط منها، واستخدمها استخداماً موسّعاً نوعاً ما، حيث وصل تعداد التراكيب الموظفة فيها إلى ستّة وخمسين تركيباً بسيطاً من المجموع العام، مطبوعاً بالإيجاز، إذ لا نجد من المتمّمات فيها إلّا المضاف إليه أحياناً، أو الحال أو الصّفة أحياناً أخرى، ولعلّ ميل الكاتب إلى هذه البنى القصيرة يعود إلى خفتها، وبساطة فهمها، وإمكانية استيعاب الأسماع لها واستساغتها، خاصّة إذا علمنا أنّ الجمهور الحاضر كان خارجاً من حقبة زمنية مظلمة، ميّزها الجهل والأمية والفقر والمرض، بسبب السياسة الماكرة التي طبقت على الجزائريين بهدف استئصالهم من جذورهم، وهو الأمر الذي دفع الخطيب إلى أن يختار لخطبته لغة سهلة ومألوفة ومتداولة، محاولاً تجليتها وإزالة أي إبهام عنها، باستخدام الوصف بالإضافة أو باستخدام الحال أو الصّفة أو الجار والمجرور، حتى يتمكن من تنوير العقول، واستنفارها لتحمل مسؤولياتها اتجاه وطنها. وهذه الأنماط هي:

النمط	العناصر	العدد المستعمل
النمط الأول	فعل + فاعل + جار ومجرور	11
النمط الثاني	فعل + فاعل + مفعول به	09
النمط الثالث	فعل + فاعل + مفعول به + مضاف إليه	08
النمط الرابع	فعل محذوف + فاعل + مفعول به + مضاف إليه	06
النمط الخامس	فعل + فاعل + مفعول به + حال	06
النمط السادس	فعل + فاعل. (البنية الأساسية فقط)	06

05	فعل + مفعول به + فاعل + ...	النمط السابع
05	فعل + فاعل + جار ومجرور + مضاف إليه أو صفة	النمط الثامن

أما الأنماط الأربعة عشر المتبقية، فلم يستخدمها الكاتب كثيرا، و يبدو أن الشاغل الذي كان يشغل باله هو كيف يتمكن من جعل قلوب الحاضرين تعي مقاصده، وتفهم أبعاد كلامه؟ ولعله وجد ضالته في الأنماط الثمانية، عن طريق إثرائها بالمتّمات السّالفة الذكر.

أما الجمل الاسمية البسيطة فلم يحفل بها الكاتب كثيرا، إذ استخدم منها إحدى عشرة جملة فقط، وجاءت في أثناء حديثه عن بديهيات ثابتة، وقناعات مستقرّة في ذهنه وأذهان مخاطبيه. وتتمثل هذه القناعات فيما يلي:

القناعات والحقائق الثابتة التي تدلّ عليها	موضوع الحديث	الجمل الاسمية البسيطة
حمد الله وشكره صفة ثابتة في نفوس المسلمين الصادقين.	نعم الله	الحمد لله
احترام المساجد وإعلاء شأنها، والمحافظة عليها مطلب ثابت في ديننا الحنيف.	قيمة المسجد	هو وديعة التاريخ في ذمكم
هو رمز ثابت لتوحيد الله.	المسجد	هذا بيت التوحيد
البغي غريزة ثابتة عادية في عالم الحيوان.	قانون الغاب السائد بين الحيوانات.	لا يكون غريبا
طاعة الإنسان للشيطان أمر ثابت عند	ظلم الإنسان	لا يكون ذلك

عجيبا	للإنسان	ضعاف النفوس، البعيدين عن الله.
لأنّ في الإنسان عرقا نزاعا..	النفوس الأمّارة بالسوء	تجرّد الإنسان من الإنسانية، يجعله يمعن في الظلم.
إنّ حكومتكم الفتية منكم	أول حكومة بعد الاستقلال	رجال أول حكومة بعد الاستقلال هم أبناء الجزائر المستقلة.
إنّهم أبناؤكم وإخوانكم وعشيرتكم	ضحايا الاستعمار	المواساة والتّراحم والتّضامن من قيم ديننا الثّابتة، وصفة راسخة في نفوس الجزائريين.
هو الغفور الرحيم	خاتمة الخطبة	الغفور الرّحيم من أسماء الله الحسنى الثّابتة.
يكون كفاء لبطولتهم	الدّعاء للشّهداء	الشّهداء منزلتهم عالية عند الله.
لكنّها سنّته	سنن الله الجارية	سنن الله الكونية نافذة إذا ما تحقّقت أسبابها.

كما وظّف الإبراهيمي أيضا الجمل المركّبة، ولكن بنسبة أقلّ من البسيطة، حيث بلغ عدد استخدامها ستين جملة مركّبة، و كانت الغلبة فيها للجمل الاسمية، التي وصل تعدادها إلى ثمانية وثلاثين جملة، في مقابل اثنتين وعشرين جملة فعلية، وتفرّعت كلتاها أحيانا إلى تفرّعات لازمة، وتفرّعات غير لازمة في أحيان أخرى. الظاهر بعد ملاحظة الجملة الاسمية المركّبة أنّ الغالبية العظمى منها جاء عنصر من عناصرها الأساسية جملة اسمية أو فعلية، ولم يشدّ عن هذه الوضعية إلا أربعة جمل فقط، و استعمال الجمل المركّبة بهذا الشكل يشي إلى أنّ الإبراهيمي

يتغيًا من ورائها التأكيد على ما تحمله من معاني، فلو أعدنا تصنيف هذه الجمل المستخدمة حسب الموضوعات التي تعالجها لأدركنا قيمتها وأهميتها في نفسه وفي قلوب جميع المسلمين، وعلى هذا الأساس فضّل الكاتب الاعتماد على البنية الأساسية المركبة، لكونها تتناسب مع المعاني التي يريد لها وقادرة على حملها. وفيما يلي تصنيف لهذه الجمل حسب موضوعها وتفرعاتها.

### أ-البنيات المركبة ذات التفرع اللازم وموضوعاتها:

\*يوم الاستقلال: سبع جمل (7) هي:

- هذا هو اليوم الأزهر./ هذا هو اليوم الأغرّ/ هذا هو اليوم المشهود/ هذا هو التاج المتألق/ هذا هو الغرة اللاتحة/ هذا هو الصّحيفة المذهبة الحواشي.

- لو أنّ الاستعمار أعاده إليكم عفوا من غير تعب، لما كان لهذا اليوم ما تشهدونه.

\*المسجد عشر جمل(10)، هي:

1/ هذا المسجد هو حصّة الإسلام من مغنم جهادكم/2 هو أنّ المسجد عاد للسّاجدين.  
3/ هو الذي أتى بالعجائب.4/الإيمان هو الذي أعاد المسجد إلى أهله.5/ كان يؤدّي وظيفة المعهد.

6/ إنّكم لم تسترجعوا من هذا المسجد سقوفه وأبوابه وحيطانه.7/ أنّ كلمة لا إله إلا الله عادت لمستقرّها منه. 8/ كأنّ معناها دام مستقرًا.9/ لكنكم استرجعتم معانيه التي كان يدلّ عليها المسجد في الإسلام، ووظائفه التي كان يؤدّيها.10/ الإيمان الذي تترجم عنه كلمة لا إله إلا الله، هو الذي أعاد المسجد إلى أهله.

\*الاستعمار: ستّ جمل (6)، هي:



1/ هو قد خرج من أرضكم 2/ لكنّه لم يخرج من مصالح أرضكم 3/ إنّ الاستعمار كالشيطان الذي قال فيه نبينا صلى الله عليه وسلم.. 4/ لأنّ البغي مما ركّب في غرائزه 5/ لكنّه رضي أن يطاع فيما دون ذلك. 6/ إنّ الشيطان قد يؤس أن يعبد في أرضكم هذه.

**\*حالة الجزائريين إبان الاحتلال وبعده: سبع جمل (7)، هي:**

1/ كنا نمرّ على هذه السّاحة مطرّقين 2/ كنا نشهد هذا المشهد المحزن منطوين على مضض يصهر الجوانح 3/ إنّ الشيطان قد يؤس أن يعبد في أرضكم هذه. 4/ كأنّ الأرض تلعننا بما فرطنا في جنب ديننا، و بما أضعنا بما كسبت أيدينا من ميراث أسلافنا. 5/ لكنّ العجيب أن يبغي دين عيسى على دين محمّد الذي بشرّ به عيسى روح الله وكلمته. 6/ لكنّها نبّهت الأذهان، وسجّلت الاغتصاب وبذرت بذور الثّورة 7/ إنّ الله ذمّ قوما.

**\*الثّورة: أربع جمل (4) هي:**

1/ إنّكم خارجون من ثورة التهمت الأخضر و اليابس 2/ إنّ الثّورة قد تركت في جسم أمّكم ندوبا لا تندمل 3/ ما أعذب الموت إذا كان للحياة طريقا! 4/ إنّكم اشتريتم حرّيتكم.

**ب- البنيات المركّبة ذات التفرّع غير اللازم وموضوعاتها.**

**\*المسجد: بنيتان (2)، هما:**

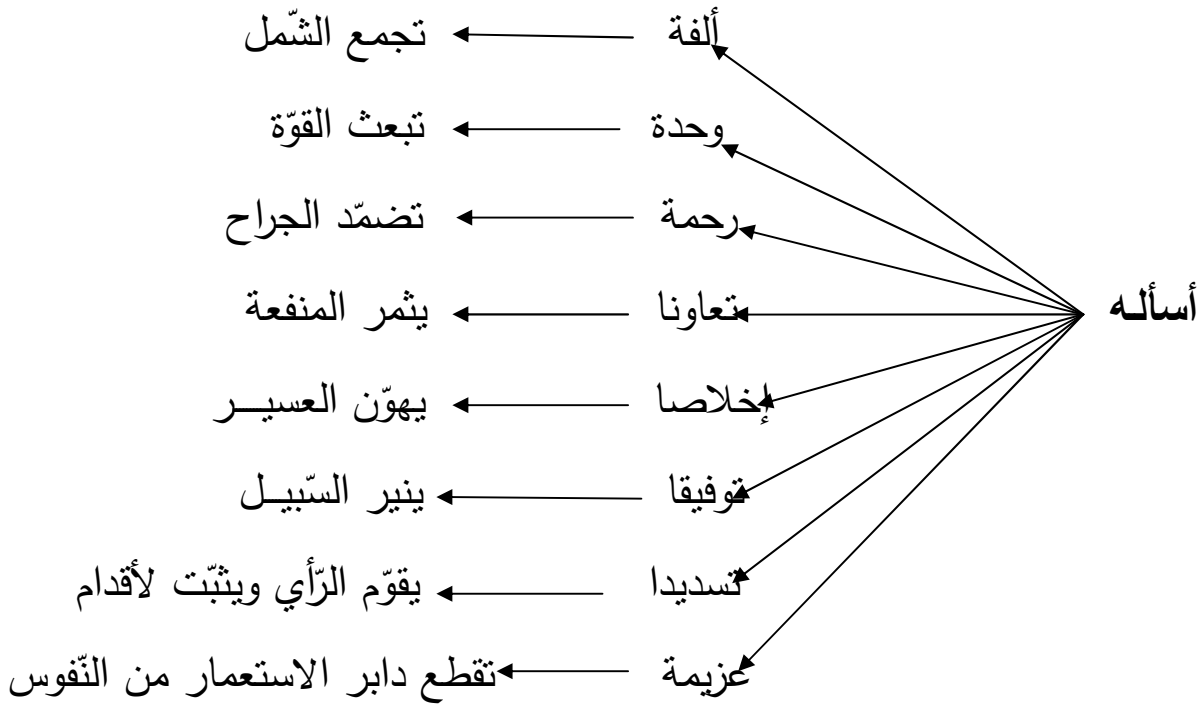
1/ هذه بضاعتكم ردت إليكم. 2/ هذا بيت التّوحيد عاد إلى التّوحيد.

**\*حالة الجزائريين إبان الاحتلال وبعده: بنيتان (2)، هما:**

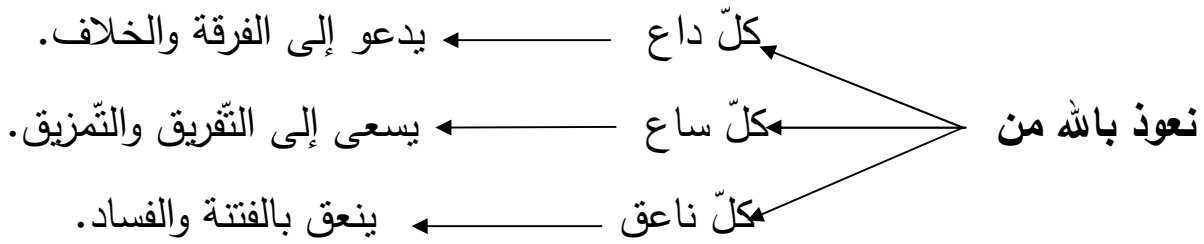
1/ إن هذه المواقب الحاشدة التي يغمرها الفرح و يطفح على وجوها البشر لتجسيماً لذلك المعنى الجليل. 2/ هي كل ما نملك في ذلك الوقت.

يظهر من خلال الجمل الاسمية الموظفة أنّ الكاتب ركّز على موضوعات الساعة ، التي استحوذت على عقله، وعقول الحاضرين آنذاك ، فقدّم توصيفا لنعمة الاستقلال، التي حبا الله بها الجزائر، ثمّ عرّج على المسجد، فتحدّث عن رسالته ووظيفته، وضرورة المحافظة عليه، ثم راح يصف الاستعمار ويذكر المآسي التي تسبّب فيها للشعب الجزائري إبان الثورة وقبلها.

كما وظّف الكاتب- أيضا - الجملة الفعلية المركّبة، وبلغ عددها اثنتين وعشرين جملة، وتضمّنت- في أغلبها- حديثا عن جزائر المستقبل، والصورة التي يتوق إلى رؤيتها عليها، فبعد حديثه عن سنن الله الجارية في الكون، المستوجبة للإيمان توجّه إلى الله بالجمل الدعائية التالية:



كما استعاذ به من أنماط معيّنة من الناس، قد يشكّل تواجدها إزعاجا للحكومة الفنية التي مازالت طريّة العظم؛ لا تقوى بمفرها على تحمّل أعباء الاستقلال؛ لذلك هي أحوج ما تكون لكلّ جهد يسيرا كان أو كبيرا، و هذه الفئة التي يخشى الكاتب منها، والتي لا يخلو منها أيّ مجتمع من المجتمعات هي: دعاة الفرقة - سعاة التمزيق - ناعقو الفتنة، ومثّلتهم البنيات التّالية:



الواضح من خلال هذه الجمل الفعلية المركّبة أن الإبراهيمي يقصد ما يقول، لكونه ألحق مطالبه بجمل نعتية ميّرتها وخصّصتها، فهو لا يريد أيّ ألفة، ولا أيّ وحدة أو رحمة، ولا أيّ تعاون أو إخلاص، ولا أيّ توفيق أو تسديد أو عزيمة، إنّما يريد مطالب من نوع خاصّ، مطالب نوعيّة تطبعها الفعالية والإيجابية، مطالب تقضي على الحياة الضنكة نهائيا، وتؤسّس لحياة أكثر هناء وأمناً وسلاماً؛ مطالب تصدر بعضها السّؤال، وبعضها التّعوذ، وبعضها الإحياء أو الهوية، و كلّها حاول الكاتب من خلالها رسم معالم المستقبل وكيفية بنائه. وبناء على استخدامه الجمل الوصفية، تخصّصت مطالبه أكثر وتجلّت، وأضحت مطالب مشروطة، والمخطّط الآتي يوضّح هذا الأمر.

بنيات التّعوذ		بنيات السّؤال	
الجملة الفرعية	الجملة الأصلية	الجملة الفرعية	الجملة الأصلية
يدعو إلى الفرقة والخلاف.	ونعوذ بالله ونبرأ إليه من كلّ داع.	تجمع الشّمل.	أسأله ألفة.
يسعى إلى التّفريق والتّمزيق.	و.....كلّ ساع	تبعث القوّة	و.. وحدة
ينعق بالفتنة والفساد.	و.....كلّ ناعق	تضمّد الجراح	و.. رحمة
		يثمر المنفعة	و..تعاوننا
		يهوّن العسير	و..إخلاصا
		ينير السّبيل	و..توفيقا
		يقوم الرأي	و..تسديدا
		الأقدام	
		تقطع دابر	و..عزيمة
		الاستعمار	

يتّضح من خلال الجدول التّوضيحي أنّ الكاتب طلب من الله أن يهب الجزائر بعض النعم، التي تمكّنها من بناء مستقبلها، كما استعاذ به من ثلاثة أنواع من النّاس، قد يُعسرّ تواجدهم بناء هذا المستقبل. «إنّها مطالب تخصّ الفئة الحاكمة التي ستكون في حاجة ماسّة إلى ألفة، ووحدة، ورحمة، وتعاون، و إخلاص، وتوفيق، وتسديد، وحكمة، وعزيمة. و هي كلّها مرتبطة بفعل المضارعة المنفتح على الاستقبال، لأنّها في خطوتها الأولى لا تحتاج إلى عون مادّي بقدر ما هي في حاجة إلى عون معنوي أساسه الأخلاق والقيم والإخلاص والصّبر. إنّها دعوة إلى تجاوز كافّة الخلافات التي أفرزتها مضايقات الثّورة والحرب، و اختلاف الرّؤى والأفكار.. وكأنّ الخطيب يعتبر كلّ ذلك من جراحات الماضي التي يجب على

الحاضر استنبارها وطلب اللّطف فيها، والمضيّ قدما إلى شأن جديد يؤمّم شطره إلى غد يحتاج إلى تعاون، وعزيمة، وحكمة..»<sup>1</sup>

بعد هذه الجمل الدّعائية، راح الكاتب يستعيز من أنماط معيّنة من الناس، هي بمثابة حشرات آدمية، إذا انتشرت بين صفوف الشعب، وعلا صوتها، سوف تصعب مهمة البناء على الفئة الحاكمة المخلصة للوطن، وهؤلاء هم: دعاة الفتنة وسعاة التّفريق ونواق الفساد.

أما البنيات المعبرة عن البناء والإحياء، فقد تضمّنها قوله: "نحيي بالعمار والثّمار والغيث المدرار هذه القطعة الغالية من أرض الإسلام التي نسمّيها الجزائر". فقد بيّن الخطيب من خلالها الوسائل التي يبنى بها المستقبل، وهي كالآتي:

**العمار:** البناء والتّشبيد. / الثّمار: الزراعة والغراسة.

**الغيث المدرار:** وسائل الإنماء والتّثنية.

وعبرت البنيات التالية عن الانتماء للجزائر:

- التي فيها نبتنا. - على حبها ثبتنا. - من نباتها غدينا. - في سبيلها أودينا.

و أعلى الكاتب أيضا من خلال الجملة المركّبة التالية من شأن يوم الاستقلال، مبرزا أنه يوم من أيّام الله، وهذه الجملة هي: "إذا عدّت الأيام ذوات السّمات، والغرر والشّيمات في تاريخ الجزائر فسيكون هذا اليوم أوضحها سمة، وأطولها غرّة وأثبتها تمجيذا." لذلك توجّه الخطيب ببعض المطالب التّحذيرية و الإنجازية لرأب الصدع، ومحو آثار الجرائم الاستعمارية الكثيرة، التي عبرت عنها الجملتان

<sup>1</sup> مونسى الحبيب، مقال بعنوان: أول خطبة جمعة بمسجد "كتشاوى" بعد الاستقلال، شبكة ملقى الخطباء.

المركبتان التاليتان: " تركت عشرات الآلاف من اليتامى و الأيامى و المشوهين الذين فقدوا العائل والكافل وآلة العمل " ينسى المشوه أنه عالة عليكم". ومثلت تلکم المحاذير البنيات المركبة الآتية:

- احذروا أن يركبكم الغرور.

- لا تجعلوا للشيطان بينكم وبينها منفذا يدخل منه.

- لا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه.

إنّ بناء المستقبل لا يمكن أن يحقّقه من كان الغرور شيمته، والهوى ووساوس الشيطان خلّته، لذلك حدّر الخطيب من الاعتماد على المستعمر في عملية البناء إلاّ في الحالات الاضطرارية القصوى، وهنا يلبس الخطيب ثوب السّياسى الحكيم، فهو يعرف أنّ فرنسا استحوذت على كثير من مقدراتنا، وسلبت أرشيفنا وإرثنا التاريخي، لذلك ترك الكاتب فتحة ضيقة للتّعامل والتّفاوض، من أجل النّجاح في بناء المستقبل.

أمّا المطالب الإنجازية فعبرت عنها البنية التركيبية التالية: "انصحوها في ما يجب النّصح فيه بالتى هي أحسن" وهنا يلفت الكاتب انتباه العامّة والخاصّة، بأنّ بناء المستقبل في حاجة إلى نصح ليين وتوجيه حسن، إنّه نصح العارف الفاهم الذي يقدم النّصح في الأمور التى يفقهها، ويترك ما تجاوز علمه ومسؤوليته لذوى الأمر، العارفين بخبايا الأشياء.

و هناك بنيات أربعة أخرى تضمّنتها افتتاحية الخطبة، وهي عرف معروف و ألف مألوف عند الخطباء، خاصّة إذا كانت الخطب دينية؛ إذ تمّ التعبير من

خلالها على ألوهية الله ووحدانيتها، والإقرار بنبوّة محمّد - صلى الله عليه وسلم - ورسالته. و الإقرار بأنّ النّصر تتحكّم فيه المشيئة الإلهية، و هذه البنيات هي:

- أشهد أن لا إله إلاّ الله.

- أشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله.

- جعل النّصر يتنزّل على من يشاء.

أمّا البنية التركيبية الأخيرة "أحييك يا مغنى الكمال بواجب" فختم بها الخطيب فاتحة الخطبة، معربا من خلالها عن تعلّقه بوطنه، وأنّه مسخّر لخدمته في كلّ الظروف.

## 2- الجمل بين الإثبات والنفي:

إنّ القارئ لهذه الخطبة يلحظ منذ أوّل وهلة سيطرة كبيرة لبنيات الإثبات عليها، إذ لا نكاد نعثر على بنيات النفي إلاّ في ستّة عشر موضعا، ولعلّ هيمنة الإبلاغ على النّص، هو الذي جعل الإبراهيمي يقوم بتوطين أسلوب الإثبات، و يستأنس بالنّفي بين الحين والآخر. والإثبات « ضدّ النّفي والسلب وهو حالة تلحق الجمل والمعاني التامة وكلّ ما يلحقه يسمّى مثبتاً أي غير منفي»<sup>1</sup> وعرفه الجرجاني « بأنّه الحكم بثبوت شيء آخر<sup>2</sup>.» ويعنى بالنّفي «ما لا ينجزم بلا، وهو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل»<sup>3</sup>. وعرفه ابن يعيش بقوله: «اعلم أنّ النّفي إنّما يكون على حسب الإيجاب لأنّه إكذاب له، فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما

<sup>1</sup> محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1985، ص: 36.

<sup>2</sup> الجرجاني، معجم التعريفات، ص: 11.

<sup>3</sup> العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر، (د ط، دت)، ص: 205-206.

إلا في أنّ أحدهم نفي والآخر إيجاب<sup>1</sup>» كما أنّه « من العوارض المهمة التي تعرض لبناء الجملة فتفيد عدم ثبوت نسبة المسند للمسند إليه في الجملة الفعلية والاسمية على السواء.»<sup>2</sup> وهو بذلك نقيض الإثبات، يستخدم للإخبار بالسلب، ويدخل الكلام فيسلبه معناه.

الملاحظ أنّ الكاتب استخدم النفي ب: لا. تسع مرات، والمعروف عن هذه الأداة أنّها تقوم بوظيفة مزدوجة، إذ تنفي الفعل المضارع، كما تنفي الفعل الماضي - أحيانا-، وتستعمل لنفي الجملة الاسمية، فيكون النفي بها عامّا، كما تنفي الجملة الفعلية في المستقبل، وهذا ما أشار إليه ابن يعيش بقوله: « وأما -لا- فحرف ناف أيضا، موضوع لنفي الفعل في المستقبل»<sup>3</sup> وقد ينفي بها الماضي وعندئذ تتكرّر، ولعلّ هذه الازدواجية الوظيفية هي التي جعلت الكاتب يستعين بها في هذه الخطبة الإبلاغية، حتّى يقوّي عوامل التأثير فيسحر المتلقّي، الذي لا بدّ له - في نظر الكاتب أن يضطلع بمسؤولياته، ويسهم بكلّ قوّته في حماية مكتسبات الاستقلال، ويدافع عنها باستماتة.

وتتمثّل هذه البنيات فيما يلي:

<sup>1</sup> العلامة ابن علي ابن يعيش النحوي، شر: المفصل، ج 5، تق: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص:31.

<sup>2</sup> محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 2003، ص: 280.

<sup>3</sup> العلامة ابن علي ابن يعيش النحوي، شر: المفصل، ج 8، تع: جماعة من العلماء، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د ط، د ت)، ص:108.



بنيات النفي بـ : لا	دالاتها
لا مبدّل لكلماته.	نفت تغير سنن الله وكلماته وأكدت ثباتها.
لا حابي الآخرين.	نفت صفة المحاباة عن الذات الإلهية.
لا إله إلا الله	نفت صفة الألوهية لغير الله.
قد يبغى الوحش على الوحش فلا يكون ذلك غريبا، قد يبغى الإنسان على الإنسان فلا يكون ذلك عجيبا.	نفت -لا- صفة الاندهاش عن بغي الحيوانات على بعضها، كما نفتها -أيضا- بين بني الإنسان، لأنّ من تغلبت على نفسه الحيوانية كثر بطشه وطغيانه.
لا نمك إلا الحوقلة والاسترجاع.	نفت -لا- قدرة البعض على التحلي بالروح الإيجابية والإرادة المتوقّدة لتغيير الواقع السيء.
لا فرحتم باسترجاعه فرحة الصبيان ساعة ثم تنقضي.	نفت -لا- أن تكون فرحة الجزائريين باستعادة المسجد ليتبوا مكانه ظرفية فقط.
الثورة تركت ندوبا لا تندمل .	نفت -لا- شفاء الجزائريين من الجراح التي تسبّب فيها الاحتلال.
قدّمتم في سبيلها من الضحايا ما لم يقدمه شعب من شعوب الأرض قديما ولا حديثا.	نفت -لا- مشابهة جهاد الشعب الجزائري وتضحياته لأيّ حركة تحرّر في العالم.

كما استخدم أيضا النفي بـ: (لم)، و المعروف على هذا الحرف «أنّه يجزم الأفعال المضارعة على اختلاف أنواع الجزم وينفيها، إلا أنّها تخلّص معنى الفعل

المضارع إلى الماضي». <sup>1</sup> وقد أكد صاحب الكتاب هذا الأمر بقوله: «(لم) و (لما) لقلب معنى المضارع إلى الماضي ونفيه إلا أنّ بينهما فرقا، و هو أنّ (لم يفعل) نفي (فعل). و (لما يفعل) نفي (قد فعل).» <sup>2</sup> أي أنّ الفرق بينهما يكمن في أنّ النفي بـ: "لما" يؤدي إلى امتداد المعنى والزمن معاً.

البادي على البنيات المنفية بـ - لم - أنّ بعضها أشارت محذرة من مخاطر إجهاض هذا الاستقلال، و تضييع المكاسب، وهذه البنيات هي:

1/ لم يخرج من مصالح أرضكم.

2/ لم يخرج من أسنتكم.

3/ لم يخرج من قلوب بعضكم.

أبانت هذه البنيات عن « الثغرات التي قد يوتى منها الاستقلال أو يُضرب في المستقبل القريب أو البعيد، و إذا لم توصل أبوابها كانت أبواب شرّ تفتح على الجزائريين كلّ حين، فلا يستقيم لهم استقلال، ولا تتحقّق لهم وحدة، ولا يثبت لهم بنیان.» <sup>3</sup>

إنّها محاذير تتعلّق بشوائب الاحتلال وبقاياها، التي مازالت متوغّلة في بعض النفوس، والطالبة للمحاصرة، بغية إعادة صقل عقولها، لدفعها لخدمة الجزائر، لا خدمة غيرها.

<sup>1</sup> الإمام أحمد ابن عبد النور المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص: 280.

<sup>2</sup> العلامة ابن علي ابن يعيش النحوي، شرح المفصل، ج5، تق: إميل يعقوب، ط1، (د ت)، ص: 34.

<sup>3</sup> - ينظر: مونسى الحبيب، نفس المقال.

أمّا باقي البنيات فقد عبّرت عن حقائق واقعة ما كان لها أن تحدث لولا نعمة الاستقلال، ولكنّ الإبراهيمي لم يذكرها لأجل الذكر فحسب، إنّما أراد من الحاضرين صونها و التّقويّ بها.

و يمثّل هذه البنيات قوله:

1/ لم تسترجعوا من هذا المسجد سقوفه وأبوابه.

2/ قدّمتم من الضّحايا ما لم يقدّمه شعب من شعوب الأرض.

3/ حزتم من إعجاب العالم بكم ما لم يحزه شعب تائر.

إنّ بنية النّفي الأولى (لم تسترجعوا من هذا المسجد سقوفه وأبوابه) ذكّرت بحقيقة المسجد ووظيفته و رسالته، التي هي إعادة تربية الشّعب وتجنيدّه للبناء والإحياء، إذ أنّ حرّيّة المسجد، وعدم إعاقته في القيام بوظيفته، كفيلة بمحو آثار الاحتلال التي مازالت عالقة في الأرض واللّسان والقلب.

أمّا البنية الثّانية، ( قدّمتم من الضّحايا ما لم يقدّمه شعب من شعوب الأرض ) فعبّرت عن ثمن الحرّيّة الغالي، الذي لم ينفقه أحد في ربوع العالم آنذاك، وكان جسرا من الشّهداء والمعطوبين، انتزعت بفضلها الجزائر استقلالها.

و عبّرت البنية الثّالثة: (حزتم من إعجاب العالم بكم ما لم يحزه شعب تائر) عن المكاسب الخارجيّة للثّورة الجزائريّة، فقد حازت على احترام العالم لها، وإعجابه بها، كما استخدم الكاتب النّفي ب: "ما" مرّة واحدة فقط، وعبّرت عنه الجملة: (ما ظلم الأوّلين)، التي نفت صفة الظلم عن الله تعالى، و عبّرت بذلك عن مضمون

الآية القرآنية: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>1</sup>. و المعروف عن هذه الأداة أنّها لفظ مشترك؛ يكون حرفاً واسماً وتختصّ بنفي الحال غالباً، كما تنفي الجملة الاسمية.<sup>2</sup> و الملاحظ أنّها سبقت جملة فعلية، و نفت ظلم الله للأسلاف.

### 3- الجمل بين الإنشاء والخبر:

إنّ الكلام الذي نعبر به عن أفكارنا ومشاعرنا وسائر ضروب الحياة يتمّ بأسلوبين لغويين اثنين هما: الخبر و الإنشاء، اللذين يختلفان دلالياً، « فا لخبر حكاية خبرية تقديرية تلقى لتحقيق دلالة أصلية أو فنية، قد تصدق مع الواقع أو تتنافى معه، أمّا الإنشاء فيقصد بدلالته التعبيرية إنشاء المعنى الذي يحرك مخيلة المتلقّي، و يثير فكره، أو ليشبع مشاعره الذاتية دون النظر إلى عنصر المطابقة مع الواقع الخارجي أو عدمها.»<sup>3</sup>

الملاحظ على خطبة الإبراهيمي أنّه تنازعتها الجملتان الخبرية والإنشائية، إلّا أنّ الظهور الأبرز كان للجمل الخبرية، التي تحكي وتكشف بلفظها عن معنى موجود قبل اللفظ أو بعده، وذلك لأنّ « الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته، و إن شئت فقل: الخبر هو ما يتحقّق مدلوله في الخارج بدون النطق به نحو: العلم

<sup>1</sup> سورة فصلت، الآية:46.

<sup>2</sup> ينظر: الحسن بن قاسم المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص: 322-323.

<sup>3</sup> ينظر: حفيظة أرسلان، الجملة الخبرية والجملة الطلبية، الأردن، ط1، 2004. ص: 24-25. نقلا عن: نبيل قواس، سجينات أبي فراس الحمداني، دراسة أسلوبية، ص118.

نافع.. فنفع العلم أمر حاصل في الحقيقة و الواقع»،<sup>1</sup> أي أنّ الجمل الخبرية تشير إلى حقيقة واقعة.

أمّا الجمل الإنشائية فهي موجهة لمدلولها بنفس اللفظ، فإذا كان الحكي فيها عن واقع خارجي فهي خبرية، وإذا لم تكن لها حقيقة ثابتة وواقع خارجي، و مجرد أنّ اللفظ هو الذي يوجد النسبة، فالجملة حينئذ إنشائية. « و الإنشاء لغة :الإيجاد؛ واصطلاحاً :كلام لا يحتمل صدقاً و لا كذباً لذاته، نحو اغفر وارحم، فلا ينسبُ إلي قائله صدق أو كذب. وإن شئت فقل في تعريف الإنشاء :هو ما لا يحصل مضمونه و لا يتحقق إلا إذا تلفّظت به، فطلب الفعل في افعال، وطلب الكفّ في لا تفعل، وطلب المحبوب في التمني، وطلب الفهم في الاستفهام، وطلب الإقبال في النداء. كلّ ذلك ما حصل إلا بنفس الصيغ المتلفّظ بها»<sup>2</sup>، غير أنّ أدوات الإنشاء المستخدمة لا تظهر دلالتها ولا تتضح قيمتها إلا داخل السياق، فهي مرهونة به، فإذا عُزلت عنه فقدت دلالتها ولا فرق حينئذ بينها وبين حروف المعجم، وهذا يعني أنّ دلالة هذه الأدوات تتجلى بوضوح داخل التركيب.

إنّ ما يميّز الخبر عن الإنشاء هو أنّ «الخبر يمثّل اللّغة في جانبها القارّ، بينما الإنشاء يمثّلها في جانبها المتحرّك»<sup>3</sup>، وخاصّة الأساليب الطلّبية، لذلك شكّل

<sup>1</sup> السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ض: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د ط، د ت)، ص:55.

<sup>2</sup> نفسه، ص:61.

<sup>3</sup> محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص:349.

تواجدها في هذه الخطبة أبرز المظاهر الأسلوبية التي تعرب عن حيوية تلك البنيات ضمن السياقات والمقامات التي وردت فيها.

ينقسم الإنشاء في عرف علماء اللّغة إلي نوعين :إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي، فالإنشاء غير الطلبي: ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلّب، ويكون بصيغ المدح والذّم، وصيغ العقود، والقسم والتّعجب، والرّجاء، وكذا يكون برّب، ولعلّ، وكم الخبرية.. وأكثر صيغه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء. والإنشاء الطلبي: هو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلّب . وأنواعه خمسة: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتّمني، والنّداء»<sup>1</sup>.  
و من هنا يتّضح أنّ الجمل الإنشائية هي التي تشير إلى أمر يراد تحقيقه.

حضيت صيغ الإنشاء الطلبي باهتمام البلاغيين أكثر من صيغ الإنشاء غير الطلبي، لكونها تعدّ من أبرز مظاهر اللّغة التي تكشف عن حيويتها الفنيّة وفعاليتها الجمالية، فهي تشكّل بانحرافاتهما عن الدّالة الأصليّة إلى الدّالة التّعبيرية العاطفيّة طاقات إبلاغيّة فاعلة يستند عليها الباثّ في الإفصاح عن مشاعره وأحاسيسه، بهدف استمالة المتلقّي للتفاعل مع تجربته لدلالاتها المشبعة بالمعاني، وقدراتها التّعبيرية في بلوغ الأهداف التي ينشدها المبدع من تشكيلات الإنشاء الطلبي.

الواضح في الخطبة أنّ الإبراهيمي مال إلى الجملة الخبرية؛ لأنّها الأقدر على وصف وسرد ما هو كائن في أرض الواقع، ذلك الواقع المزري، الذي ميّزه الجهل والفقر والاضطهاد، ومصادرة الممتلكات وزرع الفرقة بين أبناء الوطن الواحد، في

<sup>1</sup> نفسه، ص: 69-70.

حين استخدم من البنيات الإنشائية واحدا وعشرين جملة، توزّعت ما بين الإنشاء الطلبي وغير الطلبي، غير أنّ الأكثر استعمالاً فيهما هو الإنشاء الطلبي، الذي وظّف الكاتب منه ثلاث صيغ إنشائية هي: الأمر والنداء والنهي، وبلغ عدد المستعمل منه - إجمالاً - تسعة عشر صيغة، بينما استعمل من الإنشاء غير الطلبي صيغتين إنشائيتين فقط، ولعلّ إثاره للإنشاء الطلبي يعود إلى ثرائه الدلالي، وطبيعة الموقف الذي يعيشه، فالجموع التي وفدت إلى المسجد في أول جمعة بعد الاستقلال في أمس الحاجة إلى التذكير والذكرى و الوعظ، فكان التذكير بواسطة الجمل الإخبارية، وكان النصح والوعظ عن طريق الجمل الإنشائية، التي دعت جموع الحاضرين إلى العمل على محو مخلفات الاحتلال وآثاره السلبية على شرائح المجتمع الجزائري كلّها، عن طريق الإخاء والإيثار والتعاون. كما دعّتهم إلى وجوب المساهمة في ثورة البناء والتشييد، بتعاقد الجميع لقهر العقبات المعترضة، كما قهروا المحتلّ وردوه على أعقابه خاسئاً خاسراً.

يبدو بعد العملية الإحصائية التي استهدفت بنيات الإنشاء، أنّ النداء استعمل في تسعة مواضع، وتلاه الأمر، الذي استخدم في سبعة مواضع، ثمّ النهي الذي وظّف في ثلاثة مواضع، واستعمل كلاً من التّعجب والقسم مرّة واحدة فقط، و فيما يلي نظرة تحليلية لهذه الأساليب الإنشائية.

#### أولاً: بنيات النداء : تسع جمل.

1/ يا أتباع محمد عليه السلام.

2/ يا معشر الجزائريين (3 مرات).

3/ يا معشر المؤمنين.

4/ أيها المسلمون. 5 / أيها المؤمنون.

6/ يا إخواني.

7/ يا مغنى الكمال.

من أبرز الصيغ الإنشائية التي وشّح بها الخطيب نصّه أسلوب النداء، و « هو طلب واستحضار يراد منه إقبال المدعو على الداعي ليتمكّن من توجيه ما يريد إليه، ويصحب في ذلك غالبا الأمر والنهي.»<sup>1</sup> ويتم طلب المنادى واستدعاؤه «بأحد حروف النداء الثمانية، والتحويون يرون في حرف النداء والمنادى بعده جملة مقدرة بالفعلية، فقولك: يا زيد، بمنزلة قولك: أدعو زيدا.»<sup>2</sup> والنداء من خواصّ الأسماء دون الأفعال و الحروف، والغرض منه تنبيه المدعو؛ ليُقبل عليك ويجيبك.<sup>3</sup> « و ذهب بعضهم: إلى أنّ النداء منه ما هو خبر لا إنشاء، وهو النداء بصفة نحو: يا فاسق، و يا فاضل؛ لاحتمال الصدق والكذب في تلك الصفة. ومنها ما هو إنشاء وهو النداء بغير صفة.»<sup>4</sup> « وحروف النداء الثمانية هي: الهمزة، أي، مقصورتين وممدودتين، تقول: أزيد، أي زيد، آزيد، أي زيد. ويا، وأيا، وهيا، ووا.»<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أحمد محمد فارس، النداء في اللغة والقرآن، دار الفكر اللبناني، ط1، 1989، ص: 135.

<sup>2</sup> عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001، ص: 136.

<sup>3</sup> مبارك بن محمد الشيباني الجزري أبي السعادات، مجد الدين بن الأثير، البدیع في علم العربية، تح: فتحي علي الدين، مكة المكرمة، ط1، 1999، ص: 388.

<sup>4</sup> جلال الدين عبد الرحمن، بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج2، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص: 26.

<sup>5</sup> عبد السلام هارون، نفس المرجع، ص: 136.



وهذا التنوع في أدوات النداء يزيد من جمالية النص، لكونه يتسبب في تلوين الدلالة اللغوية والوظيفية والبلاغية لهذه الأدوات، مما يؤدي إلى «استمالة الأذهان، و يبعث على الاطمئنان في نفس السّامع، ويقوّي الحاجة إلى التّفكير، وتخيّل المعنى.»<sup>1</sup> فحسن رصف الألفاظ، و تجانس حروفها وحركاتها في الكلام المنثور، تستحيل به الألفاظ إلى كلام منغوم، قد يرقى إلى منزلة الشعر في هذه السّمة، ولعلّ هذا ما أشار إليه صاحب كتاب النداء في اللّغة والقرآن، بقوله: «على أنّ من النثر ما يحوي من الإيقاع والنّغم ما يساوي الشعر أو يفوقه من جرّاء التّجانس والتّلاؤم الذي يقوم من الحروف وترتيبها في الكلمة، و ملاءمة الحروف، كما يقع عليها من حركة أو سكون، وما يتبع من التّجانس بين الكلمة وأختها على هذا المستوى، و بين العبارة و العبارة.. و من النثر أعني النثر الفنّي ما يحمل من سمات الشعر في نغمه وقوّة مشاعره وتأثيره كما في خطب الخطباء في العصر الجاهلي والإسلامي و ما بعده»،<sup>2</sup> و قد اعتبر صاحب كتاب النداء في اللّغة والقرآن أنّ «بلاغة النداء في الشعر والنثر تتجلّى من كثرة استعماله»،<sup>3</sup> ولما كان النداء إحدى السمّات الأسلوبية الظّاهرة في هذه الخطبة، فقد ازدادت جماليتها و تأثيرها، ولعلّ استعانة الخطيب بالنداء في هذه الخطبة، يؤكّد قناعته بقوة تأثيره في النفوس، وذلك لأنّ هذا الأسلوب « يجذب السّامع أو القارئ ويثير انتباهه، ويشركه في الموضوع،

<sup>1</sup> أحمد محمد فارس، النداء في اللّغة والقرآن ، دار الفكر اللبناني، ط1، 1989، ص161، 160.

<sup>2</sup> أحمد محمد فارس، النداء في اللّغة والقرآن ، ص167-168.

<sup>3</sup> نفسه، ص: 168.

ويوقظ شعوره، ويلفت ذهنه ويحرك عوامل الشوق في نفسه، ويدفعه في ذلك إلى التفكير فيما يسمع أو يقرأ، فيقبل ما يقال له ويتلقاه برضى بعد الاستجابة له.<sup>1</sup> والملاحظ على بنيات النداء المستعملة أنها تأرجحت ما بين التخصيص والتعميم، وجاءت مترتبة حسب متطلبات الأفكار التي يعالجها، «غير أن إدراك الخطيب أنه أمام جمهور غير متجانس البنية، متفاوت المستوى، مختلف الثقافة، رغم أنه يحمل بين جوانحه همًا واحدًا، ويتطلع إلى غد واحد، جعله يطلق نداءات تخاطب كل واحد منهم بحسب الانتماء الذي يدرك، والجوار الذي يستشعر». <sup>2</sup> ولعلّ الكاتب يقصد من وراء هذا استتفار كلّ مكان القوة التي يتمتع بها المجتمع، كلّ حسب قناعاته وأفكاره، المهمّ أن يعطي مصلحة الوطن، ويجعلها من أولويات اهتماماته ولهذا جاءت بنيات النداء على الشكل التالي:

استراتيجية النداءات	
الموضوعات المعالجة	ألفاظ النداء
التذكير بالانتماء للأمة المحمدية/الإعلاء من شأن يوم الاستقلال/عودة المسجد ومغانم أخرى لمن يوحد الله. قداسة يوم الاستقلال/قداسة المسجد/قداسة شعيرة الجمعة.	النداء الأول: يا أتباع محمد.
وصف حال الجزائريين تحت نير الاستعمار ب: الإذلال-الاستكانة-الضعف.	النداء الثاني و الثالث والسادس والسابع:

<sup>1</sup> نفسه، ص: 170.

<sup>2</sup> ينظر: مونسى الحبيب، مقال بعنوان: أول خطبة. جمعة بمسجد "كتشاوى" بعد الاستقلال، شبكة ملتقى الخطباء.

استبشاع الكاتب واستغرابه بغي أتباع المسيح على أتباع محمد.	يا معشر الجزائريين.
تحذير الكاتب من بقايا الاستعمار.	
دعوة الكاتب إلى التكافل من أجل إنهاء آثار الاستعمار	
تذكير الكاتب برسالة المسجد.	النداء الرابع: يا معشر المؤمنين.
التذكير بدم الله لمن يمنع مساجده على الناس ومدحه لمن يعمرها.	النداء الخامس: أيها المسلمون
التحذير من تشويه مكاسب الثورة ومحاسنها بسوء السلوك، والدعوة إلى المشاركة في بناء الوطن.	النداء الثامن: يا إخواني:
تحية الوطن، والتعهد بخدمة في كل الأزمان.	يا مغنى الكمال

يظهر من خلال صيغ النداء المستعملة أنّ الكاتب خاطب في الحاضرين دينهم، باعتبارهم ينتسبون للإسلام، ويتبعون رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - مستخدماً في ذلك الجملتين الندائيتين: (يا أتباع محمد - أيها المسلمون)، كما خاطب فيهم وطنيتهم الجامعة باستخدام العبارة: يا معشر الجزائريين، ثلاث مرات، وخاطب فيهم - أيضاً - إيمانهم بالله وثقتهم القويّة به، حينما استخدم العبارة: يا معشر المؤمنين، وخاطب فيهم رابطة الأخوة التي تجمعهم، عندما استعمل الجملة الندائية: يا إخواني، دون أن يميّزها بوصف، ولعلّه يريد بعدم التّحديد هذا كلّ الأواصر الأخوية: كأخوة العقيدة و أخوة الوطن وأخوة القومية، وغيرها، والغرض من حشد الإبراهيمي لأقوى صيغ النداء، وأبرز علائق الأخوة التّأثير في الحضور، وإستثارة همهم لمواجهة الأعباء التي تنتظرهم بعد أن تحقّق استقلالهم، ولكي يؤكّد

للحاضرين أنه يقول ما سيفعل ختم افتتاحية الخطبة بالجملة الندائية التالية:  
يامغنى الكمال، التي حيا من خلالها وطنه، وتعهّد بخدمته.

### ثانياً: بنيات الأمر :

استخدم الإبراهيمي من صيغ الإنشاء الأمر، وهو إحدى الصيغ الطلبية كما أسلفت في الحديث، ومعناه: «هو قول القائل لمن دونه: افعل.»<sup>1</sup> وهو : (قولك لمن تخاطب) : (افعل)، اذا كان حاضراً و (ليفعل فلان) اذا كان غائباً، وحقيقته أن توجب الائتمار)<sup>(2)</sup>، و هو في الأصل طلب الفعل على جهة الاستعلاء أو الإلزام ، وهو نقيض النهي، ويدلّ على المستقبل، لأنه يقوم أساساً على عمليتين: هما عملية التلّفظ بالأمر، وعملية استجابة وامتنال للقيام بالفعل المأمور به. فزمن التلّفظ هو الحال أمّا زمن تحقيق الفعل المأمور به هو الاستقبال.<sup>3</sup> وعرفه ابن الشجري بقوله: هو « استدعاء الفعل بصيغة مخصوصة مع علو الرتبة»،<sup>4</sup> أو « هو طلب الفعل بصيغة مخصوصة»،<sup>5</sup> ويتم بأربعة أشكال طلبية هي: فعل الأمر، والمضارع المقرون بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر، غير أنّ هذه الأنماط الطلبية قد تخرج عن معناها الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال: كالدّعاء - الالتماس - الإرشاد - التّهديد - التّعجيز -

<sup>1</sup> العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص:34.

<sup>2</sup> علي بن سليمان الحيدرة اليمني، كشف المشكل في النحو، تح: هادي عطية مطر الهلالي، مج2، مط: الإرشاد، بغداد، (د ط) ، 1984، ص:141.

<sup>3</sup> ينظر: تمام حسن، اللغة العربية معناها ومبناها، ص250-251.

<sup>4</sup> ابن الشجري (هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي)، الأمالي الشجرية، ج1 ، مط: المدني، القاهرة، ط1 ، 1992، ص:410.

<sup>5</sup> فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج4 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000، ص:30.

الإباحة - التّسوية - الإكرام - الامتتان - الإهانة - الدّوام - التّمني - الاعتبار -  
الإذن - التّكوين - التّخبير - التّأديب - التّعجب.<sup>1</sup>

استخدم الإبراهيمي الصّيغة الأصليّة للطلب و هي فعل الأمر، ومرجع ذلك هو أنّ الأمر بصيغة (افعل)... أشدّ من الأمر بصيغة (ليفعل) لأنّ المتكلم يلقي في الأولى بمادة الفعل إلى المخاطب أمراً إياه بإيقاع الفعل، وليس في الثانية ما يشير إلى الأمر سوى اللّام.<sup>2</sup> وقد شاع في كلام العرب استعمال هذه الصّيغة الأصليّة لدلالاتها على الفعل الفوري .

غير أنّ الأمر في هذه الخطبة خرج عن معناه الحقيقي، وانزاح نحو معنى آخر، مفهوم من السّياق، وهذا المعنى هو: الإرشاد والنّصح، ويتجلّى هذا بوضوح في بنيات الطلب المستخدمة، والتي بلغ عددها سبع جمل. و هي كما يلي:

1/ اعجبوا لتصاريف الأقدار.

2/ أعينوها بقوّة.

3/ اشملوهم بالرّعاية.

4/ احذروا أن يركبكم الغرور.

5/ امسحوا على أحزانهم بيد العطف.

6/ انصحوها في ما يجب النّصح فيه.

7/ انصرفوا بجميع قواكم إلى الإصلاح.

<sup>1</sup> ينظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني و البيان والبديع، ص: 71-72.

<sup>2</sup> ينظر: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د ط)، 1985، : 42-43.

ارتبطت هذه البنيات بالحقبة الزمنية التي أعقبت الاستقلال، ودلّت على المعاني التالية: مساعدة الفئة الحاكمة، وتضميد الجراح، ومحو الآلام عن طريق التآخي والتعاون والتضامن الاجتماعي، والالتفات للمستقبل بغية البناء والتشييد .

إنّ انزياح الأمر عن معناه الأصلي في هذه الخطبة أخصب الدلالة، و مكّن الكاتب من الإفصاح عن خلجات نفسه، ومكنونات مشاعره، وهو أمر قد يؤدي إلى اجتذاب الحاضرين، وكسب تأييدهم وتعاطفهم، والنجاح في استنفارهم وتحفيزهم.

### ثالثاً: بنيات النهي:

النهي ظاهرة لغوية ومعنوية، أثارت انتباه النحويين والبلاغيين والمحدثين، فأفردوا لها صفحات في كتبهم، محاولين تجليتها، و من هؤلاء ابن الشجري الذي عرفه بقوله، « هو المنع من الفعل بقول مخصوص مع علوّ الرتبة، وصيغته: ( لا تفعل، ولا يفعل فلان) »<sup>1</sup>. و بصورة أوضح: « هو قولك لمن تخاطبه لا تفعل إذا كان حاضراً ولا يفعل فلان إذا كان غائباً وحقيقته ما أوجب الانتهاء»<sup>2</sup>، في حين ذكر الجرجاني أنّه « قول القائل لمن دونه: ( لا تفعل) »<sup>3</sup>

وهو ما ذهب إليه العالمان اللغويان السبكي و السكاكي، بقول الأول: «هو طلب كفّ عن فعل على جهة الاستعلاء»<sup>4</sup>

و قول الثاني: « أن أصل استعمال ( لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء»<sup>1</sup>

<sup>1</sup> ابن الشجري، نفسه، ص: 414.

<sup>2</sup> علي بن سليمان الحيدرة اليمني، نفسه، ص: 147.

<sup>3</sup> التعريفات، ص: 135.

<sup>4</sup> الشيخ بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج1، تح: عبد الحميد هندواي، المكتبة العصرية،

صيدا، بيروت، ط1، 2003، ص: 470.

لكن على الرغم من الدور الذي يؤديه النهي في التعبير عن آمال الكاتب وتحقيق أهدافه، و الإسهام في تشكيل جمالية النص الأدبي، إلا أنّ الإبراهيمي لم يحفل به كثيرا كما حفل بالأمر، إذ وظّف منه ثلاث صيغ فقط، إلا أنّها اشتركت مع الأمر في انزياحها عن الدلالة الأصلية، لتفيد الدلالة ذاتها، التي أدتها صيغ الأمر، وهي النصح والإرشاد، وأدى هذا التعضيد إلى توجيه الأذهان نحو المستقبل، الذي هو جوهر موضوع هذه الخطبة، فلا يبيّن مستقبلا من انصرف عن العظائم، واهتمّ بصغائر الأشياء وتوافه الأمور، وتجلّى هذا في بنية النهي التالية:

"لا تقطعوا أوقاتكم في السّافس" وقد أكّد الكاتب على هذا المعنى حينما توجّه إلى الشباب الجزائري بجملة من الخواطر، جاء فيها:

«أتمثله مقداما على العظائم في غير تهوّر، محجّاما عن الصغائر في غير جبن، مقدّرا موقع الرّجل قبل الخطو، جاعلا أوّل الفكر آخر العمل.»<sup>2</sup>

كما أنّه لا يبيّن مستقبلا زاهرا من انقاد لشيطانته، فأصبح طوع أمره، و دلّت على هذا المعنى بنية النهي التالية: "لا تجعلوا للشيطان بينكم وبينها منفذا"، و لا يمكن أن يبيّن مستقبلا من ألقى بنفسه في أحضان المستعمر، يأتّم بأمره في كل الأمور، ما صغر منها أو كبر. و البنية التي عبّرت عن هذا المعنى هي: "لا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه".

#### رابعا: بنيات الإنشاء غير الطلبي:

<sup>1</sup> السّكاكي، مفتاح العلوم، ص: 320، وينظر: الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، التلخيص في

علوم البلاغة، شر وضب: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 1904، ص: 169 - 170.

<sup>2</sup> الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص: 509.

الظاهر في هذه الخطبة أنّ الإبراهيمي لم يوظّف من الإنشاء غير الطلبي سوى صيغتين اثنتين، هما صيغة للتّعجب و أخرى للقسم، و مثلت كلاّ منهما بنية واحدة. فأما صيغة التّعجب فهي: "ما أعذب الموت إذا كان للحياة طريقاً!" و صيغة القسم هي: "والله لو أنّ الاستعمار الغاشم أعاده إليكم عفوا من غير تعب لما كان لهذا اليوم ما تشهدونه من الرّوعة والجلال." ولعلّ عزوف الكاتب عن التّعجب، واكتفائه بهذه البنية فقط، جاء بغرض لفت أنظار الحاضرين إلى أن ما يستحق الإعجاب والدّهشة - حقاً - هو جسامة التّضحيات التي قدّمها الشّعب الجزائري من أجل أن تحيا الجزائر في كنف الحرّية والاستقلال. كما أنّ عدم اكرثائه بالقسم - في تقديري - واكتفائه بجملّة القسم السّابقة، يوحي إلى أنّ ما عاشه الشّعب الجزائري قبل الاستقلال، وما يعيشه في راهنه إنّما هو حقائق واقعة، هي في غنى عن أيّ قسم أو توكيد، كما أنّ الهدف من بنية القسم المستعملة هو التأكيد على أنّ حلاوة الاستقلال والحرية سببها أنّه لم يكن منّة من أحد، وإنّما كان ثمرة كفاح طويل، وآلام موجعة، وتضحيات جسام. و كلّ مكسب كان محصّلة تعب ونصب ومشقة تتعاضم لذته وحلاوته.

### 1- بعض خصائص البنية التركيبية:

حظيت البنية النّحوية باهتمام النّقاد والبلاغيين ، نظرا لحالات التّلون والتبّدل التي تعتورها، من استعمال لآخر، فأفردوا لها أبوابا ومباحث في دراساتهم، تتبّعوا فيها مختلف أنواعها، وما يطرأ عليها من إيجاز وإطناب، وتقديم وتأخير وحذف وذكر، وما يمسّها من تلوّنات أسلوبية وتعبيرية، وما يخرجها من الأداء العادي،



ويرتقي بها إلى المستوى الفنّي الجمالي، متجاوزين - بذلك - ما شغل اهتمام النّحاة بشأن البنية النّحوية، من انشغال بقريّة الإعراب، و تقنين القواعد، وضبط أواخر الكلمات. ومن هذا التّبّين في التّناول كان التّفاوت والتّفاضل بين المبدعين والنّحويين، فميزان التّفاضل بين الكتاب والباحثين يتعلّق بتفاوتهم في استعمال اللّغة، وكيفية رصف مفرداتها، بعيدا عن المعايير النّحوية. وفيما يلي قراءة تحليلية في بعض خصائص البنية التركيبية المهيمنة على النّص.

### 1- التّقديم والتّأخير:

التّقديم والتّأخير من أبرز الظّواهر والخصائص الأسلوبية في الجملة العربية، إذ يمثّل انحرافا عن النّمط المألوف لتركيبها، و«يكسب الأسلوب ثراء في التّحليل».<sup>1</sup> وهو من المباحث التي حظيت باهتمام النّحويين والبلاغيين على حدٍ سواء مع بعض الاختلاف في زاوية نظر كلّ منهما، فغاية النّحويين من دراسته تعيين الثّوابت والمتغيّرات في الجملة، أما البلاغيون والأسلوبيون فهدفهم من دراسته الكشف عن دلالاته في الجملة وتعيين الأبعاد الجمالية للنّص ، يقول الجرجاني: «هو بابٌ كثير الفوائد ، جمّ المحاسن ، واسع التّصرف، بعيد الغاية لايزال يفتّر لك عن بديعة و يفضي بك إلى لطيفة، و لا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه و يطفّ لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحوّل اللفظ من مكانٍ إلى مكانٍ»،<sup>2</sup> و الجملة هي عبارة عن تراكيب لها بنية معلومة، سواء كانت فعلية أو اسمية، ولكلّ عنصر فيها مكان معلوم، ورتبة واضحة،

<sup>1</sup> عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، دت، ص: 164.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 106.

وبمقتضى ترتيب عناصرها، وبناء ألفاظها تستبين دلالاتها ويمكن وصفها بأنها فعلية أو اسمية، ولعلّه هذا المعنى هو ما أشار إليه أحمد مطلوب بقوله: « و للفظة المفردة مكان في الجملة، فإذا وضعت وضعا حسنا كانت جميلة موحية، وإذا وقعت في غير موقعها نبت وأنكرتها الأذواق».<sup>1</sup>

لكن قد ينزاح أحد عناصرها عن مكانه لسبب من الأسباب، فيختل هذا الترتيب، وهذا ما يسمّى بأسلوب التّقديم والتّأخير، الذي يعدّ متغيّراً أسلوبياً في اللّغة؛ لأنّه عدول عن القاعدة العامّة وذلك بتحويل الألفاظ عن رتبها الأصلية لغرض يتطلّب به المقام، و« العدول عن هذه الرّتب يمثّل نوعاً من الخروج عن اللّغة التّفعية إلى اللّغة الإبداعية»<sup>2</sup> وهو في نظر - محمد عبد المطلب - بمثابة منبه فنيّ يعتمد إليه المبدع ليخلق صورة فنية متميّزة.<sup>3</sup> فقد «يضيف على الدّلالة طبيعة جمالية، نفتقدّها إذا ما عدنا بها إلى رتبها الأولى».<sup>4</sup> وقد وصفه جون كوهين بقوله هو « انزياح سيّاق يصبّح معلماً متميّزاً للشّعرية».<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أحمد مطلوب، بحوث بلاغية، مطبوعات المجمع العلمي، بغداد، (د ط)، 1996، ص 51.

<sup>2</sup> محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون والشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، ط 1 - 1994، ص 329.

<sup>3</sup> نفسه، ص: 271-272.

<sup>4</sup> نفسه، ص: 330.

<sup>5</sup> جان كوهين، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي و محمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1986، ص: 18.

ولمّا كان لهذا الأسلوب هذا الأثر العميق في تغيير المعنى تبعاً لتغيّر موقع الكلمة في بنية التركيب، ممّا قد يضيف على النصّ جمالية مخصوصة في سياقها المخصوص، فقد جعله الإبراهيمي من ضمن خياراته في هذه الخطبة.

يتجلّى من كلّ هذا أنّ التّقديم والتّأخير هو انتهاك لرتب الجملة، إنّهُ تحويل اللفظ من مكانه الأصلي إلى مكان أسبق منه لغرض بلاغي يريدُه المتكلّم، وهذا التّغيير في المواقع يكسب الألفاظ رقةً وجمالية وحريةً، لكن وفق ما تقتضيه قواعد اللّغة وقوانينها، فلا مجال للعشوائية في تقدّم عنصر على آخر، ولا يتقدّم لفظ من الألفاظ أو يتأخر إلاّ لغرض معيّن، فكلّ لفظ مكانه اللائق ولو حدث التّقديم والتّأخير بدون سبب لاختلّ النظام وزال عنه تأنّفه وجماله، إلاّ أنّ الحال الأنسب لظاهرتي التّقديم والتّأخير هي التي ذكرها صاحب الطّراز، حينما قال: «اعلم أنّه إذا كان مطلع الكلام في إفادة معنى من المعاني ثمّ يجيء بعده ذكر شيئين أحدهما يكون أفضل من الآخر وكان المفضول مناسباً لمطلع الكلام، فأنت ههنا بالخيار فإنّ شئت، قدمت المفضول لما له من المناسبة لمطلع الكلام وإنّ شئت قدمت الفاضل لما له من رتبة الفضل»<sup>(1)</sup>.

فالتّقديم حسب الباحث خليل أحمد عمّاية هو «نقل مورفيم من موقع أصل له إلى موقع جديد مغيراً بذلك نمط الجملة، وناقلاً معناها إلى معنى جديد تربطه بالمعنى الأول رابطة واضحة هي عنصر من عناصر التّحويل، بل هي من أبرز

<sup>1</sup> الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليميني، الطراز لأسرار البلاغة وعلم حقائق الإعجاز، ج2، تح: عبد الحميد هندواوي، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط، د ت)، ص: 43.

عناصر التحويل وأكثرها وضوحًا، لأنّ المتكلم يعمد إلى مورفيم حقّه التأخير فيقدمه أو إلى ما حقّه التقديم فيؤخره طلبًا لإظهار وترتيب المعاني في النفس.<sup>1</sup>

فثنائية التقديم والتأخير هي ظاهرة لغوية بلاغية تعدّ من أبرز سمات المنهج الوصفي الذي يعوّل عليه في التركيب النحوي لتحديد المستوى الدلالي للجملة، كما أنّها تحتلّ مساحة كبيرة في هذه البلاغة، لكونها تمكّن المتكلم من التأثير في المتلقّي بدرجة كبيرة لما يكتنفها من خصائص فنيّة وجمالية، و ما يمكن استخلاصه ممّا سبق «أنّ أيّ تغيير في النظام التركيبي للجملة يترتب عنه بالضرورة تغيير الدلالة وانتقالها من مستوى إلى مستوى آخر.»<sup>2</sup>

غير أنّ أسباب التقديم كثيرة، و لا تتحصر فقط فيما ذهب إليه العلوي، و هو أنّ أساس التقديم والتأخير هو وجود التفاضل بين أركان الجملة. و هناك من رأى أنّ المقام والأصل العامّ في القواعد سبب في حدوث التقديم والتأخير كما يوضّح القول التالي: «تقديم جزء من الكلام بمقتضى البلاغة حقّه أن يتأخر في الترتيب بمقتضى الأصل العام في القواعد- يفيد أمورًا منها القصر للمتأخّر على المتقدّم بدلالة المقام،»<sup>(3)</sup>، وأسباب التقديم والتأخير كثيرة، منها ما حوته الأبيات التالية حول تقديم المسند إليه .

1. للأصل أو للاهتمام قدّمًا----- مسرة، مساءة مثلها—ما.
2. ومثلها تشويقه للخبر؛----- مثل الذي حيرني ظبي جري.

<sup>1</sup> خليل أحمد عاميرة، في نحو اللغة وتراكيبها، عالم المعرفة، جدة، ط1، 1984، ص88.

<sup>2</sup> محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص:331.

<sup>3</sup> عز الدين علي السيد، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ، بيروت، ط1، 1984، ص:140.

3. أو أنّه معلّق بالخاطر ----- كرحمة الله أمان الحائر.
4. تبرز كما قدّمه، أو تلذّذا----- (كالله حسبي) (وسعاد كالشذى)
5. أو للعموم نحو: كلّ رجل----- لم ينخدع عند حلول الأجل.
6. تقوية الإسناد للذكي----- إذا أتت للخبر الفعلي
7. كأنّ تعطي الوفّر في سخاء----- وعمر يصدق في وفاء.
8. ومثله التخصيص للعيان----- كرجل قد جاء؛ أي لا اثنان.
9. وقدّم (مثل) و (غير) ابدأ----- إن حسبنا كناية فيما بدأ<sup>1</sup>

غير أنّه إذا كانت معظم أساليب التّقديم والتّأخير ترجع « إلى معني التّخصيص والإبراز فإنّ نسبة منها لا بأس بها ترجع إلى الأصوات .. »<sup>2</sup>، « مما يدلنا على أنّ التّقديم والتّأخير في الشّعْر مثلهما في النثر يتمّان بإدراك ووعي، ويهدفان إلى قوّة المعنى وصدق التّعبير وجمال العبارة. »<sup>3</sup>

إنّ هذه المظاهر الجمالية المتنوعة مرجعها إلى هذه الظّاهرة الأسلوبية العجيبة، التي تمردت على المعتاد، فأخرجت المعنى بحسب تصوّره في الوجدان، ومزجت المشاعر بالكلمات، إذ أنّ الألفاظ أضحت ترجمانا لخلجات النفوس، ومرآة عاكسة لباطن النّفس الإنسانيّة، وهذا ما ذهب إليه الزّمكاني حينما قال: « التّقدم في

<sup>1</sup> حسن إسماعيل عبد الرزاق، لآلئ التّبيان في المعاني والبديع والبيان، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1985، ص:34.

<sup>2</sup> محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص:290.

<sup>3</sup> منبر محمود المسيري، دلالات التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم، نق: عبد العظيم المطعني وعلي جمعة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2005، ص:43.

اللّسان تبع للتقدّم في الجنان «<sup>1</sup>. وهذه البدائل الأسلوبية ما كان لها أن تكون لولا

هذه الظاهرة الفنية الساحرة. وللتقديم أحوال أربع هي:<sup>2</sup>

1- ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ.

2- ما يفيد زيادة في المعنى فحسب.

3- ما يتكافأ في التقديم والتأخير، وليس لهذا الضرب شيء من الملاحظة.

4- ما يختلّ به المعنى ويضطرب، وذلك هو التعقيد اللفظي.

وحالات التقديم التي استخدمها الإبراهيمي جاءت من النوع الأوّل، فأسهمت بذلك

في إغناء الدلالة وتجميل اللفظ، وتعلّقت -في معظمها- بتقديم شبه الجملة، وتتمثّل

هذه البنيات فيما يلي:

### تقديم متعلقات الفعل على غيرها:

#### 1- تقديم الجار والمجرور على المفعول:

إن تسليط الإبراهيمي عدسة ذهنه على الجار والمجرور المقدم على المفعول

لجعله نقطة الارتكاز التي يتفجّر منها المعنى، ويفرض هذا المتعلّق سيطرته على

بنية النصّ، كما هو واضح في هذه الخطبة، أدّى إلى ثراء دلالي كبير، وأضحى

الكلام في اتّساق مع بعضه كما لو أنّه لوحة فنية واحدة مكتملة ومتكاملة.

<sup>1</sup> الزملكاني، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تح: خديجة الحديثي مطلوب

أحمد مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1994، ص290. نقلا عن: منير محمود المسيري، دلالات التقديم والتأخير في القرآن

الكريم، ص: 49.

<sup>2</sup> أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبدیع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1993، ص:

101-100.

ففي قوله : (أحال **فيهم** كنائس التثليث إلى مساجد للتوحيد)، تقدم الجار والمجرور - **فيهم** - عن المفعول به - كنائس - للدلالة على التخصيص، حيث خصّ الله الطائفة التي تتبع السنن الكونية ولا تتخلف عنها بإسبال الرحمة واللفظ عليها، وذلك بتحويل الكنائس إلى مساجد يعبد فيها الله وحده.

وأفاد التقديم في البنية اللغوية: (استمدّ **من الله** اللطف) التخصيص - أيضا - فقد استبان من تقديم الجار والمجرور "من الله" على المفعول به "اللطف" أنّ الله تعالى هو مصدر كلّ نعمة ومسبل كلّ رحمه دون غيره.

أمّا البنية التالية: (أسأله تعالى **للقائمين** بشؤون هذه الأمة **ألفة**) فخصّ بها الكاتب القائمين على شؤون هذه الأمة بالدعاء بالألفة والوحدة دون غيرهم، حينما قدّم الجار والمجرور - **للقائمين** - على المفعول به الثاني (**ألفة**) للفعل - سأل - الدالّ - في عرف النحاة - على المنح والعطاء.

دلّت مظاهر التقديم والتأخير في البنيات التالية على تعجيل المسرة وإظهار الفضل والقيمة، ففي البنية التالية: (نحيي **بالعمار والنّمار والغيث المدرار** هذه القطعة) تقدّمت متعلّقات الفعل : بالعمار والنّمار والغيث المدرار على المفعول - هذه - للتّعجيل بإيصال هذا الخبر السار إلى نفوس المخاطبين، للتسرية عليهم، وزرع الأمل في قلوبهم، وبثّ الفرحة والبشاشة على وجوههم.

دلّت ظاهرة التقديم والتأخير في البنية التالية (نستنزل **من رحمات الله الصّيبة** ما يكون كفاء لبطولتهم) دلّت على تعجيل المسرة -أيضا- فبتقديم الكاتب متعلّقات الفعل: - من رحمات الله الصّيبة - على المفعول به - ما - يكون قد عجلّ بنقل هذا

الخبر السار إلى المخاطبين ، بغية إثلاج صدورهم، وتضميد جراحهم، فرحمة الله هي غاية ما يتمناه من جزاء من ضحّى وجاهد في سبيل الله .

استبان من تقديم بعض متعلقات الفعل في البنيتين التاليتين: (قدّمتم في سبيلها من الضحايا ما لم يقدمه شعب)، و(حزتم من إعجاب العالم بكم ما لم يحزه شعب ثائر) إحساس الكاتب بالفخر والاعتزاز وهو يقدم - في سبيلها من الضحايا - و يقدم - من إعجاب العالم بكم - على المفعول به ( ما ) معبرا بذلك عن إكباره لهذا الشعب الذي قام بالمعجزات في راهنه. والثناء على جهاد الشعب الجزائري من شأنه أن يسعد النفوس ويظهر أهمية الثورة الجزائرية وقيمتها محليا وعالميا.

أمّا في البنية التالية ( أنفق في أوصافك الغرّ أوقاتي). فقد قدّم الكاتب متعلقات الفعل - في أوصافك الغرّ - على المفعول به - أوقاتي - لتشويق المتلقي لمعرفة كنه المتأخر وحقيقته، فإنفاق الكاتب في سبيل الوطن ما كان بمال ولا متاع، بل كان بالوقت، والوقت هو حياة الإنسان وعمره، وهو عنده أغلى ما يملك.

عبر الكاتب في البنية التالية : (فرحتم باسترجاعه فرحة الصبيان). بعد أن قدّم الجار والمجرور والمضاف على المفعول المطلق-فرحة- عن استنكاره واستغرابه من تجاوز البعض الحدّ في الفرحة دون توقّع للعواقب، فكانت بذلك فرحة صبيانية غير مسؤولة، لا تعي قيمة الحدث، ولا تدرك المخاطر التي تتهدّده، كما عبّر بالبنية الآتية:(أن تشوّهوا بسوء تدبيركم محاسن هذه الثورة) عن استنكاره واستغرابه - أيضا- من بعض الممارسات اللاواعية التي قد تصدر من البعض، فتلطّخ جمال هذه الثورة ومحاسنها، حينما قدّم الاسم المجرور والمضاف و المضاف إليه -



بسوء تدبيركم-على المفعول به- محاسن- مبرزا بذلك أنّ ما يزرى بالمرء ويعيبه أن تُبعد الفرحة والمحنة عنه وعيه ورشده، فإذا فرح لا يعرف كيف يفرح وإذا حزن لا يعرف كيف يحزن.

أمّا البنية الآتية: (لم تسترجعوا من هذا المسجد سقوفه وأبوابه وحيطانه)، فقد قدّم الكاتب الجار والمجرور والمضاف إليهما- من هذا المسجد - على المفعول به - سقوفه - وما عطف عليه، إظهاراً لأهمية المسجد وقيّمته ، فهو مكان مقدس وليس مجرد بناء له جدران وسقوف، كأبيّ بناء آخر.

عمد الكاتب في البنية التّالية (لا تجعلوا للشيطان بينكم وبينها منفذا يدخل منه، ولا لحظوظ النّفس بينكم مدخلا) على تقديم الاسم المجرور والظرف كليهما على المفعول به على مرتّين، حين قدم- للشيطان بينكم وبينها - و- لحظوظ النّفس بينكم - على المفعول به: منفذا و مدخلا.للتّحذير والتّنفير من خطورة اتباع الشيطان ، والانصياع لأهواء النّفس على الوحدة والتّماسك المجتمعي.

## 2-تقديم الجار والمجرور على الفعل:

التي فيها نبتنا ، وعلى حبّها ثبتنا، ومن نباتها غدينا ، وفي سبيلها أوزينا.  
الملاحظ على هذه التراكيب أنّ الإبراهيمي عاكس التّرتيب الأصلي للجملة ، فقدّم الاسم المجرور (فيها -على حبّها- من نباتها-في سبيلها)على الجمل الفعلية(نبتنا - ثبتنا -غدينا - أوزينا) فأصل الكلام هو: التي نبتنا فيها ، و ثبتنا على حبّها ، وغدينا من نباتها ، و أوزينا في سبيلها. وفي هذا الانحراف الموضعي للكلمات تشويق واستثارة لذهن المتلقّي لمعرفة ما أحرّ الكاتب، ورعاية للفواصل حفاظا على

جمالية النّظم والنّغم. فإذا أمعنا البصر في الجار والمجرور المتقدّم وجدناه دالّا على الجزائر، وفي تقديري أنّ الكاتب إنّما قدمه إبرازا لعظمة الجزائر وإعلاء لشأنها. ودلّت الأفعال المتأخّرة على نمط العلاقة التي تربط الجزائريين بوطنهم، وهي: النبات والرعاية والثبات والغذاء والتّضحية.

### 3- تقديم الظرف على الجار والمجرور: يظهر هذا في البنية التّالية: (أحال مساجد

التّوحيد بين أيديهم إلى كنائس للتّثليث) ، فقد استبان من تقديم الظرف والمضاف إليه - بين أيديهم - على الاسم المجرور - إلى كنائس للتّثليث - أنّ قدر الله يتحقّق غضبا على من يتخلّف عن سننه، ولا يأخذ بالأسباب، فيرعى مكاسبه ويحميها، وهذا ما حدث للجزائر حينما ضعف أبناؤها دينيا ومعرفيا وأخلاقيا، إذ حلّ عليها غضب الله؛ فخسرت مساجدها بعد أن كان ملكا لها ، وتحولت إلى كنائس بعد أن كانت منارة لتوحيد الله تعالى.

### 4- تقديم الاسم على الاسم للأهمية:

دلّ التقديم في البنية التّالية: (ابتلوا في هذه الثّورة المباركة بالتّعذيب) على أنّ قيام الشعب الجزائري بالثّورة أكبر من أيّ حدث آخر، سواء كان تعذيبا أو غيره، فقد قدّم الكاتب الاسم المجرور وما بعده- في هذه الثّورة المباركة- على -بالتّعذيب- إظهارا لقيمة الاسم المجرور الأوّل وأفضليته على الثّاني.

### 5- تقديم المفعول به على الفاعل:

يعدّ المفعول به من متعلّقات الفعل لأنّ ركني الجملة الأساسيين هما (المسند والمسند إليه) والمفعول به ليس منهما، وقد يحدث أن يتزحزح هذا العنصر عن

مكانه الأصلي فيتقدّم على الفاعل؛ «لأن ذكره أهمّ والعناية به أتم»<sup>1</sup> ، فقد يتقدّم المفعول به على الفاعل إذا كان الاهتمام منصباً على من وقع عليه فعل الفاعل لا الفاعل نفسه ، كقولهم قتل الخارجي فلانٌ ، فإن الاهتمام بالمقتول لما عاث في الأرض فسادا وكثر منه الأذى. فالمراد هو الإخبار بقتله لا بقاتله، فالمهم هنا هو أنّ الخارجي قُتل وانتهى شره<sup>2</sup> ، وبهذا يتوضّح أنّ الغاية من التّقديم هو إبراز المفعول به و جعل الأنظار تتعلّق به لا بغيره ، وهذا ما دلت عليه البنيات التالية:

يتبعها قوم فيفلحون./ قدمت .. ما لم يقدمه شعب ..

حزتم .. لم يحزه شعب ثائر./ فاحذروا أن يركبكم الغرور و يستزلّكم الشيطان./ وفقكم الله.

تقدّم المفعول به على الفاعل في هذه البنيات، في عرف النّحاة وجوباً؛ لأنّه جاء ضميراً متّصلاً بالفعل، ففي الجملة الأولى دلّت الهاء الواقعة مفعولاً به، و المقدّمة على الفاعل - قوم - على أهمية اتباع السنن الكونية وقيمة ذلك عند الله تعالى، أمّا في الجملة الثانية فدلّ المفعول به (الهاء) المقدّم على الفاعل - قوم - على جسامة التّضحيات وعظمتها.

دلّت الهاء الواقعة مفعولاً به في الجملة الثالثة على أهمية المكاسب المتحصّل عليها. كما دلّت كاف الخطاب الواقعة مفعولاً به على إبراز المقدّم، والتأكيد على أنّه المستهدف بالخطاب لا غيره، و بناء عليه يمكن القول أنّه متى ما كان المفعول

<sup>1</sup> الإيضاح في علوم البلاغة ، ص96.

<sup>2</sup> ينظر المصدر نفسه، ص:96.

به هو محطّ الاهتمام ومحور الكلام قُدّم على الفاعل وأخذ موقعاً غير موقعه للتركيز عليه و إبرازه، وفي هذا التبدّل جلب للانتباه ولفت للأنظار.

### البنيات الواصفة:

استخدم الكاتب عددا من التعابير الوصفية المتنوّعة، سعيًا منه لإنجاح العملية الإبلاغية لجموع الحاضرين، الذين تختلف مستوياتهم الفكرية والتّعليمية، فأوضح لهم من خلالها ما يفعلون و ما لا يفعلون وطبيعة هذه الأفعال، و وصف أحوالهم و هم تحت سيطرة الاحتلال، وفيما يلي عملية تفكيكة لهذه البنيات الوصفية:

### أولاً: النعوت:

الموصوفات	الأوصاف	نوعها	طبيعتها
منفذا	يدخل منه	صفة لاسم مكان	جملة نعتية
ألفة	تجمع الشّمْل	صفة لمصدر	جملة نعتية
وحدة	تبعث القوة	صفة لمصدر	جملة نعتية
رحمة	تضمّد الجراح	صفة لمصدر	جملة نعتية
تعاوننا	يثمر المنفعة	صفة لمصدر	جملة نعتية
إخلاصا	يهوّن العسير	صفة لمصدر	جملة نعتية
توفيقا	ينير السبيل	صفة لمصدر	جملة نعتية
تسديدا	يقوم الرأي	صفة لمصدر	جملة نعتية
عزيمة	تقطع دابر الاستعمار	صفة لمصدر	جملة نعتية
حكمة	مستمدة من الإسلام	صفة لمصدر	نعت مفرد
داع	يدعو إلى الفرقة	صفة لاسم فاعل	جملة نعتية

ساع	يسعى إلى التّفريق	صفة لاسم فاعل	جملة نعتية
ناعق	ينعق بالفتنة والفساد	صفة لاسم فاعل	جملة نعتية
نشهد هذا المشهد المحزن	المحزن.	صفة لاسم مكان	نعت مفرد
منطوين على مضض.	يصهر الجوانح	صفة لمصدر	جملة نعتية

ثانيا: الأحوال:

البنيات الوصفية	الأحوال	طبيعتها
هزم الأحزاب وحده	وحده	حال مفردة
أضعثموها بالأمس مقهورين	مقهورين	حال مفردة
استرجعثموها اليوم مشكورين	مشكورين	حال مفردة
أخذها الاستعمار منكم استلابا	استلابا	حال مفردة
أخذتموها منه غلابا	غلابا	حال مفردة
أعاده إليكم عفوا من غير تعب،	عفوا	حال مفردة
...فيئة منه إلى الحق من دون نصب	فيئة	حال مفردة
كنا نمرّ على هذه السّاحة مطرقين	مطرقين	حال مفردة
نشهد هذا المشهد المحزن منطوين على	منطوين	حال مفردة
مضض يصهر الجوانح	على مضض	حال شبه جملة
أعينوها بقوة، و انصحوها في ما يجب	بقوّة	حال شبه جملة
التّصح فيه بالتّي هي أحسن.	بالتّي هي أحسن	حال جملة اسمية

يتبين من خلال بنيات الوصف السابقة، أنّ الشّيخ البشير الإبراهيمي استعان بهذا النمط أملاً في إيصال قناعاته لجمهور الحاضرين، فاستنفر معظم الأشكال الوصفية، موظفاً إياها بمهارة عالية، مستثمراً ملكته اللغوية، التي لا شك أنّها كانت بالغة التأثير في قلوب الحاضرين.

يتجلى من خلال البنيات التركيبية المهيمنة على النص، والمخضعة للدراسة أنّ الإبراهيمي استطاع في تقديري أن يؤثر في المتلقي بفضل الخصوبة الدلالية التي تحلّت بها هذه البنيات، ممّا جعلها تتوزع على عدّة حقول دلالية، أسهمت - و بشكل كبير - في إظهار مقصدية الكاتب، و هو ما سوف نبثه بالتفصيل في فصل المستويات الدلالية من خلال المقال السابق نفسه.

## الفصل الرابع

### المستويات الأسلوبية الدلالية

#### في أدب البشير الإبراهيمي

إنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة،  
ولا من حيث هي كلم مفردة، و أنّ الفضيّلة وخلافها  
في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، و ما أشبه  
ذلك، ممّا لا تعلق له بصريح اللفظ.

عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز : 46 .

## المباحث

المبحث الأول: المستوى الدّالّي.

المباحث الأخرى: الحقول الدّالّية المهيمنة

في مقال: 8 ماي 1945.



المبحث الأول: المستوى الدلالي:

إنّ البحث عن المعنى وملاحقة الدلالة بغية القبض عليها أمر يتصدّى له ما يسمّى بـ: علم الدلالة، فهو العلم المختصّ و الكفيل بدراسة المعنى، أو هو ذلك الفرع الذي يدرس الشّروط الواجب توافرها في الرّمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى،<sup>1</sup> كما أنّه « يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدلّ عليها، أو تحيل إليها»<sup>2</sup>، ويبحث في التطور اللّغوي لدلالة مختلف الوحدات اللّغوية و تلوّناتها، وما يعتمدها من تغيّرات، إذ أنّ التطور اللّغوي في «معناه البسيط التّغيير الذي يطرأ على اللّغة، سواء في أصواتها أو دلالة مفرداتها، أو الزيادة التي تكتسبها اللّغة أو النقصان الذي يصيبها»<sup>3</sup>.

لا بدّ للباحث في المستوى الدلالي أن يتسلّح بعلمي اللّغة والاجتماع؛ على اعتبار أنّ معنى الخطاب يفهم ويتحدّد من خلال الملفوظ النّطقي والكتابي بنوعيهما، وعلم الدلالة فرع من فروع البحث في المعنى مما يؤدّي في النهاية إلى أن تكون اللّغة نظامًا عرفيًا يشرح العلاقة بين الرّمز ومدلوله<sup>4</sup>.

تكمن حاجة الباحث اللّغوي إلى علم الاجتماع في كون اللّغة ظاهرة اجتماعية وهي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بثقافة النّاس الذين يتكلمونها، وهذا ما جعل البلاغيين يربطون بين المقام والمقال حين قالوا: لكلّ مقام مقال، ف « إذا اختلفت المقامات

1 ينظر: أحمد مختار عمر ، علم الدلالة. ص: 11 .

2 محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، ط، 2002، ص: 9.

3 عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر العربي الجاهلي ولغة القرآن، دراسة دلالية مقارنة- مكتبة المنار الأردن، ط1، 1985، ص: 45

4 ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ، ص: 42 .

لزم اختلاف مقتضيات الأحوال لأنّ اختلاف الأسباب في الاقتضاء يوجب اختلاف المسببات، إذ الاعتبار اللائق بهذا المقام غير الاعتبار اللائق بذلك، واختلافها عين اختلاف مقتضيات الأحوال، ومقتضى الحال في التحقيق هو الكلام الكليّ المكيف بكيفيةٍ مخصوصةٍ... والحال أمر يقتضي أن يؤتى بالكلام على صفةٍ مخصوصةٍ تناسبه كالإنكار مثلاً إذا اقتضى أن يورد الكلام مع صاحب ذلك الإنكار مؤكّداً»،<sup>1</sup> ونظراً لأهمية مراعاة المقام والحال في اصطیاد المعنى و وضوحه، فقد كانا محلّ اهتمام علم الدلالة.<sup>2</sup>

إنّ التراكيب والألفاظ اللغوية تكتسي أهمية كبرى لكونها ترسم فضاء النصّ، وتحدّد أبعاده الدلالية بفضل تحاور الكلمات فيما بينها، مما يمكنها من اكتساب علائق جديدة فتعدل عن بعض معانيها المعجمية، لتذوب فيما بعد في حقول دلالية، ويقصد بالحقول الدلالية «مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية، فهي تقع تحت المصطلح العام (لون) وتضمّ ألفاظاً مثل: أحمر، أزرق، أصفر، أبيض... الخ»<sup>3</sup> فاللغة إذن تتيح للمبدع إمكانيات لغوية وتعبيرية لا حصر لها، تمكّنه من انتقاء ما يتلاءم مع رؤيته، وهذا ما جعل الأسلوبيين يعتبرون مقولة الاختيار من أبرز مقولات الأسلوبية،<sup>4</sup> ممّا يعني أنّ «كلّ أسلوب صورة خاصّة بصاحبه

1 رشيد بلحبيب ، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى، بحث مجلة اللسان العربي، ع (47) لشهر مايو 1998م، نقلاً عن الدسوقي في حاشية السعد، ص:232.

2 ينظر: نفسه، ص:232.

3 أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ط 5، 1998، ص: 79.

4 ينظر: أوزوالد ديكر و جان ماري سشايغر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، ط/مُنقحة، دت، ص(172-173-174). وينظر أيضاً: أحمد الشايب، الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1991، ص،(51-52) .

تبين طريقة تفكيره، وكيفية نظرتة إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته، فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب.<sup>1</sup> فالأساليب والصيغ اللغوية التي قد يختارها هذا الكاتب، قد لايعتمد عليها كاتب آخر؛ لاعتقاده أن الاستقدمات والخيارات اللغوية التي فضلها هي القادرة على حمل المعاني التي يريد إظهارها.

إذا كانت اللغة توقّر للإنسان العادي احتمالات تعبيرية اختيارية شتى، فإنها تهيء للمبدع بدائل أوفر ونسوجا لغوية أكثر، لكن «ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاماً ولكلّ حالة من ذلك مقاماً، حتّى يقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.»<sup>2</sup> وبهذا الرّصف المحكم تكون اللغة أكثر شاعرية وأدبية وخصوصية، وهو ما عبّر عنه ماروزو Gules Marouzeau بقوله: «اللغة الأدبية بهذا المعنى يحكمها قانونها الخاصّ، وبهذا القانون تكتسب خاصيتها ظاهرة فنية، مميّزة من الظواهر المغايرة لها.»<sup>3</sup>

لإدراك كنه هذه المعاني وحقيقتها لأبدّ من وجود علائق مختلفة، تربط بين المعاني والألفاظ؛ «لأنّ الكلمات لا تعيش منعزلة في نظام اللغة، ولكنها تتدرج تحت أنواع شتى من المجموعات والتقسيمات التي يرتبط بعضها ببعض بوساطة شبكة من العلاقات المعقّدة غير المستقرّة المتوغّلة في الذاتية: علاقات بين الألفاظ

<sup>1</sup> أحمد الشايب، نفسه، ص: 134.

<sup>2</sup> أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تق/ وتب/ وشر: علي أبو ملح، مج1، منشورات دار ومكتبة الهلال، د ط، 2002، ص131.

<sup>3</sup>:Gules Marouzeau, précis de stylistique, française, p :17.

نقلًا عن: نورالدين السّدّ، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 158.

وعلاقات بين المدلولات، علاقات أساسها التشابه أو بعض الصّلات الأخرى، و هذه العلاقات إنّما نشعر بها عن طريق آثارها ونتائجها.<sup>1</sup> و بذلك يتشكّل ما يسمّى بـ «المجال الدّلالي الذي يتكون من مجموعة من المعاني، أو الكلمات المتقاربة التي تتميز بوجود عناصر أو ملامح دلالية مشتركة، و كما يقول أصحاب هذه النّظرية: إنّ الكلمة لا معنى لها بمفردها، و لكنّها تكتسب معناها في ضوء علاقاتها بالكلمات الأخرى، و أنّ معنى هذه الكلمة لا يتحدّد إلّا ببحثها مع أقرب الكلمات إليها في إطار مجموعة واحدة»<sup>2</sup>، فاللفظة المفردة تحيا وتعيش داخل التّركيب، وتتطوّر دلالتها من سياق لآخر، فبموجب علاقتها بغيرها في السّلسلة القولية تتحدّد معانيها، وتتولّد دلالاتها، وتولد أكثر تخصّصا في حركة انتظام البنية العامّة للنّص.<sup>3</sup> و من هنا ندرك « أن معنى الوحدة الكلامية يعتمد بشكل جوهري على السّياق ».<sup>4</sup> وهو ما أشار إليه الأنباري بقوله «كلام العرب يصحّ بعضه بعضا، ويرتبط أوّله بآخره، ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلّا باستيفائه واستكمال جميع حروفه»<sup>5</sup>، بمعنى أنّ الكلام لا يكون ذا دلالة، وذا فائدة إلّا إذا استوفى جميع شروطه؛ من رتب وألفاظ وروابط لفظية ومنطقية.

<sup>1</sup> ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، (دط، دت) ص: 70.

<sup>2</sup> كريم زكي حسام الدين، التحليل الدلالي، إجراءاته ومناهجه، ج1، ص: 100.

<sup>3</sup> يمنى العيد، في معرفة النّص - دراسات في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1985،

ص: 82.

<sup>4</sup> جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ج1، تر: عباس صادق الوهاب، مرا: بوثيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة،

ط1، 1987، ص: 215.

<sup>5</sup> محمد بن القاسم الأنباري، كتاب الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 1987،

ص: 2.

فضلاً عن ذلك فإن السياق الدلالي العام يتيح للفظه أن تكسب إحياءات إضافية داخل السياق الخاص وهذا ناشئ من أثره على مستويات ثلاثة متميزة في تحليل النص أولها: أنه يحدد آية جملة تم نطقها.

ثانيها . القضية التي تم التعبير عنها.

ثالثها: إن السياق يساعدنا على القول إن القضية تحت الدرس قد تم التعبير عنها بموجب نوع معين من القوة الكلامية دون غيره<sup>1</sup>.

يظهر من خلال القول السابق أن السياق مختلف عن المقام، إلا أنهما قد يتداخلان، « فالسياق هو مجرى الكلام وتسلسله واتصال بعضه ببعض، أما المقام فهو الحالة التي يقال فيها الكلام، وذلك كأن يكون المقام مقام حزن و بكاء أو مقام فرح وسرور أو مقام تكريم أو مقام ذم أو غير ذلك»،<sup>2</sup> لذا يمكن القول أن تأثير المقام على السياق ممثلاً في السلسلة الكلامية أقوى، إذ على ضوء نوع المقام تنتقى الألفاظ، وتصاغ التراكيب.

بناء على ما ذكر يمكن القول أن مراعاة السياق والمقام يمكن الباحث من التعرف على الدلالات والمقاصد، خاصة إذا تعلق الأمر بحروف المعاني؛ كحروف العطف والجرّ مثلاً، أو الألفاظ المترادفة والمتضادة أيضاً، ومن هذا الأثر ما نجده في تغيير مواقع الكلمات الذي لا يغير بالضرورة دائماً من المعنى الأساسي للجملة، « ولكنه قد يحدث تأثيراً معنوياً أسلوبياً ينقل مواقع التركيز المعنوي من كلمة إلى أخرى، ضمن عوامل الموقف اللغوي واستراتيجية الكلام

<sup>1</sup> ينظر : جون لاينز، نفسه، ص: 222.

<sup>2</sup> فاضل صالح السمرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص: 63.

ومشاعر المتحدث وعلاقته بالسّامع أو المتلقّي»<sup>1</sup>، وتكمن أهمية مراعاة السيّاق الخارجي - أيضا - « في معرفة قيمة العبارات ومدى إسهامها في فتح المجال لمعرفة أسرار النّفس والمجتمع وبهذا يكتسب النّص - إلى جانب جمال النّسق - قيمته الفنيّة»<sup>2</sup>. فحين تستقدم الألفاظ بانتقائية كبيرة، وحين تتسج التراكيب بأساليب متساوقة ونوازع النّفس الإنسانيّة، ترتقي النّصوص، فتقوى جماليا وفنّيا وتأثيريا.

نظرا لأهمية الدّلالة حفلت علوم اللّغة بالبحوث الدّلالية، باجتنابها انتباه البلاغيين العرب والأسلوبيين المحدثين على السّواء، فأولوها عناية فائقة، لكونها تهتمّ بالمعنى وظلاله وطرائق التّعبير عنه بأشكال مختلفة والصّلة بين اللفظ ودلالته. و الكيفية التي يتمّ بها استعمال المفردات ضمن سيّاق لغوي معيّن، وبيان علاقاتها بالعملية الذهنية، لأنّ الألفاظ لا تدلّ على الأمور الخارجيّة بل على الأمور الذهنية، والتّراث الضّخم الذي خلّفه القدامى، وما قام بها الألسنيّون والأسلوبيّون في دراساتهم اللّغوية الحديثة يشهد على ذلك، فقد تناولت هذه الدّراسات الدّلالة وقضاياها من زاويتين:

الأولى: نظرية.

والثّانية عملية صرفة: نجد هذا الجانب في المعاجم وتقنيات أداء المعاجم بمختلف أنواعها، فهناك مباحث تدخل تحت ما يسمّى بالمعجمية أو علم المعاجم، يكون محور البحث فيها مرتكزا على المفردات ودلالاتها وأصولها وتطورها

<sup>1</sup> عودة خليل أبو عودة، نفس المرجع، ص: 75

<sup>2</sup> المهدي إبراهيم الغويل، السيّاق و أثره في المعنى - دراسة أسلوبية - أكاديمية الفكر الجماهيري، بنغازي، ليبيا، دط،

2011، ص: 109.

التاريخي ومعناها الحاضر وكيفية استعمالها، وتدخل تحت هذه القضايا مسائل ذات علاقة بالتعدد الدلالي والاشتراك اللفظي والتّرادف والتّضاد والمكوّنات الدلالية لكلّ لفظ، وكلّ جزئية من هذه الجزئيات لها مباحث واسعة جداً .

لقد دأب البلاغيون العرب والأسلوبيون المحدثون على الاهتمام بالمدلول اللغوي للمفردة في السّياق الذي وردت فيه، كما اهتمّوا بمعنى الجملة من خلال الأداء الفنّي للمنشئ وإمكاناته اللغوية وصولاً إلى المعنى المراد التّعبير عنه بحسب تنوّع الأداء اللغوي.

اهتمّ علماء البلاغة العرب بالسّبل التي تكفل إبراز النّاحية الجماليّة في التّعبير لا مجرد إفهام المتلقّي وإيصال المعنى له، لذلك انصب اهتمامهم على المفهوم الدلالي وتنوّع مستوياته للمفردة الواحدة ضمن السّياق التّعبيري الذي وردت فيه، ثمّ الانتقال بعدها إلى التّكوين الدلالي للجملة وطرائق صياغتها، كما أولوا عنايتهم لمعرفة الظواهر اللغوية ووظائفها، وأحوال اللفظ، ووضوح دلالاته وبخاصّة في القرنين الرابع والخامس الهجريين، ومثل هذا الاهتمام والعناية نجدها عند الأسلوبيين في العصر الحديث أيضاً.

توصّلت هذه الأبحاث والدّراسات إلى أنّ للسّياق والتّرابط بين الألفاظ أثراً بيّناً في فهم النّص فهماً جيداً، وإظهار المعنى ومعنى المعنى، وهذا ما أكّد عليه كلود جرمان بقوله: « أنّ للسّياق دوراً بارزاً في إجلاء المعنى .. فهو الذي يخلّص الكلمات من المعاني المترامة في ذهن الإنسان.»<sup>1</sup> كما أنّه « بمقدور القراءات الدلالية من خلال المشيرات الدلالية التي تتكوّن من مجموعة سمات، أن تحلّل

<sup>1</sup> ينظر: كلود جرمان و ريمون لوبلاش علم الدلالة، تر: نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط1،

1997، ص:44.

العلاقات القائمة بين الكلمات. وفي هذا المجال تحدّد الكلمات المترادفة والكلمات المتزايلة<sup>1</sup> والكلمات المتضمّنة الواحدة الأخرى.<sup>2</sup>

والملاحظ على المعجم اللّغوي الإبراهيمي تركيزه الواضح على ما يكفل إنسانية الإنسان من قيمّ الحقّ والعدل والسّلام، كما ركّز أكثر على وحشيّة الاحتلال وحيوانيته، وتجرّده من أبسط القيمّ الإنسانية، باغتصابه لحرية غيره واستيلائه على مقدّراته الظّاهرة والباطنة، مسفرا عن وجهه القبيح الذي ينضح بالشّناعة والبهيمية، بل دلّت ممارساته الإبليسية - كما وضّح القرآن - على أنّه أنجس من الحيوان وأضلّ. وفي المقال الإبراهيمي: "ذكرى الثامن من ماي من عام 1945" برهان واقعي واضح على أنّ المحتلّ الغاصب سلب من الجزائريين إنسانيتهم، بممارسته الحيوانية التي سلّطها عليهم أمام مرأى ومسمع العالم أجمع.

وقد حاول هذا الفصل رصد الأنساق الدّلالية للمقال الإبراهيمي "ذكرى 8 ماي" الذي جاءت ألفاظه مشحونة بطاقة إيحائية تعبيرية عالية، وتردّدت فيه كلمات بأعيانها وما جانسها، كان وقعها سحرًا على سمع القارئ، لذلك سعى هذا الفصل إلى الكشف عن البنى الأسلوبية في المستوى الدّلالي واستنتطاقها، واستكناه دورها في تشكيل الفاعلية والجاذبية والحركية الدّلالية، بوصفها سمات أسلوبية دالّة على شعرية النّص التي «تتجلّى في كون الكلمة تدرك بوصفها كلمة وليست مجرد بديل عن الشّيء المسمّى ولا كانبثاق للانفعال، وتتجلّى في كون الكلمات وتركيبها ودلالاتها وشكلها الخارجي والدّاخلي ليست سوى أمارات مختلفة عن الواقع، لها

<sup>1</sup> يكون مدخلان معجميان متزايلان إذا كان معناهما ممثلًا بواسطة مجموعة السمات الدّلالية نفسها ويضاف إلى هذه السمات سمة (س1) عائدة للمفردة الأولى وسمة (س-1) عائدة للمفردة الثانية، علما بأنّ السّمتين (س1) و (س-1) لايتلازمان بناتا في مدخل معجمي واحد. (رجل/امرأة). ينظر: ميشال زكريا، الأسنوية التوليدية والتحليلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الأسنوية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1986، ص143.

<sup>2</sup> نفسه، ص142.



وزنها وقيمتها الخاصة»<sup>1</sup> قد تؤدي إلى تفجير طاقات إيحائية متتابعة، تتسبب في انفتاح النص وتعدد قراءاته باعتباره كيانا تجاوزيا استعاريا ومتحركا، لا ينقطع عن الإنتاج؛ إذ أن شعرية النص تتجلى بوصفها فضاء لتقاطع عدة شفرات، تجد نفسها في علاقة متبادلة، تعني خروجا بالعبارة عن حيادها إلى أشكال وأنماط مغايرة للمألوف، لا يمكن معها إحالة المدلول الشعري إلى سنن محددة.<sup>2</sup>

ومن هنا يمكن القول أن حركية التعبير تخضع في الغالب للتراكيب النصية، التي تتعالق معها المفردات مولدة لفاعلية دلالية، نتيجة الانتقال من الدلالة المباشرة إلى مدلولات إيحائية؛ لذلك اعتُبر رصد الحقول الدلالية المهيمنة على البنية الكلية عاملا مهماً في القبض على الدلالة المقصودة، والكشف عن رؤية الكاتب للأشياء والأشخاص و العالم.

### ثانياً: مباحث الحقول الدلالية المهيمنة في مقال 8 ماي 1945.

#### 1- حقل أوصاف يوم 8 ماي:

تضمّن هذا الحقل المفهومي ألفاظا متنوّعة، عبّرت عن شناعة ما حصل في الثامن من مايو من عام ألف وتسعمائة و خمسة وأربعين، فقد كان يوماً ولا كلّ الأيام؛ فلا شمس ملزمة لطبيعتها، ولا شهره و لا لياليه ولا دهره كذلك.

ففيه ظلم الجزائريون ظلماً غير موصوف؛ ظلم استحال به نوره ظلماً دامساً، وأهدرت فيه الدماء النقية هدراً، بلا ذنب أو جريرة، واهتزت أرضه اهتزازاً عنيفاً لما

<sup>1</sup> رومان ياكبسون، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص: 19.

<sup>2</sup> ينظر: جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، مُر: عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997، ص: 78.

وقع فوقها من مجازر، وما أريق على أديمها من دم، وما حدث فوقها من مظالم، وما أسقط عليها من حمم نارية.

يوم احتفت فيه السماء احتفاء، حينما زفت فيه العديد من أرواح الشهداء إلى بارئها، فشمسه المعروفة بحرارتها وضوئها اللذين يحتاجهما الإنسان وكل الكائنات الأخرى، ما عادت كذلك، بل تحوّلت إلى مخلوق مرعب مخيف منذر بالفناء والموت. أضحت شمس هذا اليوم مرعبة مخيفة بسبب شمس نارية وصواريخ قاتلة أسقطت على الأرض من عليائها، فما عاد مخلوق الأرض يميّزها من هذه الحمم النارية التي أبادت الأخضر و الياض، فاجتاحت أجواز الفضاء سحائب الدخان الذي نجم عن عمليات الحرق والتدمير والتجريف، الذي أنزل بقطاع عريض من الجزائريين في ذلك اليوم.

يوم يختلف عن أيام الدم و القتل الأخرى، لأنه جاء في غمرة انتصار الحلفاء على النازية، وحينها خرج الشعب الجزائري في كامل التراب الوطني للتعبير عن فرحته بتنظيم مسيرات سلمية مرخصة من قبل السلطات الاستعمارية، مطالباً فرنسا بتحقيق الوعود الزائفة، و المتمثلة في إعطاء الحكم الذاتي للمستعمرات الفرنسية بعد الحرب<sup>1</sup>، لكنه تجرد من كل معاني الإنسانية، ومن كل القيم الأخلاقية، وتتصل من كل وعوده، فقابل الإحسان بالإساءة والسلام بالحرب والدم، فقتل ودمر وأحرق، وعتا وتجبر؛ لذلك وصفه الإبراهيمي بالقول: بأن جميع أيامه نحسات، لا خير فيها، بل إن دهره كله يوم نحس ومشقة وعسر مستمر، فلا فوارق بين أيامه ولياليه السود الحوالك، المتقلة بالأحزان والتعذيب والتقتيل إلا في

<sup>1</sup> عامر رخيطة، 8 ماي 1945، المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص:60.

كون هذا اليوم خيانة لوعده، وهديّة من وغد، وأي هديّة ! هديّة قدّمت لمن كان سببا في انتصاره، وحائلا دون انكساره في هذه الحرب.  
وصف الإبراهيمي شمس هذا اليوم، وليله وشهره وسماؤه وأرضه وحقائقه وفضائعه، وحال الإنسان الجزائري فيه، بواسطة البنيات اللغوية التآلية التي عكس من خلالها درجة مأسويّة و دمويّة.

## يَوْمٌ

مظلم بالظلم. مطرزّ بالدماء المطلولة. مقشعرّ الأرض من بطش الأقوياء. مبتهج السماء بأرواح الشهداء.	خلعت شمسها طبيعتها. خرج شهره عن طاعة الرّبيع. غابت حقيقته عند الأقاليم. محيت الفواصل بين أيّامه و لياليه . انجلت عن ألوف من القتلى.	كم له من أيّام مثله. أيّامه كلّها نحسات. دهره كلّه يوم نحس مستمرّ. لياليه كلّها سود حوالك . أيّامه خاتمة لأيّام الدّم والحديد. ساعة العسرة.
---	--	--

يلاحظ على هذه التّعابير المشبعة بالألم، ذلك الجوّ التّصاعدي الذي طبعت به، وتلك التّعاقبية الزّمنية التي ميّزت عرض أحداثه، مما أضفى على النّص مسحة جماليّة بالغة التّأثير في النفوس، إذ أنّ الكاتب بدأها بالظلم الذي تسبّب في حمام

من الدماء، اهتزّ بسببه حتى الجماد، ممثلاً في الأرض، واستقبلت السماء بابتهاج العديد من أرواح الشهداء.

استهلّ الإبراهيمي هذه التعبيرات-ابتداء- بأسماء مشتقة، باستخدامه لاسم الفاعل ثلاث مرات و اسم المفعول مرّة واحدة، المصوغين من الأفعال المتعدية الآتية:

مظلم	←	أظلم
مقشعر	←	اقشعرّ
مبتهج	←	ابتهج
مطرّز	←	يُطرّز

هذه الصيغة الصرفية تدلّ على معنى الفاعلية، لأنها تعمل عمل فعلها، وهذا ما يؤكد على حركيتها وفعاليتها، واستعمالها بهذه الصورة يدلّ على هول الكارثة، و جسامة الخطب، و يصوّر وحشية المحتلّ الغاصب ودمويته.

أمّا صيغة اسم المفعول - مطرّز - فتدلّ على المفعولية و الحدث والحدوث، إذ أبانت عن النكال العظيم الذي أنزل بالجزائريين .

بعد ذلك عدل الكاتب عن الأسماء المشتقة ليستعمل بدلها وحدات صغرى أخرى مشحونة بدلالات خصبة، وإيحاءات عميقة مؤثرة، أسهمت في إبراز الدلالة وتشكيل البنية الكلية للنص، وهذه الوحدات هي أفعال ماضية، صور الكاتب من خلالها أحداثاً مروعة حصلت في هذا اليوم، واستخدم بعضها تعابير مجازية، سعياً منه لتشخيص هذه الأحداث، بغرض تبيان آثارها أكثر، و تصدرت هذه الأفعال التراكيب التالية:

خلعت شمسه طبيعتها / خرج شهره عن طاعة الربيع.

غبت حقيقته عند الأقلام . / محيت الفواصل بين أيامه و لياليه.

انجلى.. عن ألوف من القتلى.

الملاحظ على هذه الأفعال أنها جنحت صوب التّجسيم، إذ صوّرت الشّمس والشّهر والحقيقة على أنها كائنات حيّة تتطوي على مشاعر وأحاسيس، وتستشعر الآلام والأحزان، ولعلّ الكاتب أراد بهذا التّوظيف إبراز فداحة الخطب وهول الكارثة.

أمّا طائفة المجموعة الثالثة فقد وصفت هذا اليوم الدّامي وغيره من أيام الدّل والقهر بأدقّ أنواع التّعابير والألفاظ، والوحدات الصّرفية التّالية خير مثال على ذلك: [نحسات- نحس- سود حوالك - خاتمة لأيّام الدّم والحديد - ساعة العسرة.]

استبان من خلال هذه الوحدات و التّعابير استحالة حصول الخيرية والنّفع من الاحتلال الغاصب، فلاخير في أيّام عاشها الشّعب الجزائري تحت وطأة طغيان أسامه كلّ صنوف الإذلال والقهر، كما كشفت عن الوجه القبيح للمحتلّ، وأفصحت عن حقيقته، مكذّبة بذلك مزاعمه الخدّاعة وشعاراته الكاذبة، التي برّر به احتلاله للجزائر.

## 2- حقل الحرب ووسائلها:

تضمّن الألفاظ التّالية: قعقة السّلاح / سيف / نار / الحديد / مدافع / لباس

الجوع / لباس العري / لباس الخوف.

شكّلت الوحدات الصّرفية التّالية مجالا مفاهيميًا آخر مستقلاً، إذ عبّرت عن قساوة هذه الحرب و بعض الوسائل المستخدمة فيها، وأكّدت على تجرّد المستبدّ الغاشم من كلّ أشكال الرّحمة، إذ استخدم كلّ الوسائل المادية و المعنوية من أجل إسكات صوت الحقّ المطالب بالحرّية و الانعتاق.

ففي هذا اليوم المشؤوم أشهر الاحتلال الغاشم سلاحه بقوّة في وجه الجزائريين، واستباح كلّ شيء، وما عادت أمامه خطوط حمراء تثنيه عن وحشيته وهمجيته، فلقد استلّ سيفه المميت، وأحرقهم بناره وحديده ومدافعه، و ليته اكتفى بهذا، بل سلّط عليهم أسلحة أخرى أكثر إيلافاً وفتكاً، بغية إخضاعهم بالقوّة، وهي أسلحة التّجويع والتّعرية والتّخويف، مسفراً عن قبح وجهه الذي طالما أخفاه، وزيف شعاراته التي كان ينادي بها، ودناءة أخلاقه وسفالتة.

### حقل الألفاظ الدّالة على الدّمار والممارسات الوحشية:

لم يكتف الشّيخ الإبراهيمي باستخدام ألفاظ الحقل السّابق بل راح يعزّزها، و يشدّ أزرها بألفاظ متقاربة معها دلالياً، هي ألفاظ دالة على الممارسات الوحشية و الدّمار والخراب الذي أحدثه الاحتلال في الجزائر، بأسلحته الفتّاقة، وبلغ عددها اثنين و سبعين لفظاً منوعاً، سارت كلّها في اتّجاه واحد، إذ أنّها كشفت الألقنة، وعرّت الاحتلال، وأبرزته في صورة شيطان مارد، لا يبقي ولا يذر، و هي الدّلالات التي استهدف الكاتب تحقيقها.

و تتمثّل هذه الألفاظ فيما يلي:

مظلم	الدّماء 3	المطلولة	مقشعر	هائمين	العاتي	القاتل	الطّاغي
حوالك	بقايا	النّار	قتيلا	مجنونة	المنكوبة	محرقة	متلفة
منتهاكا	مقسّما	سود	العائثين	تقاتل	الإعصار	مهذومة	المسلّح
يحادّ	يغتال	التّقتيل	الدّم 2	الأشلاء	موت	هدم	الإبادة
المحو	النّحر	التّدمير	أريقت 2	القتلى	العزل	نهب	إحراق
تدمير	استباحة	حرمات	تغريم	سجن	اعتقال	القتال	الفرع
نهبها	العراء	يتامى	فقدن	فقدوا	العواصف	استبيحت	انتهكت
الآثمتان	التبشير	ألوهيته	ضحية	قسوة	حيوانيته	جثث	يقتل
يتحدّى	ينسخ	ضمخت	يغلو	التّالّه	يحادّ الله.	ديمقراطية	زائفة

إنّ هذه الوحدات الصّرفية المستعملة أسهمت في تصوير الأوضاع المزرية التي فرضها الاحتلال على الشّعب الجزائري، و صوّرت جسامة هذه الحرب وفداحتها، كما أبانت عن قيمة الضّريبة التي قدّمها الشّعب الجزائري مقابل حرّيته، وأعرّبت عن درجة التّحمّل و الصّمود التي وصلها الجزائريون في مواجهتهم لأعتى آلة حربية في العالم آنذاك.

يُستبان من هذا الحقل شدّة عتوّ المستبدّ ووحشيته، فبيديه الآثمتين يقتل ويغتال من يشاء، أنّى شاء، ومتى شاء، وكيفما شاء. و بعنوّه واستكباره تحدّى الخالق والعباد والشّرّاع والقيّم، و بحيوانيته نازع الله في ألوهيته وعاداه ونسخ حكمه، وبقسوته وصلابته أوغل في إهدار دماء العزل وبقايا الحرب، الذين نجوا من جراء مشاركتهم في حرب شعواء لا تعنيهم. فلغة السّلم والتّفاوض والحوار في قاموسه معدومة، لا يسمع بها ولا يستسيغها، و لا يفهم إلّا لغة الدّم والقتل والأشلاء.

لقد استحال الاحتلال الغاشم إلى كائن طفيلي يعيش على حساب غيره، بامتصاص دمائهم واستيلاب خيراتهم، ومصادرة أراضيهم، فألقى بهم في أتون الحرب ليحيا ويعمر في هذه الأرض طويلا، ودمّر مساكنهم ومزارعهم ليشبع فيبقى، وجوّع أهل البلاد فمنهم من آل إلى الفناء، ومنهم من صار هيكلا عظيما لا يقوى على الحركة، ونكّل بعديد من القبائل الشّجاعة -التي رفضت أن تطأ رءوسها - نحرا وقتلا، في الوقت الذي سخّر فيه آله الإعلامية في الخارج لتزييف الحقائق بالشّعارات الكاذبة والمزاعم الخادعة، كادّعائه الديمقراطيّة التي هي منه براء.

إنّ هذه الوحدات الصّرفية التي استعان بها الكاتب مكنته من تعرية المستبد وكشفه أمام العالم، لعلّه ينتفض إن كان له بقية من ضمير.

### 3- حقل الممنوعات:

لا حياة / لا ثمر / لا نُور / لا نُور / لا تصوير / لا تدوين.

عبّرت هذه الألفاظ المنفيّة ب-لا - عن جملة من المحرّمات والممنوعات التي حرم منها الاحتلال الفرنسي الغاشم الجزائريين في هذا اليوم؛ فلا حياة لمن رفع رأسه و صدع بالحقّ و نادى - ولو على وجل وضعف- ببعض حقوقه، ولا نبت يقوم على سوقه، ولا إثمار و لا إزهار لأيّ نبات كان، فالأرض قد تحترق من تحت أقدامهم إلى أن تستحيل رمادا. إنّها سياسة الأرض المحروقة التي هي طبيعة راسخة في الاستبداد على مرّ التّاريخ، كما أنّه لا كشف للحقائق أو تنوير للعقول وتصوير للمجازر عن طريق استخدام آلات التّصوير، ولا تعبير بواسطة الكلمة والكتابة في الجرائد والصّحف أو أيّة وسيلة إعلامية أخرى، فقد أعلن المستبدّ هذه الجهة أرضا محرّمة، بمنع دخول كلّ صوت حقّ لها، بغية الاستفراد



بالعزل والضّعفاء، نساء ورجالا و أطفالا، وإبادة الأخضر واليابس هناك، محيطا تلك المجازر بتعظيم إعلامي ممنهج كبير.

### 5- حقل الألفاظ الدالة على مواقف وتنازلات جزائرية:

أنجلك ← أوجدك  
يسهر ← يجوع ← يثبت في العواصف  
شارك في النصر ← فرحه بانتصارك  
قاتلوا لغير غاية ← قتلوا من غير شرف.

يتّضح من ألفاظ هذا الحقل الدلالي عظم المصيبة وجسامة الخطب، فقد استحالت إلى مصيبتين: مصيبة الاحتلال ومصيبة الخذلان وخيبة الأمل، الذي نجم من جرّاء الانصياع إلى من لا عهد له ولا نمة، وما تمخض عنه من مآسي يندى لها الجبين، فبالرغم من تعريض الجزائريين نفوسهم للموت من أجله؛ إذ حرموا أنفسهم من لذة النوم من أجل أن ينام، و من لذة الطّعام من أجل أن يشبع، وثبتوا أمام العواصف المميّنة من أجل أن ينتصر، وفرحوا بانتصاره رغم أنه عدوّهم، فبالرغم من كلّ هذه التنازلات والمواقف الإيجابية في حقّه، إلاّ أنهم لم يستحقّوا شفاعته، ولم ينعموا بشفقته ورحمته ولم يتمتّعوا بحقيقة وعوده.

والملاحظ على هذه الوحدات دلالتها على شدة حبّ الجزائريين لاستقلال وطنهم، وحرية شعبهم، التي من أجلها شاركوا مكرهين في حرب لا تعنيهم، ولتحقيق مصلحة من يعاديهم، ويصادر - يوميا و بكلّ الأشكال والطرق - حرياتهم الفردية والجماعية، شاركوا أو أشركوا والأمل يحدوهم في أن يتحقّق بفضلهم النصر، الذي يجعل المحتلّ يفي بما وعد، وينفّذ العهد، فيمنحهم الحكم الدّاتي،

ولكنه قابل الخير بالشر، و الإحسان بالإساءة، و التعاون بالغدر والخيانة، والسلام والإخاء بالدم والقتل والإبادة، وطبق على الجزائريين بكل شرائحهم كل صنوف الإجرام، وكل أنواع الإذلال والتتكيل، فكانت النتائج كارثية، شملت كل شيء على وجه الأرض هناك. وبنيات الحقل الدلالي التالية تؤكد هذا الأمر.

### 6- حقل النتائج المأساوية النهائية:

تمثله البنيات اللغوية الآتية:

الأب قتيلا- الأم مجنونة - الغلة متلفة - العرض منتهكا - المال نهبا مقسما -  
 الدار مهدومة أو محرقة-الصغار هائمين في العراء - أيامى فقدن بعولتهن -  
 يتامى فقدوا العائل- أموال محترمة استبيحت - أعراض طاهرة انتهكت- دماء  
 بريئة أريقت- سجن - اعتقال - تغريم- المنكوبة- نهب أموال- استباحة  
 حرمان - تحيقت الحرب أقواتها وأموالها - جرعت الثكل أمهاتها واليتم أطفالها -  
 أكلت شبابها - قطعت أسبابها- صليت نار الحرب - ألوف من القتلى العزل  
 الضعفاء - إحراق قرى وتدمير مساكن - قتلى ضمخت دماؤها الغريين- دماؤها  
 خالطت البحار.

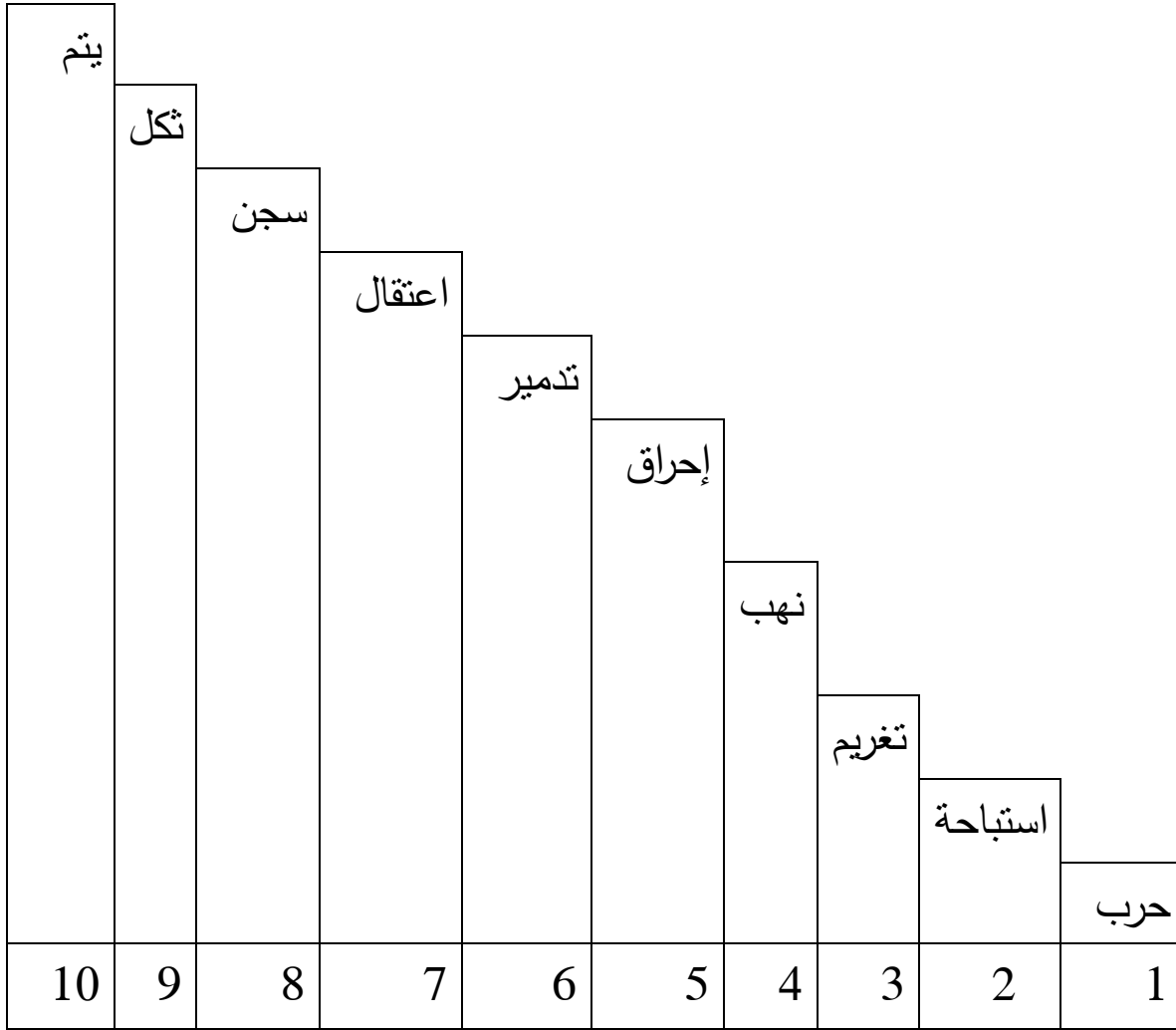
الظاهر على هذه المجموعة أنّ الإبراهيمي نوع في الاستخدام اللغوي، ليبرز  
 جسامة الضربية، وعظمة الخطب، فاستعمل اسم المفعول الدال على المفعولية،  
 الذي من خلاله تمكّن من تصوير صنوف العقاب الجماعي المروع الذي سلط  
 على الجزائريين، كما يبدو أنّ الإبراهيمي نوع في استخدام هذه الوحدة الصرفية،  
 فاستحضر خمسة أسماء مفاعيل مصوغة من الأفعال المزيدة، هي: محرقة /  
 متلفة / منتهكا / مقسما / محترمة. التي أخذت من الأفعال المبنية للمجهول: يُحرق

/يُتَلَف/ /يُنْتَهَك/ /يُقَسَم/ يُحْتَرَم. إنّ هذه المشتقات عادة ما تكون مشبعة دلاليا وإيحائيا، بسبب دلالتها على فاعل مجهول ومفعول به نائب عنه؛ لذلك اتخذها الكاتب من ضمن خياراته.

كما استخدم -أيضا - ثلاثة أسماء مصوغة من الثلاثي، هي: مجنونة / مهدومة /منكوبة/، المصوغة من الأفعال: جُنَّت /هُدِمَت / نُكِبَت، لكونها تعبر بذاتها دون زيادة على النهاية المأساوية التي ختم بها المستبد هذه الحرب. بغية تأكيد الكاتب على هذا الاختيار اللغوي، ورهانه على اسم المفعول استقدم أربعة أفعال مبنية للمجهول، هي: أريقَت / انتهكت/ استيحت/ صُلِيت/. وذلك لأنّ اسم المفعول لا يصاغ إلا من المبني للمجهول، الذي يتساق معه في الإشباع والشحن الدلالي، كما اشتملت هذه المجموعة على عدد من المصادر هي:

حرب	نهب	التكّل	اليتيم	سجن	إحراق	تدمير	استباحة	تغريم	اعتقال
-----	-----	--------	--------	-----	-------	-------	---------	-------	--------

عكست هذه المصادر أحداثا مروّعة أنزلها الاحتلال الغاصب بالجزائريين، ويظهر من خلالها أنّه استنفذ مع الجزائريين كلّ أساليب القمع بغية إخضاعهم للأمر الواقع، ولو تأملنا في هذه الأفعال الشنيعة لاستبان لنا المنحى التصاعدي الذي سارت عليه، و لأمكننا تصوّر زمن حدوثها، و لتوصّلنا إلى ترتيبها حسب وقوعها الزمّني على الشكل التالي:



إنّ استدعاء الإبراهيمي لهذه الوحدات الصّرفية يعكس حرصه الشّديد على تعريف الأجيال اللاحقة بالفضائع التي اجترحتها الاستبداد الفرنسي في حقّ الجزائريين؛ بغية استلهاهم العبر واستيعاب الدّروس منها، وليعرّفهم بأنّه لا ثقة في الاحتلال، فهو غادر خادع للوعود، خائن للعهود، وأنّ الفردوس الموعود الذي وسوس به للكثيرين مجردّ سراب خادع ووعد زائف، كذّبه الوقائع الميدانية على الأرض.

اشتمل هذا الحقل الدّلالي أيضا على جموع عدّة، تلوّنت دلالاتها، لكنّها رغم ذلك تضامنت لتعبّر عن المآسي التي لحقت بالبلاد ومقدّراتها و شعبها، و يبدو

أنّ جموع التّكسير هي التي استحوذت على مخيلة الإبراهيمي، لذلك راح يوظفها أكثر من غيرها من الجموع الأخرى، وتتمثّل هذه الجموع فيما يلي:

### جمع التّكسير:

الصّغار - أطفالها - شبابها - أسبابها - دماء - أعراض - أموال - يتامى -  
أيامى - القتلى - بعولتهن - العزّل - ألوف - الضّعفاء - قرى - مساكن - البحار.

1- جمع المؤنّث: أقواتها - أمّهاتها - حرّمات.

2- جمع المذكر: هائمين.

من خلال نوعية هذه الجموع المستخدمة يمكن القول أنّ الكاتب تعلّق فكره وتركيزه بكلّ الموجودات التي طالتها الأيدي الآثمة بالتّكثير، سواء كانت جمادا أو كائنات حيّة، عاقلة أو غير عاقلة، نظرا لكونه عايش الحقبة الاستعمارية واكتوى بناورها، وعانى من ويلاتها؛ لذلك جاءت بعض من كلماته عبارة عن آهات وتوجّعات مؤثّرة وكلوم نازفة، وأنّات صارخة.

### 7- حقل الوصف:

1- الوصف بالنعوت المفردة:

الموصوفات	النعوت
الاستعمار الفرنسي.	العاتي - الطّاعي - القويّ - المسلّح
يدا الاستعمار.	الآثمتان
ديمقراطية الاستعمار.	زائفة
قرى من قسنطينة.	المنكوبة - صغير.
الجزائريون: دماؤهم - أعراضهم - أموالهم - قوتهم الدّفاعية.	المطلولة - بريئة - طاهرة - الكافي - محترمة آمنة - مطمئنّة - العزّل - الأعزل - الضّعفاء

## 2- الوصف بالجمل النعتية:

الموصوفات	التراكيب النعتية
دماء	أريقت فيك
أعراض	انتهكت فيك
أموال	استبيحت فيك
يتامى	فقدوا العائل فيك
أيامى	فقدن بعولتهن فيك
أموال	أبقتها يد العائنين
وعد	علا نداؤه
أخبار	تؤذن بأنّ الدماء رقأت في العالم
بشائر	تدقّ بالنعصر
عشائر	تساق للنحر

## 2- الوصف بالمفعول الثاني للفعل "وجد"

المفعول الأول	المفعول الثاني	المفعول الأول	المفعول الثاني
الأب	قتيلا	الدار	مهدومة
الأمّ	مجنونة	الدار	محرقة
الغلة	متلفة	العرض	منتهاكا
المال	نهباً	المال	مقسماً
الصغار	هائمين		

## 3- الوصف بالحال:

الحال	شعاعا	أبناؤك نيّام	أهلك بطّان
نوعها	مفردة	جملة اسمية	جملة اسمية
صاحبها	النفوس	ضمير مستتر	أهله

استخدم الكاتب في هذا الحقل الدلالي تسعة وثلاثين وصفا لموصوفات متنوّعة، تضافرت كلّها لتصوير عتوّ الاحتلال الفرنسي وقسوته، وتبيان الدّرجة القصوى التي بلغها في الإجرام والدموية.

فالأوصاف: (العاتي - الطّاعي - الآثماتان - زائفة - المسلّح - القويّ) كشفت الوجه الحقيقي للاحتلال الفرنسي، و أكّدت زيف الشّعارات التي يرفعها وكذبها، مثل شعارات: الإنسانية والحضارة، و الديمقراطية التي اتّخذها سببا لاحتلال الجزائر، فجاءت هذه الأوصاف لتكشف الأسباب الحقيقية التي احتلّت بسببها فرنسا الجزائر، وهي أطماع توسّعية ودينية واقتصادية.

إنّ المتأمّل في هذه الأوصاف المفردة يدرك بوضوح مقدار الحمولة الدلالية التي تزخر بها هذه الوحدات الصّرفية، كما يتبدّى له أيضا ذلك التّفاوت في الشّحن الدلالي فيما بينها. فالعتوّ أعلى درجات الطّغيان، و الطّغيان أكبر درجات الجور، والآثماتان وصف لمن يجترح الخطايا، والقوة هي نتيجة لوفرة السلاح والمال. ويمكن تمثيل هذا التّفاوت بين أوصاف الاحتلال بنقاط سوداء متمايضة الأحجام كما يوضّح الشّكل التّالي:

المسلّح	القويّ	زائفة	الآثماتان	الطّاعي	العاتي
•	•	•	•	•	•

يتأكّد ممّا سبق أنّ الإبراهيمي حاول بذكاء كبير استغلال كلّ الإمكانيات اللّغوية لفضح جرائم فرنسا الاستعمارية، و إخراجها من ثوب الحمل الوديع الذي حاولت أن تنتسّرل به للتّغطية عن جرائمها الشّنيعة في حقّ الشّعب الجزائري.

أمّا الوصفان : المنكوبة و صغير، فقد صوّر الكاتب من خلالهما ما حصل من قتل ورعب في جزء صغير من قسنطينة؛ صوّرها وقد استفرد بها المستبدّ الطّاعي في ظلّ موت الضّمير العالمي في هذا اليوم، ثمّ انتقل ليصوّر حال

الجزائريين أمام ما بُيِّت لهم في الظلام، فقد ضُربوا بغير رحمة، في وقت لم يكونوا يتوقعون حدوث ما حدث، فوصفهم بطابع البراءة و الطَّهارة والاحترام والنَّبل والسَّلمية، وبالرَّغم من كلِّ ذلك أهدرت دماؤهم، وضربوا في مقتل، من طرف ذئاب فرنسا الجائعة المتشوّقة لإراقة الدِّماء.

استغلَّ الكاتب الوحدات الصَّرفية التَّالية: [بريئة - طاهرة - محترمة - آمنة - مطمئنة - العزل - المطلولة - الأعزل الضَّعفاء - الكافي] ليصوِّر الجزائريين بعد انتهاء الحرب وقد خرجوا في ثوب الحمل الوديع، مطالبين فرنسا بمنحهم حريتهم، ومقابلة الإحسان بالإحسان، ولكنَّهم عبثا حاولوا فقد أمطرتهم وحوش فرنسا الاستعمارية بحمما النَّارية، وأسلحتها المميّطة، فإذا هم يسقطون صرعى في ساحة الشَّرَف، مضرَّجين بدمائهم المهذرة المطلولة، دون نصير أو مغيث، في ظلِّ غياب وسائل القتال التي يدافعون بها عن أنفسهم.

و لعلَّ الكاتب لم تسعفه الوحدات المفردة للتعبير عن ما يعتصر قلبه من ألم، وما يحرق وجدانه من أحزان، وما يكَّنه من حقد على تلك الوحوش الأدمية التي تجرّدت من كلِّ معاني الإنسانية، فراح يحشد جملا فعلية وصفية أبرزت هي الأخرى فداحة الانتهاكات التي وقعت في الأماكن المستهدفة من الشَّرق الجزائري، وتتمثَّل فيما يلي:

دماء بريئة أريقت فيك / أعراض طاهرة انتهكت فيك / أموال محترمة استبيحت /  
يتامى فقدوا العائل الكافي فيك / أيامى فقدن بعولتهن فيك / صُبابة أموال أبقتها  
يد العائنين / وعد علا نداؤه / أخبار تؤدِّن بأنَّ الدِّماء رقأت في العالم.

ففي هذا اليوم الأسود أريقت الدِّماء، وانتهكت الأعراض، واستبيحت الأموال والممتلكات وضيِّعت، وتيتمَّ الأطفال وأهملوا ، وترمَّلت الأيامى وتركت، وتعالَت الأخبار معلنة عن انتهاء الحرب العالمية الثانية، وتسامع النَّاس وقتها خبر اندلاع



حرب انتقامية في الجزائر، و في هذا اليوم - أيضا - زقت فرنسا بشائر النصر، وسأقت عشائر وقبائل و عوائل من الجزائريين للنحر و الفناء.

يمكن القول أنّ هذه الخيارات اللغوية الوصفية مكنت الإبراهيمي من تجلية الحقائق، وتبصير المتلقّي بفضاعة ما حصل، ولو قمنا بعملية تقديرية للوصف و موصوفه في التراكيب الوصفية السابقة لتوصلنا إلى الآتي:

دماء	←	مراقبة
أعراض	←	منتهكة
أموال	←	مستباحة
يتامى	←	فاقدوا العائل
أيامى	←	فاقدت بعولتهن
أموال	←	باقية
وعد	←	عال نداؤه
أخبار	←	مؤذنة
بشائر	←	داقة با لنصر
عشائر	←	مساقاة للنحر

غير أنّ الإبراهيمي لم يكتف بهذه البنيات، بل استعان ببدائل لغوية أخرى، أسهمت في إشباع الدلالة، وإبراز الحقائق، وهذه الوسائل اللغوية هي عبارة عن المفعول به الثاني للفعل "وجد"، و هو كما هو معروف من أخوات ظنّ، التي تتصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، ولما كان المفعول به الثاني -في الأصل - خبرا، و الخبر - كما هو معروف- عبارة عن وصف، فقد استقدمه الكاتب ليسهم في توسيع الدلالة، وبالتالي التأثير - إيجابيا - في المتلقّي.

فوحّدات المفعول به المختارة، (قتيلا- مجنونة - مهدومة - محرقة - متلفة - منتهاكا - نهبا - مقسّما - هائمين)، صوّرت وقائع حصلت بالفعل، وقامت بتعضيد صنوتها من البنيات الوصفية السابقة، من أجل تنوير فكر المتلقين وكشف حقيقة المحتلّ له.

يبدو أنّ الكاتب وجد ضالته في تلك البنيات، فلم يلتفت إلى بنيات الحال إلا قليلا، ولو قمنا بإحصاء البنيات الحالية لوجدنا أنّ الكاتب استخدم ثلاثة منها فقط، وجاءت في معرض حديثه عن حالة الأمن التي تتعمّ بها المحتلّ الغاشم بفضل الجزائريين. وتتمثّل هذه البنيات فيما يلي: (شعاعا - أبناؤك نيّام - أهلك بطّان)، وهي عبارة عن حال مفردة وحال جملة اسمية، فالحال المفردة - شعاعا - صوّرت الحالة النفسية للمحارب الفرنسي أثناء ملاقات الأعداء، إذ أنّ روحه تكاد تبلغ حنجرته من شدّة الخوف والرّعب؛ لذلك دفع بالجزائريين للقتال عنه بالنيابة، فجعلهم يسهرون الليالي من أجل أن ينام أبناؤه، وهذا ما صوّره الكاتب باستعمال الجملة الحالية التّالية - أبناؤك نيّام - كما أنّهم كانوا يبيتون يتصوّرون من الجوع ليالي عديدة من أجل أن يشبع أبناؤه، وعكست هذه الحقيقة الجملة الحالية التّالية: - أهلك بطّان - وهذا التّنوع في توظيف الأوصاف قد تستحيل بها كلمات الكاتب سهاما تصيب قلوب المخاطبين وتؤثر فيها إيجابيا.

### حقول دلالية أخرى للألفاظ:

المفردات و الألفاظ التي نستخدمها في كلامنا قد تكون تصويرا لواقع حي معاش، فتوصم بأنّها ألفاظ موضوعية، وقد نتلفظ بها بدافع عاطفة حبّ أو كراهية أو سخط أو إعجاب، أو ما شابه هذا، فتوصم بأنّها ألفاظ عاطفية انفعالية،

وقد لا تشير إلى مقاصدها مباشرة، إنّما تستعمل الرّمز والإيحاء، فتتوسّع دلالتها وتتكثّف، و يبقى السياق هو الفيصل الذي به تتميز دلالة الألفاظ، و يستبين مقصودها، « فهو وحده الذي يوضّح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنّها تعبير موضوعي صرف، أو أنّها قصد بها -أساسا- التعبير عن العواطف والانفعالات»<sup>1</sup>.

الواضح في هذا المقال الإبراهيمي تنوّع معجمه اللّغوي، فتارة يستخدم الألفاظ الموضوعية، وأحيانا يستخدم ألفاظا عاطفية انفعالية، وتارة أخرى يستعمل ألفاظا إيحائية؛ غير أنّ الألفاظ الموضوعية كانت الأكثر حضورا فيه؛ نظرا لطبيعة الموضوع الإبلاغية التي تستدعي المباشرة والوضوح. و فيما يلي رصد لهذه الألفاظ، و إبراز لمدلولاتها.

#### حقل الألفاظ الدالة على الموضوعية:

الألفاظ	دلالاتها
الظلم - الدماء - بطش - الأقوياء - أرواح الشّهداء.	تشير هذه الوحدات الصّرفية إلى طغيان الاحتلال الفرنسي، وتجاوزه لكلّ الخطوط الحمراء، بغية العيش ولو على حساب غيره.
لا ثمر - لا نور - لا حياة - لا تصوير - لا تدوين.	الطّغيان أعمى لا يرى إلّا نفسه، ولا تهّمه حياة إنسان أو حيوان أو طير، أو نبات أو شجر، لذلك يخنق الأنفاس ويكّمم الأفواه، ويصادر الحريّات الفردية والجماعية.

<sup>1</sup> استيفان أولمان ، دور الكلمة في اللغة، ص: 58.

<p>إذا بعد الإنسان عن الخالق، فهجر شرائعه، ولم يقتف نهج أنبيائه ورسله فقد يستحيل شيطانا، بل إنّه قد يصبح ألن من الشيطان نفسه وأستاذا له، فينازع الله بأفعاله في ألوهيته وحاكميته وربوبيته، فيوغل في الكفر والمعصية والإجرام.</p>	<p>يغلو في التآله الطاغي - يتحدّى العقول و الشرائع - ينسخ حكم الله - يحادّ الله - يغتال عباده - قتل غير القاتل.</p>
<p>العقول المجبولة على الفطرة تسمو إنسانيتها، فتحترم الشرائع السماوية، أمّا الاستعمار الطاغي فيرتكس نازلا إلى صفّ البهيمية، فيسلك سلوك الحيوانات، التي يميّز حركيتها قانون الغاب.</p>	<p>تستحسن العقول قتل القاتل، وتؤيّد الشرائع ولكنّ الاستعمار العاتي يتحدّى العقول</p>
<p>إنّه السلوك الفعلي لأيّ جبان، فهو لا يستعرض قوّته على الأقوياء مثله، بل تراه يستأسد على الضّعفاء فقط: من العزّل والشيوخ و المعطوبين و الأطفال و النساء.</p>	<p>قتل الشيوخ والزّمنى والأطفال.</p>
<p>لا خير يرجى من الأيام التي يعيشها المرء تحت وطأة المستعمر، فأيامه ولياليه كلها مشؤومة، لافرق بينها إلّا في كونها مظلمة حالكة السّواد، مثقلة بالآلام والأحزان.</p>	<p>أيّامه كلّها نحسات - دهره كلّه يوم نحس - محيت الفواصل بين أيّامه و لياليه فكّلها سود حوالك.</p>
<p>لقد شمل الظلم الاستعماري كلّ شيء، وطالت يده القذرة</p>	<p>تحقيقت الحرب أقاتها</p>

<p>وأموالها، وجرّعت التّكل أمّهاتها واليتم أطفالها، وأكلت شبابها والشّباب.</p>	<p>الأخضر واليابس، فأعلن الحرب على ما يعقل وما لا يعقل، فنكّل بالأقوات والأموال والأمّهات والأطفال والشّباب.</p>
<p>قاتلوا لغير غاية. قتلوا من غير شرف</p>	<p>إنّها حقيقة مرّة عاشها الجزائريون لمّا وثقوا في المستعمر، وساندوه في حربه، فقتلهم من غير شرف.</p>
<p>بشائر تدقّ بالنّصر - عشائر من المنتصرين تساق للنّحر - مدافع للتبشير والتّدمير. الدماء رقأت في العالم كلّه، لكنها أريقت في جزء صغير من العالم</p>	<p>إنّها طبيعة كلّ ظالم، يتنكّر للجميل، و يتقلّت من الوعد، وينحر ويدمّر، ويمعن في إذلال كلّ من أسهم في انتصاره، وبذل جهده أو حياته من أجل راحة أبنائه.</p>

حقل الألفاظ العاطفية:

الألفاظ والبنىات	دلالاتها
أنهكتهم الحرب قاسمهم لأواءها.	إنها كلمات تعرب عن مشاعر مفعمة بحب هذا الشعب، من إنسان تفجرت عواطفه، واستبانة إنسانيته، فتعاطف مع أبناء وطنه.
-أين قتلى ضمخت دماؤها الغريين، من قتلى ضمخت دماؤها أديم	إنّها مقارنة لا تستقيم، لأنّ المقارنين غير متكافئين، فشتان بين دماء أريقت فروت

<p>بناءين شامخين، ودماء أخرى أهدرت فروت القشرة الأرضية، وغيرت لون البحار.</p>	<p>الأرض، وخالطت البحار.</p>
<p>إنّه تأنيب لاذع للمحتلّ على نكران الجميل، و جحود الفضل، ومقابلته الإحسان بالإساءة.</p>	<p>-لك الويل أيها الاستعمار أهذا جزاء من استتجدته واستصرخته حين أيقنت بالعدم؟ أهذا جزاء من كان يسهر وأبناؤك نيام، ويجوع أهله وأهلك بطّان؟</p>
<p>إنّه خطاب موجّه لهذا اليوم، الذي اسبيحت فيه كلّ المحرمات، وارتكبت فيه أشنع أنواع الموبقات؛ من قتل للأبرياء، واغتصاب للنساء، وتيتيم للأطفال.</p>	<p>يا يوم!..لله دماء بريئة أريقت فيك، و لله أعراض طاهرة انتهكت فيك ولله اموال محترمة استبيحت فيك. لله يتامى فقدواالعائل الكافي فيك، ولله أيامى فقدن بعولتهن فيك.</p>

### حقل الألفاظ الإيحائية:

الإيحاء وسيلة أساسية من وسائل بناء النص وخلق لغته، وتمكين الكاتب من الخلق الإبداع. والمجاز باعتباره « مظهراً للتطور الدلالي في كلّ لغة من اللغات»<sup>1</sup> هو من أبرز مصادره، وقد عرّفه القدماء: « بأنّه ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللّغة»<sup>2</sup>، وتفسير ذلك هو « أنّ الحقيقة لا تعدو أن تكون استعمالاً شائعاً مألوفاً للفظ من الألفاظ، وليس المجاز إلاّ انحرافاً عن ذلك المألوف الشائع، وشرطه أن يثير في ذهن السّامع أو القارئ دهشة

<sup>1</sup> إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984، ص: 128.

<sup>2</sup> نفسه، ص: 127.

أو غرابة أو طرافة»<sup>1</sup>. وهو الذي يضيف على اللغة جمالية في التعبير. ف«اللغة البليغة أو الفنية هي التي تتجاوز الصّحة إلى الجمال في التعبير»<sup>2</sup> إنَّ إنعام البصر في البنية النصّية، والاعتماد على التّأويل في تحليلها قد يمكّن الباحث من الكشف عن المعاني المخبوءة، والوصول إلى البعد الآخر المضمّر، لأنَّ « التّأويل في حقيقته مرتبط وثيق الارتباط بالألفاظ باعتبارها منجما للمعاني وبالمجاز، ولاسيما النّسق الاستعاري منه»<sup>3</sup>.

استثمر الإبراهيمي في هذا المقال الأنساق الاستعارية متغيّيا بذلك إظهار الدّلالة في أزياء لغوية أشدّ إيحائية و أكثر تأثيرا وجاذبية، ليلفت الأذهان إلى الدّلالات والمعاني البعيدة التي يقصدها؛ لأنَّ «المعاني المجازية هي الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الأسلوب الخبري من دلالاته الأولى الى دلالات أخرى ثانية أبعد وأعمق، تخرج العقل من قيد اللفظ إلى رحابة المعنى؛ ليصل إلى ثمرات النّصوص مهما دقّت وامتدّت وتعدّدت»<sup>4</sup>.  
و فيما يلي حصر لهذه البنيات الإيحائية.

<sup>1</sup> نفسه، ص: 129.

<sup>2</sup> محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات وللنثر والشعر، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1981، ص: 34.

<sup>3</sup> حمودة السّعفي، علاقة اللغة بالفكر الديني من خلال التّأويل ، مجلة حوليات الجامعة التونسية ، ع: 36 لسنة 1995 ، ص: 310 .

<sup>4</sup> ينظر: علي بن عبدالله الشهري، المعاني الثانية في الكريم وأثرها في التفسير، مج 33، ع: 3، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، 2016، ص: 356.

إيحاءاتها	البنيات
توحي هذه الكلمات الكنائية إلى قناعات يؤمن بها الكاتب، وهي أنّ هذا اليوم زينته دماء الشهداء، وفازت أرواح كثيرة بالشهادة في سبيل الله.	مطرز الحواشي بالدماء
تشير هذه العبارة إلى أن فضائع المحتلّ في هذا اليوم، آلمت الأرض، فاهتزّت من هولها وشناعتها.	مقشعرّ الأرض.
تصوّر احتفاء السّماء بالأرواح التي نالت الشّهادة، و أنّ ما حصل هو إسعاد للشّهداء أوّلاً، وإدانة للاحتلال الفرنسي ثانياً.	مبتهج السّماء.
تشير هذه الجملة الاستعارية إلى حزن الشّمس في هذا اليوم، فقد غيرت لباسها ، وظهرت على غير طبيعتها، كما أنّ هذا الشّهر الرّبيعي، الذي طالما انتشى بخير هذا الفصل وسعد به، ما عاد مبتهجا سعيدا، بل ظهر على غير عادته، منذرا بالشرّ، ومبشّرا بالموت والدمار.	خلعت شمسها طبيعتها خرج شهره عن طاعة الرّبيع.
دلّ هذا التّعبير الاستعاري على من سلم من الحرب التي أشرك فيها قصرا، للدّفاع عن فرنسا الاستبدادية.	بقايا النّار.
تدلّ هذه الصّورة الاستعارية إلى أنّ الاحتلال الفرنسي بسيّاساته القمعية فرض على الجزائريين أن يحيوا حياة قاسية، ميّزها الجوع والعري والخوف، ليجعل هذا الثّالوث القاتل ملازما لهم كلباسهم، لا يبارحونه و لا يبارحهم، رضوا به على قساوته بدل لباس العمالة و الخيانة.	ذاقت لباس الجوع والعري والخوف.



<p>تدل هاتان العبارتان على تغييب الاحتلال للغة الحوار واستحضاره لغة القوة والقتل في التعامل مع الجزائريين.</p>	<p>قعقة السلاح تحيته. يحدثهم بلغة الدّم ومنطق الأشلاء.</p>
<p>يشير هذا التّصوير الاستعاري إلى أنّ المظالم الاستعمارية مورست على كلّ الموجودات، ومست كلّ شيء، فقد حاق ظلم الحرب بكل أنواع الأوقات والأموال، كما ظلمت هذه الحرب الأمهات والشباب والأطفال.</p>	<p>تحيت الحرب أقاتها وأموالها، وجرعت النّكل أمهاتها واليتم أطفالها، وأكلت شبابها.</p>
<p>يفهم من هذه العبارة المجازية العاطفية والإيحائية في نفس الوقت أنّ الدّماء المراقبة كانت كثيرة جداً، لدرجة أنّ الكاتب من فرط التّأثر بالغ في الإخبار عنها بقوله: أنّها غيرت لون البحار ووجه الأرض.</p>	<p>وأين قتلى ضمخت دماؤها الغريبين، من قتلى ضمخت دماؤها أديم الأرض، وخالطت البحار؟</p>

### حقل أشكال التّرابط الدّلالي:

يتجلى في هذه الخطبة بعض الأشكال التّرابطية، من أبرزها: التّرادف و التّقارب الدّلالي.

### أولاً: حقل الألفاظ المترادفة .

يقصد بالتّرادف - حسب الإمام فخر الدّين - الألفاظ المفردة الدّالة على شيء واحد باعتبار واحد؛ أي هو التّعبير عن المعنى الواحد بأكثر من لفظ، أو هو ما اختلف لفظه واتفق معناه. غير أن علماء اللّغة اختلفوا في وجود التّرادف بين مفردات اللّغة، فمنهم من أيده ومنهم من أنكره، بدعوى أنّ ما يربط مفردات اللّغة

ببعضها هو التقارب الدلالي الجزئي وليس التطابق الكلي،<sup>1</sup> فـ « ليست هناك مرادفات حقيقية، وأن ليس هناك لكلمتين نفس المعنى تماما».<sup>2</sup>

غير أن ما يظهر في هذه الخطبة أن الترادف الكلي حاضر بقوة، وهو ما يؤكد وجهة نظر المؤيدين له، فقد وظّف الإبراهيمي في خطبته هذه مرادفات يبدو عليها التطابق الدلالي المطلق أحيانا، ووظّف أيضا مرادفات يطبعها الترادف الجزئي لكن بدرجة أقلّ من الأول، كما استعمل كذلك ألفاظا يطبعها التقارب الدلالي ؛ ليستثمر كلّ هذه الإمكانيات اللغوية في إقناع المتلقي والتأثير فيه؛ لذلك حاولت أن أستقرئ كلّ أشكال الترابط الدلالي، وذلك بالبحث في دلالاتها داخل سياقاتها التعبيرية، و فيما يلي رصد للألفاظ المترادفة وسياقاتها.

الترادف	سياقه التعبيري
الفرقة / الخلاف	نبراً إليه من كلّ داع يدعو إلى الفرقة والخلاف.
التفريق / التمزيق	نبراً إليه من كلّ ساع يسعى إلى التفريق والتمزيق.
السفاسف / الصغائر	لا تقطعوا أوقاتكم في السفاسف والصغائر.
تعب / نصب	والله لو أنّ الاستعمار أعاده إليكم عفوا من غير تعب، وفيئة منه إلى الحقّ من دون نصب، لما كان لهذا اليوم ما تشهدونه من الرّوعة والجلال.
ألفة / وحدة	أسأله ألفة تجمع الشّمل، ووحدة تبعث القوّة.
الفرح / البشر	هذه المواكب الحاشدة يغمرها الفرح ويطفح على وجوهها

<sup>1</sup> ينظر: جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1 ، تص: فؤاد علي منصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1998ص: 402-403.

<sup>2</sup> ف. بالمر، علم الدلالة تر: مجيد عبد الحليم الماشطة، الجامعة المستنصرية: مطبعة العمال المركزية، بغداد، دط ، 1985 ، ص:104.

يغمرها / يطفح	البشر
أنتج/أخرج / وُد	أنتج من المتضادات أضدادها، فأخرج القوة من الضعف وود الحرية من العبودية.
السّمات/ الشّيمات	إذا عدّت الأيام ذوات السّمات، والغرر والشّيمات في تاريخ الجزائر فسيكون هذا اليوم أوضحها سمة..
غريبا / عجيبا	قد يبغي الوحش على الوحش فلا يكون غريبا، وقد يبغي الإنسان على الإنسان فلا يكون ذلك عجيبا .
العجيب/ الغريب	ولكنّ العجيب الغريب أن يبغي دين عيسعلى دين محمّد.
العائل/ الكافل	فقدوا العائل والكافل.
العطف/ الحنان	امسحوا على أحزانهم بيد العطف والحنان.
بقايا الموت/ آثارالفناء	أستمدّ من الله اللّطف والإعانة لبقايا الموت وآثار الفناء.

### التّرادف المطلق:

يتجلّى التّرادف المطلق في الألفاظ الآتية:

\* (الفرقة و الخلاف) و (التّفريق والتّمزيق): دلّ هذا التّرادف داخل سياقه على تبرؤ الإبراهيمي أمام الله من كلّ السّاعين إلى تمزيق الرّوابط الاجتماعية، بزرع بذور الخلاف وإحياء النّعرات والعصبية القبلية وغيرها، وهكذا التقت هذه الألفاظ في دلالة واحدة هي: التّشتيت والتّقطيع.

\* (السّفاسف و الصّغائر) : دلّ اللفظان داخل سياقهما على وجوب التّرفّع عن الدّنايا وعدم تضييع الوقت فيها، كم أبان استنكار الإبراهيمي سلوك كلّ من يستنفذ وقته في التّوافه والأمر التي قيمة لها، سواء كانت أفعالا أم أقوالا.

- \* **(تعَب و نصب):** ذُكر هذا التّرادف أثناء حديث الإبراهيمي عن الاستقلال وكيف انتزع من الاحتلال انتزاعاً، وأنّه كان محصّلة جهد ونصب وإعياء وتعَب كبير، وليس منّة من أحد؛ لذلك استشعر الجزائريون روعته وعظّمته وجلاله.
- \* **(ألفَة و وحدة):** دلّ هذا التّرادف داخل سياقه على توجّه الكاتب إلى الله بالدّعاء طالبا منه توفيق الجزائريين إلى لمّ الشّمل وتحقيق الوحدة الدّينية والوطنية؛ لرأب الصدّع الذي تركه الاحتلال بسياساته الماكرة، مثل سياسة: فرق تسد.
- \* **(الفرح والبشر) (يغمرها و يطفح):** يستبين من هذا التّرادف مدى سعادة الجزائريين باستقلالهم، فقد غطّى السرور والابتهاج وجوههم وأنسأهم الآمهم.
- \* **(أنتج وأخرج وولد):** أفادت هذه الدّوال اللّغوية داخل بنياتها اللّغوية دلالة واحدة هي: قدرة الله على خلق النّقيض من نقيضه لا من شبيهه، فاستحال بقدرته ضعف الجزائريين إلى قوّة، والاستعباد إلى تحرّر.
- \* **(السّمات و الشّيمات):** عبارة عن لفظين لمدلول واحد هو العلامة أو الخلّة، فتاريخ الجزائر مملوء بالأحداث العظيمة التي يميّزها النّصر والعزّة، غير أنّ يوم الاستقلال هو أفضلها خلافاً وأنصعها وسماً وشيماً.
- \* **(غريباً و عجيباً) و(العجيب والغريب):** دلّت هذه الألفاظ المترادفة على عدم استغراب الكاتب من قانون الغاب السائد بين الحيوانات والطّيور، واستغرابه بالمقابل من استبداد الإنسان بالإنسان، وخاصّة استبداد أتباع الدّيانة المسيحية بأتباع دين محمد - صلّى الله عليه وسلّم -.
- \* **(العائل والكافل):** لفظان يدلّان على مدلول واحد هو المسؤول عن كلّ عائلة جزائرية، الذي افتقده ذووه، وغاب عنهم بفعل التّصفية الجسدية أو السّجن أو النّفي، فاصبحوا في أمسّ الحاجة إلى من يكفلهم ويعولهم.

\* ( العطف والحنان): لفظان يدلّان على الرّحمة والشفقة والإحسان والحنو على ضحايا الحرب، ممّن فقدوا ولي نعمتهم فعانى الأطفال من اليتيم، وعانت النساء من التّرمل.

\* ( بقايا الموت وآثار الفناء): دلّ هذا التّرادف على معنى واحد هو من لم يتخطفهم الموت، الذين كتب لهم أن يعيشوا فترة الاستقلال وينعموا بها.

التّرادف الجزئي: مثّله الألفاظ القليلة التّالية:

\* (الغضب و السّخط):

سياقها التّعبري:

(سجانه تعالى جدّه، تجلّى على بعض عباده بالغضب والسّخط).

يدلّ اللفظان على كراهية الشّيء وعدم الرّضا به، غير أنّ كلمة السّخط - في تقديري- أدقّ دلالة وأبلغ تعبيرا عن درجة النّقمة الإلهية التي تسبب فيها بعض النّاس لأنفسهم، بسبب سوء أفعالهم وما اجترحته أيديهم وكسبت قلوبهم.

\* (البناء التّشبيدي): سياقها التّعبري:

(انصرفوا بجميع قواكم إلى الإصلاح والتّجديد، والبناء والتّشبيدي)

دلّ لفظ البناء على إعلاء البنيان ورفعته ، بينما يدلّ لفظ التّشبيدي على إحكام صناعة البناء وإتقانه.

\* (التّكاليف و التّبعات): سياقها التّعبري:

(إنّ حكومتكم الفتية منكم، تلقّت تركة منقّلة بالتّكاليف والتّبعات في وقت ضيق.)  
يدلّ هذا التّرادف وفق سياقه الوارد فيه على المسؤوليات الجسيمة والأعباء النّقيلة التي تحمّلتها الحكومة الجزائرية في وقت ضيق، غير أنّ لفظ التّبعات يتّسم بحموله دلالية زائدة، فعلاوة على دلّالته على الأعباء والمسؤوليات الواجب القيام

بها، فهو يدلّ - أيضا - على ما يلحقها أو ينجرّ عنها من أعمال، يلزم أداؤها على الوجه الأكمل.

وهكذا إذن تضافرت الألفاظ المترادفة كلياً أو المترادفة جزئياً لتؤكد على أهمية المعاني التي طرقها الإبراهيمي ابتغاء ترسيخها في النفوس.

### حقل الألفاظ المتقاربة دلاليا:

لم يكتف الإبراهيمي بأشكال الترادف التي استخدمها بغية إيصال رسالته للمخاطبين، بل راح يحشد ألفاظاً أخرى داعمة لما قبلها لاتّسامها ببعض التقارب الدلالي، وتتمثّل فيما يلي:

تعالّت / تمّت	مغانم / وديعة	الزّاكية / الصّيبة / الطّيبة
أسماءه/كلماته	أخذها / استلابا	اللّطف / الإعانة / رحمة
رحمته / رضاه	تجسيم / تعبير	تعاوننا / إخلاصا / توفيقا
سنّته / آياته.	العجائب /خوارق	التّعذيب/ التّخريب/ التّحيف.
أنصاره / أحزابه.	عرقا / طبعاً.	تعاليم / روحانية / أمجاد.
رحمات/ صلوات.	تشوّهوا / نقضوا	تجمع / تبعث / تضمّد.
الفتنة /الفساد.	يركبكم/ يستزكّم	نبهت / سجّلت / بذرت.
الأزهر/ الأنور.	صدق/نصر/أعزّ	العمار/ الثّمار/ الغيث.
الأغرّ / المحجّل / المشهود.		الغرّة اللّائحة/ التّاج المتألّق/الصّحيفة المذهّبة
صدق / إخلاص/ صفاء / طهارة.		يقينهم - نيّاتهم - سرائرهم - ضمائرهم.
الصلّوات/ الجمع/ التّلاوة / دروس.		شرف الحياة/عزّة الإسلام/ كرامة الإنسان حقوق الوطن.
يهوّن/ يثمر / ينير / يقوّم/ يثبّت.		أعينوها/ انصحوها/ الإصلاح/ التّجديد.

يلاحظ على الألفاظ المتقاربة دلاليا أنها طرقت موضوعات عدّة، وإذا ما أعدنا توزيعها بحسب القضايا التي عالجتها، فسوف ننتبين أنها توزعت على ستة تيمات هي:

\* ألفاظ دالة على قضايا دينية: تعالت - تمت - أسماؤه - كلماته - رحمته - رضاه - سنته - آياته - رحمات - صلوات - الصلوات - الجمع - التلاوة - دروس - تعاليم - توفيقا - روحانية - اللطف - رحمة - صدق - نصر - أعزّ - الزاكية - الصيبة - الطيبة.

\* ألفاظ دالة على سلوكات سلبية:

الفتنة - الفساد - تشوّها - تقضوا - يركبكم - يستزلّكم - التعذيب - التخريب - التحيّف - أخذها - استلابا.

\* ألفاظ دالة على سلوكات إيجابية:

الإعانة - تعاوننا - إخلاصا - تجمع - تبعث - تضمّد - نبهت - سجّلت - بذرت - صدق - صفاء - طهارة - يهوّن - يثمر - ينير - يقوم - يثبّت - أعينوها - انصحوها - الإصلاح - التّجديد.

\* ألفاظ دالة على روعة يوم الاستقلال ومكاسبه:

الأزهر - الأنور - مغانم - وديعة - أمجاد - العجائب - خوارق - الأغرّ - المحجّل - المشهود - الغرّة اللائحة - التّاج المتألّق - الصّحيفة المذهّبة - العمار - الثّمار - الغيث - تجسيم - تعبير.

\* ألفاظ دالة على الأهداف العليا للمجتمع الصّالح:

شرف الحياة - عزة الإسلام - كرامة الإنسان - حقوق الوطن - أنصاره - أحزابه.

**\*ألفاظ دالة على أمور باطنية:**

يقينهم - نيّاتهم - سرّائهم - ضمائرهم - عرقا - طبعاً.

سارت هذه الألفاظ المتقاربة الدلالة على سمت سابقتها، مستهدفة التأثير في المتلقّي واستمالته، بمعالجتها لموضوعات متّصلة بعقيدة النّاس وحياتهم وواقعهم.

**حقل المشتقات البارزة:**

نظرا لأهمية موضوع الاشتقاق في اللّغة العربية فقد تناولته الدّراسات اللّغوية بكلّ أنواعه بالشرح والتّفصيل، واستأثرت الأبنية الصّرفية والمشتقات باهتمام الدّارسين منذ انطلاقتها، لكنّها بقيت أبحاثا متناثرة في طيّات المؤلّفات اللّغوية، وهي في نظر علماء الصّرف عشرة أنواع هي: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصّفة المشبّهة، ومبالغة اسم الفاعل، واسم التّفضيل، واسم الزّمان، واسم المكان، والمصدر الميمي، ومصدر الفعل فوق الثّلاثي المجرّد، واسم الآلة.<sup>1</sup>

استخدم البشير الإبراهيمي في مقاله هذا بعض الأسماء المشتقة بكثرة، مشكّلا بواسطتها ظاهرة أسلوبية بارزة ومثيرة، وتتمثّل هذه المشتقات في اسم الفاعل، واسم المفعول، والصّفة المشبّهة.

**أوّلا: أسماء الفاعل:**

يعتبر اسم الفاعل من المشتقات التي فرضت حضورا لافتا في هذا المقال، وبلغ العدد المستعمل منه اثنين وثلاثين اسما، منها ما أخذ من الفعل المجرّد ومنها ما أخذ من الفعل المزيد.

و فيما يلي إحصاء لصيغ أسماء الفاعل المشتقة من الفعل المجرّد:

<sup>1</sup> مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ج2، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط28، 1993، ص:5-6.



اسم الفاعل	العائل	العاتي	طائر	حائن	آثمتان	حوالك	آمنة
فعله	عال	عتا	طار	حان	أثم	حلك	أمن
اسم الفاعل	العائنين	هائمين	الخافقين	نيّام	بطان	خالق	القاتل
فعله	عاث	هام	خفق	نام	بطن	خلق	قتل
اسم الفاعل	واسع	الطاغي	البادئ	الكافي	زائفة	طاهرة	
فعله	وسع	طغى	بدأ	كفى	زاف	طهر	

الملاحظ على هذه المشتقات أنّ حوالي نصفها جاء من باب (فعل - يفعل) ، و هي: العائل - العاتي - حوالك - الخافقين - بطان - خالق - القاتل - طاهرة- نيّام ، والسبب في ذلك أنّ العربية تميل إلى مقابلة حركة عين الماضي بحركة قريبة منها في المضارع، لذا نجد (فعل) في الماضي يقابله في أغلب الأحيان (يفعل) في المضارع، لأنّ مخرج الضمة أقرب إلى مخرج الفتحة من مخرج الكسرة، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية أنّ هذا الباب يدلّ على القيام بالفعل بصورة متكرّرة، وأنّ العمل غالبا ما يكون صادرا عن إرادة حرّة، والسّر في ذلك- في تقديري - تحقيق مسؤولية الإنسان عن أعماله. فالأفعال : الإعالة والعتوّ والحلّة و البطنة والخفقان والخلق والقتل والطّهارة، أفعال صادرة عن إرادة حرّة مسؤولة، هي الإرادة الاستعمارية، فالاحتلال الفرنسي مسؤول عن جرائمه وشناعة أفعاله وحده، لكونها أفعال حدثت بإرادته و اختياره.

يُلاحظ من خلال أسماء الفاعلين السابقة تداولها على الدّاليتين الأساسيتين لاسم الفاعل، وهما:

دلالة الحدوث والثبوت، فالألفاظ: (العائل- الكافي- العاتي- حوالك- القاتل- الطاغي - خالق - واسع - البادئ - الآثمتان، عائنين، طاهرة) مشتقات دالة

على الثبوت والدوام؛ فإعالة الولي لأسرته بما يحقق كفايتها أمر ثابت ومستمر، حتى ولو عاكسته الظروف وصعبت من مهمته، ودلت الألفاظ (العاني - حوالك - القائل - الطاغي) على أن أيام الاحتلال مظلمة على الدوام، ولا خير يرجى منها، فالقتل والطغيان دينه، وهما أساس حياته وبقائه، وأفادت كلمة - البادئ - على أن سبق الاحتلال للشر والظلم شيمة ثابتة في كل طاغية ومستبد، أما اللفظ: (خالق) فقد دلّ على أن صفة الخلق أو مهمته صفة ثابتة في الذات الإلهية، ولا يمكن أن ينازعه فيها أحد مهما بلغت قوته وجبروته، ودلت كلمة - واسع - على ديمومة اتساع الهوة، وشساعة المجال بين أيام الخير وأيام البؤس، فهما ضدان لا يلتقيان أبداً، ودلّ المشتق: (زانقة) على زيف ديمقراطية المستبد وكذبها، وهي صفة ثابتة ودائمة فيه، و يمكن إلحاقها بكلّ الشعارات الخداعة التي يرفعها، فلا خير يرجى من المستبد حتى ولو تسربل بزّي الملاك الطاهر. فهي وصف ثابت ومتجدّر فيه على الدوام.

ودلّ اسم الفاعل (الآثمتان) على خلة راسخة في المحتلّ وحروبه الظالمة التي يشنّها على المستضعفين في كلّ مكان، كتلك الحرب التي أشعلها في القطاع القسنطيني. فالإثم هو العقاب الطبيعي الثابت الذي يلقاه الاستبداد من جرّاء ظلمه وجوره.

أما المشتقّ (عائنين) فدلّ على ثبات صفة الفساد في ضعاف النفوس وعديمي الإنسانية وميتي الضمائر، ودلّ اسم الفاعل (وارثين)، على ثبات حقّ الإرث وديمومته لأصحاب الحقوق، لا غيرهم، غير أن المفسدين استغلوا غياب العدالة فسلبوا أصحاب الحقوق حقوقهم.

أما المشتقات التالية (طاهرة- آمنة - طائر - حائن - هائمين - خافقين - نيّام - بطّان-) فقد دلّت على الحدوث والتّغير، فاللفظان (طاهرة وآمنة) يدلّان على صفة اتّصف بها الجزائريون، غير أنّ المحتلّ الغاصب دنّسها ولطّخها

وأزهبها، مستغلا في ذلك جبروته وقوته. و أفادت كلمة (طائر) أن قصة الطيران أمر غير دائم، وأن كل طائر لابد أن يعود إلى حالته الطبيعية الأولى، فيضع قدميه على الأرض.

أما كلمة (حائن) فدلت على حالة متغيرة، لكونها لا تحدث إلا في حال النحس والبؤس، أما في الأحوال الطبيعية فالأمر مختلف تماما عن ذلك، إذ لا يمكن أن يرمي الإنسان بنفسه في الجحيم إلا إذا دُفع إلى ذلك دفعا بفعل أسباب قاهرة، لا يقوى على مقاومتها.

ودلت الكلمتان (هائمين - خافقين) على أن صفة الهيّام والخفقان أمر طارئ، قد ينتهي بانتفاء أسبابه، لذلك يمكن القول أنهما دالان على حالة متغيرة. كما دلت - أيضا - الكلمتان (نيّام - بطّان) على أن نعمة النوم والشبّع قد تختفي، إذا تخلف أصحابها عنها لسبب من الأسباب.

أما المشتقات (وارثين-آثم - آمنة)، فجاءت من باب (فَعِل - يَفْعَل ) الذي يدل - غالبا - على حالة مؤقتة ، فالإرث مرهون بموت الكافل فقط ، والإثم مشروط بالفعل الخاطيء، والأمن مرهون بالحرية والاستقلال سواء تعلّق بالأرض أو بالفكر. فكلها أحوال مؤقتة، لا تلبث أن تزول، والظاهر على هذا البناء الصّرفي أنّه أكسب المقال الإبراهيمي شحنات دلالية رائعة أسهمت وبشكل كبير في إبراز دلالة النص و إغنائها، وإظهار مقصدية الكاتب.

أما أسماء الفاعلين المشتقة من الفعل المزيد فقد بلغ تعدادها أحد عشر اسماً، متوزعة على ستة أوزان، و في الجدول التالي توضيح لها:

الوزن	مُفَعِّل	مُفْتَعِّل	مُفَعِّل	مُفَعِّل	مُسْتَفْعِل	مُفَاعِل
اسم الفاعل	مُظْلِم - مُنْذِر - مُزْمِع - مُنْزِل .	مُتْبَهِّج - المُنْتَصِرِينَ	مُقَشَعِرٌّ / مُطْمِئِنَّة .	مُودِّع	مُسْتَمِرٌّ	مُساوٍ
فعله	أظلم - أنذر - أزعم - أنزل .	ابتهج / انتصر	اقشعر / اطمأن	ودَّع	استمرَّ	ساوى

### أولاً: مُفَعِّل:

صيغ هذا البناء الصّرفي من - أفعل - الذي «يدلّ على التّعدية غالباً»<sup>1</sup> وقد استعمله الإبراهيمي في مقاله أربع مرّات، والبنيات التركيبية التي تضمّنته هي:

\* يوم مظلم الجوانب بالظلم . \* ذلك مزعم أن يقيم إلى غير ميعاد.

\* يتحدّى خالق العقول، ومنزل الشرائع.

\* أين النّعمان بن المنذر ويوماه من الاستعمار وأيامه؟

تدلّ ألفاظ هذا البناء الصّرفي حسب السياقات التي وردت فيها على الفاعلية والنّبوت والاستمرارية، فالمشتق (مظلم) يشير إلى تحقّق مظالم الاحتلال - في أشنع صورها - على أرض الواقع في يوم الثّامن من مايو على الخصوص، واستمراريتها بعد ذلك. هذا اليوم الذي عاد على غير عادته، فقد صيرته المظالم الاستعمارية ظلاماً حالكا، لم يسبق للجزائريين مشاهدته قبل ذلك.

أمّا المشتقّ (مزعم) فدلّ على العقيدة التي يؤمن بها المستبدون على مرّ التاريخ، وهي الحياة على حساب الضّعفاء والجنّوم على رؤوسهم أطول أمد ممكن،

<sup>1</sup> رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، شر: عبدالقادر البغدادي، تح/ و ض: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبدالحاميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1982 ص: 83.

مستغلين ضعف الشعوب وسكوتها وسلبيتها، ومستثمرين كل أشكال الخداع التي يتقنون استعمالها بغرض تنويمها، والتي تمكنهم من استيلاء الحريّات وسرقة المقدرات والخيرات حاضرا ومستقبلا.

أما المشتقّ (مُنزِل) فقد دلّ على أنّ التشريع العادل فعل ثابت للذات الإلهية، ولا يحقّ لأيّ مخلوق - مهما كانت قوّته وسطوته - أن يبدّل شريعة الله، التي تكفل المصالح العامّة والخاصّة.

و يتبيّن من المشتقّ الرابع (منذر) استحضر الكاتب للتّاريخ القديم، ممثّلا في حكاية النّعمان بن المنذر ويوميه المتناقضين ، إذ أنّه في يوم شؤمه يلبس لباس الجبّار القاتل، وفي يوم نعماه يتسرّب بثوب الملاك الطّاهر، ويقارن ذلك بأيّام الاحتلال، مبرزاً سوادها وشؤمها كلّها. فكلّمة منذر مأخوذة من الفعل - أنذر - الدّال على التّعديّة - أصلا - وهذه المقارنة تدلّ على أنّ أيام الاستبداد كلّها أيّام بؤس وشؤم، فشأن بين النّعمان ويوميه المتعاكسين وبين الاحتلال الذي لاخير في أيّامه ولياليه قاطبة.

### ثانياً مُفْتَعَل :

يصاغ هذا البناء الصّرفي - عادة - للدّلالة على المشاركة والمطاوعة، ويأتي للاّتخاذ والتّفاعل والتّصرّف (الاجتهاد). وتتحدّد دلالاته بحسب السّياق الذي يتضمّنه. وقد قيل في مصدره - افتعل - المأخوذ منه: « وافتعل للمطاوعة غالبا نحو غمّمته فاغتمّ، وللاتّخاذ نحو اشتوى، وللتّفاعل نحو اجتوروا، وللتّصرّف نحو اكتسب »<sup>1</sup> وقد تمّ استخدام هذا البناء الصّرفي مرّتين، و التّعابير التي حوته هي :

<sup>1</sup> رضي الدين محمد بن الحسن الاسترلابادي، شرح شافية ابن الحاجب ، ص:108.

\* يوم **مبتهج** السماء بأرواح الشهداء. \* عشائر من **المنتصرين** تساق للنحر. عبر الإبراهيمي باللفظ الأول - **مبتهج** - عن ابتهاج السماء لاستقبالها العديد من الشهداء الذين زفت أرواحهم إلى الله. هؤلاء الشهداء الذين استجابوا لداعي الجهاد، وآثروا الشهادة ، ليشاركوا مع بعضهم في موقف واحد وشعار موحد هو: **إمّا الحرية أو الاستشهاد في سبيل الله، ودلّ هذا المشتقّ كذلك على الثبوت والديمومة؛ أي أنّ الله يفرح بالشهداء ويعلي من شأنهم ويرفع منازلهم، وهو وعد من الله ثابت ودائم.**

وعبر باللفظ الثاني: - **المنتصرين** - عن تحقق النصر للمجاهدين الجزائريين وانتزاعهم له، بعد أن أشركوا في حرب جرت بين فرنسا وأعدائها وتفاعلوا معها إيجابيا، وهو حدث غير المعادلة و مكنّ فرنسا من إلحاق الهزيمة بعدوّها، لكنّها علقتهم على المشانق بدل أن تمنحهم حرّيتهم. فدلالة المشاركة والحدوث والتجدد في هذا المشتقّ أمر بارز بوضوح.

### ثالثا: مُفَعَّل:

**يفيد** هذا البناء الصرفي معنى المبالغة وقد استعمله الإبراهيمي مرتين، والتعابير التي حوته هي :

يطير طائر النّحس منها فلا يقع إلا على أمم آمنة **مطمئنة**.

يوم **مقشعر** الأرض من بطش الأقوياء.

استبان من اللفظ الأول : (مطمئنة) أنّ النّوازل والمصائب إذا ما نزلت بالآمنين المسالمين يكون وقعها أشدّ، وتأثيرها كبير على المصابين بها؛ لأنّهم لم يحسبوا

لها حساباً، ولم يستعدّوا لها بما يلزم، وربما يكونون قد أوغلوا في الأمان والاطمئنان وأفرطوا في الثقة بالعدوّ، حتّى ضربوا في مقتل.

يتّضح من المشتقّ الثّاني: (مقشعر) أنّ الإبراهيمي من فرط تأثره بالمشاهد الدّموية المزلزلة التي حدثت في هذا اليوم بالغ في وصفه، فذكر بأنّه حتّى الأرض الجامدة التي لا إحساس لها، اهتزت وارتجفت و فزعت من هول ما حدث فوقها من مجازر في هذا اليوم، وانطلاقاً من هذا يمكن القول أنّ اختيار الإبراهيمي لهذين المشتقّين كان اختياراً هادفاً؛ لكونه بالغ التأثير في نفوس المتلقّين، وهو ما كان يستهدفه الكاتب ابتداءً.

#### رابعاً: مُفَعَّل:

يدلّ هذا البناء الصّرفي على ثمانية معاني من أبرزها :

\*النّقل: أي تصيرّ الفاعل مفعولاً به، مثل: فرح وفرّحته.

\*التّكثير: كقولك: فتّحت وكسّرت وحرّكته.

\*الإزالة: كقولك قذّيت عينه، أي: أزلت عنها القذى.<sup>1</sup>

استخدم هذا البناء الصّرفي مرّة واحدة، وتضمّنته البنية التركيبيّة التّالية: (هذا مودّع إلى ميعاد). ودلّ المشتقّ - مودّع - على الإزالة والتّعدية و التّكثير؛ أي أنّ الاحتلال أزال في هذا اليوم المشؤوم الكثيرين من الحياة بالقوّة الغاشمة، كما أوحى -أيضاً- إلى الكثرة؛ لأنّ المستبدّ الغاشم أوغل في القتل والتّعذيب والإذلال، وتجاوز الحدود، وداس على كلّ القيم والأعراف الدّولية.

#### خامساً: مُفَاعِل:

<sup>1</sup> ينظر: ابن عصفور الإشبيلي، نفس المرجع، ص188-189.

هذا البناء الصّرفي مأخوذ من - فاعل- التي تدلّ - في الغالب - على المشاركة بين اثنين. و هذا ما أشار إليه كاتب الشّافية بقوله: « و"فاعل" لنسبة أصله إلى أحد الأمرين متعلّقا بالآخر للمشاركة».<sup>1</sup> وقد استخدم الإبراهيمي هذا البناء مرّة واحدة فقط، والتركييب الذي تضمّنه هو قوله: (ولعلّ فرحه بانتصارك مساو لفرحه بالسلامة.) فامشتقّ - مساو - داخل سياقه اللّغوي يدلّ على أنّ النّصر والنّجاة من الموت في الحرب كانا كلاهما سببا في إسعاد الجزائريين المشاركين فيها، كما أسعد الفرنسيين أيضا. فدلالة المشاركة إذن متعلّقة بتدخّل عاملي النّصر والسلامة في زرع الفرحة في النفوس، و يتساوى في ذلك الجزائريون والفرنسيون.

#### سادسا: مُستفعل:

هذا البناء الصّرفي مصاغ من مادّة - استفعل - التي تدلّ على المطاوعة والسّؤال والطلب والمبالغة في الشّيء، والكثرة فيه والإلحاح عليه<sup>2</sup> ، وقد ورد هذا البناء مرّة واحدة فقط، وتضمّنه التركييب الآتي:- (دهره كلّه يوم نحس مستمرّ)، والواضح على المشتقّ - مستمرّ - دلالاته على المبالغة والكثرة؛ لأنّ الاحتلال تجاوز الحدّ في إذلال ومصادرة الحقوق وسلب الحريّات العامّة والخاصّة. ويبدو من خلال السّياق أنّ البنية - مستفعل - بالرّغم من كونها اسم فاعل إلاّ أنّها - هنا - تدلّ على الثّبوت، أي أنّ الاحتلال شرّ ونحس، وأنّ هذه الصّفة متأصّلة فيه وثابتة عليه.

<sup>1</sup> عبدالقادر البغدادي، شرح شافية ابن الحاجب:ص: 96.

<sup>2</sup> ينظر: عبدا لقادر البغدادي، نفس المرجع ص: 110-111.



يستنتج من التحاليل السابقة أنّ اسم الفاعل هو مبنى صرفي ودلالته الأساسية هي وصف الفاعل بالحدث، وقد تتلَوّن دلالاته وتتعدّد، فلا تستبين و لا تتحدّد إلاّ بالسّياق الذي وردت فيه ، فقد يدلّ - في نظر الأكثرية- على التّجدّد والحدوث، و هي ميزة تميّزه عن الصّفة المشبّهة التي تدلّ على الثّبوت، و قد يدلّ على الثّبوت ممّا يجعله متميّزا عن الفعل المضارع الذي يدلّ على التّجدّد والحدوث، غير أنّ هذا الثّبوت فيه طارئ والحدوث أصلي.

ما يلاحظ على أسماء الفاعلين المستخدمة دلالة معظمها على الثّبوت، الذي يحولها إلى صفات، وكأني بالبشير الإبراهيمي يتقصّد وصف الأحداث لا سردها، فما حدث في هذا اليوم المشؤوم علمه القاصي والدّاني، لكن طريقة حدوث هذه الأحداث وكيفيةها هو ما يحتاج إلى توصيف وتجليّة، وهذا سعى الكاتب وراءه في هذا المقال.

**ثانياً: اسم المفعول:** هو ما دلّ على حدث ومفعوله، وقد استخدمه الإبراهيمي أربع عشرة مرّة، فاستدعى خمسة منه من الفعل الثلاثي المجرّد، والعشرة المتبقية من الفعل المزيد، لأنّ في الزيادة إثراء للدّلالة وإشباع للمعاني، وتوزّعت أسماء المفعول على خمسة أبنية صرفية هي:

1- **مفعول:** (مطلولة - محدود - مهدومة - منكوبة - مجنونة).

2- **مفتعل:** (منتهاكا - محترمة - المشترك).

3- **مفعّل:** (مطرّز - مقسّما - المسلّح).

4- **مفعل:** (محرّقة - مُتلفة).

5- **مفاعّل:** (مقاطعة).

**دلالات أبنية اسم المفعول:**

### 1- البناء الصرفي (مفعول)

تضمّنته السياقات اللغوية الآتية:

1) يوم .. مطرّز الحواشي بالدماء المطلولة.

2) فإذا طار طائر النّحس.. وقع .. على محدود لم يلتق مع السّعد في طريق.

3) فيجد .. الأمّ مجنونة .. والدّار مهدومة.

4) تلك القرى المنكوبة من مقاطعة قسنطينة.

اشتملت سياقات هذا البناء الصرفي على خمسة مشتقات بزنة مفعول، هي: مطلولة - محدود- مجنونة- مهدومة-منكوبة، وهي من أبنية اسم المفعول، وأخذت من الأفعال المجردة المبنية للمجهول التالية: طَلَّت - حُدَّ - جُنَّت - هُدِمَتْ - نُكِبَتْ.

**مطلولة:** دلّ هذا المشتقّ على أنّ الثامن من مايو 1945 أهدرت فيه الدماء هدرا، وأنّه صُبغ على غير عادته باللون الأحمر القاني، دماء الأبرياء والعزل والمستضعفين، فالمستبدّ سفاك دماء، لا يتورّع عن القتل والإبادة أبدا، فهي خصلة ثابتة فيه على الدوام.

**محدود:** عبّر الإبراهيمي بهذا المشتقّ على أنّ الغزو الفرنسي للجزائر واحتلالها، كان أبشع احتلال عرفته الأرض آنذاك، و من سوء حظّ الجزائر أن ابتليت بعدوّ أراد أن يمسح شعبها من الوجود، باستهدافه أرضها و دينها و لغتها و تاريخها، و كآني بالجزائر سيئة الحظّ على الدوام.

**مجنونة:** صوّر هذا المشتق حالة الأمّ الجزائرية المكلومة، وقد فقدت عقلها وصوابها بسبب حزنها على ولدها، الذي خُطف من بين يديها خطفا، ليُدفع به في جحيم حرب لا تعنيه.

**مهدومة - المنكوبة:** صوّر الإبراهيمي بهذين اللَّفظين درجة الحقد والكراهية التي أضمرها الاحتلال الفرنسي للشّعب الجزائري، حقد دفين جعله ينتقم من الأخضر واليابس وأن يقتل كلّ معالم الحياة في هذا البلد، فهدم وخرّب ، وقضى على كلّ شيء يشير إلى الحياة.

## 2- البناء الصّرفي (مُفتَعَل)

تضمّنته السّياقات اللّغوية الآتية:

- يجد العرض **منتها**.

- يا يوم!.. لله .. أموال **محترمة** استبيحت فيك.

- وعطفه على عدوّ الأمس **المشترك** عطا بالفاء لا بثمّ.

حوت سّياقات هذا البناء الصّرفي ثلاثة مشتقّات هي: **منتها** - **محترمة** -

**مشترك**، جاءت على وزن واحد هو: (**مُفتَعَل**)، وهو من أبنية اسم المفعول أيضا، وأخذت من الأفعال المزيدة المبنية للمجهول التالية: **يُنْتَهَكُ** - **يُحْتَرَمُ** - **يُسْتَرَكُ**.

أفاد المشتقّ الأول (**مُنْتَهَك**) أنّ الاحتلال العاشم لوّث بتصرّفاتهِ الشّيطانية كلّ شيء، وخرق كلّ الحدود، فاعتدى على الأعراض، بغرض كسر نفوس الجزائريين المقاومين. وهي خلة ثابتة ودائمة، لصيقة بكلّ مستبدّ.

أمّا المشتقّ الثّاني (**مُحْتَرَمَة**) فعبرت في سّياقها عن ما أصاب أموال الجزائر وممتلكاتها من سلب و نهب واستنزاف من قبل الاحتلال العاشم، الذي رفس

بأقدامه كلّ القيمّ و الأخلاق؛ لأنّها تعوق تسلّطه وسيطرته، و توقف طموحه، و هي طبيعة متجذّرة فيه لا يمكنه الفكّك منها، لتعارضها مع نواياه.

ودلّ المشتقّ الثالث (مُشْتَرَك) على أنّ المستبدّ الفرنسي عامل الجزائريين - فيما بعد - معاملة العدوّ الذي حاربه، رغم استقوائه بهم أثناء هذه المواجهة، وساوى بينهما في الجرم بعد أن حقّق أهدافه بفضلهم، و هنا تتجلّى لنا بعض القيمّ اللّاه أخلاقية التي باتت شيما ثابتة في الاحتلال و من مشى في ركابه، مثل: الاستغلال والكذب على الشّعوب، وسياسات التفرقة و التّجويع و شراء الضمائر و غيرها..

### 3- البناء الصّرفي (مُفَعَّل)

تضمّنته السيّاقات اللّغوية الآتية:

- يوم .. مطرّز الحواشي بالدّماء.

- يجد المال نهبا مقسّما.

- من يكون البادئ يا ترى؟ الضعيف الأعزل أم القويّ المسلّح؟

اشتملت سيّاقات هذا البناء الصّرفي على ثلاثة مشتقّات أيضا، هي: (مُطَرَّر - مُقَسَّم - مُسَلِّح)، جاءت على وزن واحد هو: (مُفَعَّل)، و هو من ضمن أبنية اسم المفعول أيضا، واشتقّت من الأفعال المزيدة المبنية للمجهول التّالية: (يُطَرَّر - يُقَسَّم - يُسَلِّح).

عبّر الكاتب بالمشتقّ - مُطَرَّر - عن اللّباس المؤذي الذي حاكه المستعمر الفرنسي في جنح الظّلام للجزائريين، إنّه لباس موشى بالدّماء القانية، ألّبسه لهم بقوة الحديد والنّار، و لم يشفع لهم دفاعهم عن فرنسا ومحاربتهم لعدوّها، لقد عوقبوا

بدل أن يكافأوا وضربوا على حين غرة ، حيث لم يكونوا يتوقعون حصول ما حصل. إنّ الغدر والخيانة والنذالة هي أخلاق الاحتلال المفضّلة والرّاسخة فيه إلى يوم الدين.

كما صور المشتقّ (مُقسّم) ما حدث لكثير من المحاربين الجزائريين الذين جنّدوا بالقوّة للدّفاع عن فرنسا الإمبريالية، حيث فوجئوا بضياح أموالهم وتبديد ممتلكاتهم من قبل مستبدّ غادر، لا عهد له ولا نمة.

ودلّ المشتقّ (مُسلّح) على قوّة العدوّ التّسليحية، وكيف أنّه دُجّج بأعتى أنواع الأسلحة ليفرض على الجزائريين سياساته اللاّ إنسانية، وهو ديدن كلّ مستبدّ منذ بداية الخليقة.

#### 4- البناء الصّرفي (مُفعل)

تضمّنته السيّاقات اللّغوية الآتية:

- يجد الدّار مُحرقّة، والعلّة مُتلفة.

ضمّت سيّاقات هذا البناء الصّرفي لفظين مشتقّين بزنة - مُفعل - وهو من أبنية اسم المفعول أيضاً، وقد أخذنا من الفعلين المزيدين المبنيين للمجهول: يُحرق - يُتلف. ودلّ كلاهما على سياسة الأرض المحروقة وسياسة الإفكار والتّجويح التي مورست على الجزائريين.

#### 5- البناء الصّرفي (مُفاعل)

تضمّنه السيّاق اللّغوي الآتي:

- تلك القرى المنكوبة من مقاطعة قسنطينة.

مثل هذا البناء الصّرفي مشتقّ واحد هو (مُقاطعة)، ودلّ على حيّز مكاني معين، إنّها قسنطينة مسرح العمليّات العسكرية الفرنسية، وميدان حربها على رفقاء السّلاح بالأمس القريب.

### ثالثاً: الصفة المشبّهة:

تشتقّ من الفعل اللّازم للدّلالة على معنى قائم بالموصوف بها على وجه الثّبوت، كحسن، وكريم، وأحمر.<sup>1</sup> وهي ليست من الصّفات الجارية وإنّما هي مشبّهة بها.<sup>2</sup> و قد استخدمها الكاتب في هذا المقال في ثلاثة وعشرين موضعاً، مدعماً بها اسم الفاعل الذي جنح - في معظمه - نحو التّوصيف، وتوزّعت هذه الصّفات على خمسة أبنية، ليستحوذ البناء الصّرفي - **فعليل** - على أغلب الصّفات، وهذا حصر للصّفات الموظّفة وأبنيتها ودلالاتها.

أ- **فعليل:**

1. غريب: ذكرت (في موضعين)، و أخذت من الفعل: غرّب.
2. ضعيف: ذكرت (في ثلاثة مواضع) وأخذت من الفعل: ضعّف.
3. لئيم: أخذت من الفعل: لؤم.
4. سليل: أخذت من الفعل: سلّ.
5. فسيح: أخذت من الفعل: فسّح.
6. صغير: أخذت من الفعل: صغّر.
7. بريئة: أخذت من الفعل: برّئ.
8. قتيل: أخذت من الفعل: قتل.

<sup>1</sup> فؤاد حنا طرزي، الاشتقاق ، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 2005، ص: 178.

<sup>2</sup> أبو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي، الإيضاح في شرح المفصل، ج1، تح: موسى بناي العليلي، دط،

1982، ص: 644

9. حصيد: أخذت من الفعل: حصَد.

ب-فعل: قَوِيٌّ: ذكرت (في ثلاثة مواضع) وأخذت من الفعل: قَوِي.

ت-فعل: نَحَس: ذكرت (في أربعة مواضع) وأخذت من الفعل: نَحَس.

ث-أفعل: أَسَوَد: مأخوذة من الفعل سَوَد.

عزَل: ذكرت (في ثلاثة مواضع)، وأخذت من الفعل: عزَل.

ج-فَعَال:جَبَانَ: أَخَذت من الفعل: جَبِنَ.

### دلالات الأينية:

الملاحظ على هذه الصفات أن اثنتي عشرة منها جاءت من أفعال بزنة: (فَعَل)، هي: (عَرَب، ضَعْف، لُؤْم، صَعْر، جَبِن)، و خمسة منها جاءت من أفعال بزنة: (فَعِل)، هي: (بَرِيء، سَوَد، قَوِي)، وستة أخرى جاءت من أفعال بزنة: (فَعَل)، هي: (سَلَّ، فسَح، قَتَلَ، عزَل). وتعلقت بأربعة موصوفات، يبرزها الجدول التالي:

الموصوف	الصفات	العدد المستعمل
الاستعمار.	جبان - سليل - لئيم - قَوِي (3)	سنة مواضع
الثامن من مايو.	سود (أسود) - غريب: (2) - نحس (4)	سبعة مواضع
الشعب الجزائري.	ضعيف (3) - أعزل (2) - بريء - قتيل	ثمانية مواضع
المكان.	- حصيد - فسيح - صغير.	موضعين

ما يلاحظ على الصفات المستخدمة أن نصفها اشتق من أفعال جاءت على الميزان الصرفي (فَعَل)، أما النصف الباقي فكان قسيما بين مادتي (فَعِل وفَعَل)، والسبب في ذلك أن مادة - فَعَل - تدلّ على الغرائز و الطّبائع و أنواع السلوك الأخرى، فـ « هذا الباب للأوصاف الخلقية التي لها مُكث، و لذلك لك أن تحوّل

كلّ فعل ثلاثي إلى هذا الباب، للدلالة على أنّ معناه صار كالغريزة في صاحبه، وربما استعملت أفعال هذا الباب للتعبّر فتتسلخ عن الحدث»،<sup>1</sup> وقد تفيد دلالات أخرى، كالدلالة على صفات جسمية، مثل: صلب. أو صفات اجتماعية خلقية، مثل: شجّع، فصّح، وقد تدلّ على صفات عقلية وصفات مكانية أو زمانية، مثل: نجّب، قرّب، قدّم.<sup>2</sup>

إنّ استهداف الإبراهيمي بمقاله هذا تعريّة الاحتلال، بوصف سلوكاته وسيّاساته، يقودنا إلى معرفة سبب هيمنة الصّفات المشتقة المأخوذة من مادّة (فعل) على هذا النصّ. «والغالب في باب فعل - فعيل»<sup>3</sup> وهذا البناء من أبنية الصّفة المشبّهة الكثيرة الاستعمال في العربيّة، ويأتي للدلالة على الثبوت في الأوصاف الخلقية، أو المكتسبة، وهذا ما أكّد عليه صاحب معجم الصّاحبي بقوله: «و تكون الصّفات اللاّزمة للنّفوس على وزن فعيل».<sup>4</sup>

فكلّ ما دلّ على حسن أو قبح فتجيء الأسماء منه على وزن فعيل،<sup>5</sup> نحو: (لئيم) التي تدلّ على ثبات صفة اللؤم في الاحتلال و رسوخها فيه، وعبرت الصّفة (صغير) عن صغر المساحة الكلية للقطاع القسنطيني مقارنة بمساحة العالم، وهي حقيقة ثابتة لا يمكن نكرانها. ودلّت الصّفة (قتيل) على ثبات القتل على قاطني

<sup>1</sup> أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي، شذى العرف في فنّ الصّرف، ص66.

<sup>2</sup> ينظر: سليمان فيّاض، الحقول الدلالية الصّرفية للأفعال العربية، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، دط، 1990، ص: 39 إلى 43.

<sup>3</sup> رضي الدين محمد بن الحسن الاسترلابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ص: 148.

<sup>4</sup> أبو الحسين أحمد بن فارس، بن زكريا، الصّاحبي في فقه اللغة، تع: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1997، 1، ص: 171.

<sup>5</sup> ينظر: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي، المعروف بـ: ابن سيديا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، ص: 147-148.



هذه الجهة من الجزائر في هذا اليوم، هذا التقتيل الذي طال كل الأعمار، ولم يستثن أيّ أحد، و صور الوصف (ضعيف) حقيقة ثابتة في الجزائريين عايشوها آنذاك، وهي الضعف الشامل الذي ميّزهم، وطال جميع الميادين.

أمّا الوصف (غريب) فعبر الكاتب من خلاله على أنّ ممارسات الاحتلال الإجرامية كلّها متوقّعة، والسبب في ذلك أطماعه التوسّعية الكبيرة، و لذلك لا غرابة فيما صدر منه في هذا اليوم، فالإجرام طبيعة راسخة فيه، وهكذا يتضامن هذا البناء مع الصّفة (سليّل) الدّالة على الأصل الخبيث الذي سلّ منه المستعمر، والمرجعية الفكرية والعقدية الفاسدة التي يعتصم بها، هي حقيقة واقعة متأصّلة فيه، لا يمكن تغييرها.

أمّا الوصف (فسيح) فجاء في معرض مقارنة الكاتب بين يومي النّعمان بن المنذر المتناقضين وبين أيّام الاحتلال المشؤومة، و أبرز الإبراهيمي من خلاله مدى اتّساع الهوة بين فكر النّعمان وفكر الاستعمار، فشتان بين وضع يتيح لك مجموعة من البدائل والخيارات والحلول، ووضع يفرض عليك خيارا واحدا، هو الموت قتلا أو جوعا أو تعذيبا، كما فعلت فرنسا الاستعمارية مع الجزائريين.

ودلّت الصّفة بريئة على الأرواح الطاهرة المسالمة التي قتلت في هذا اليوم، رغم أنّها لم تشكّل خطرا عليه، فالآلة الحربية الفرنسية عمياء لم تميّز في هذا اليوم بين مسلّح وأعزل وبين رجل وامرأة وبين شابّ أو مسنّ، فالكلّ صار هدفا لنيرانها، كما دلّ الوصف (حصيد) على أنّ الاحتلال الظالم حصد بآلته الحربية كلّ شيء؛ حيث جزّ الرّؤوس وأسقط البنيان وعتا ودمّر وتجرّب.

وهكذا تضافرت البنيات الوصفية بزنة- فعيل- لتصف الممارسات والأخلاقيات التي تجسّدت في هذه الغارة المجنونة على الجزائر واستطاعت أن

تحقق للكاتب الغايات التي استهدفها بكتابته لهذا المقال، أمّا باقي الأبنية فكان حضورها محتشماً مقارنة بالبناء الصّرفي - فعيل - الذي أسلفنا الحديث عنه، ومن هذه الأبنية الصّرفية - فعل - الذي حوته السياقات التالية:

أ/ يوم مقشعر الأرض من بطش الأقوياء. ب/ يجرب الجبان القوي سيفه في الضّعيف الأعزل. ج / من يكون البادئ يا ترى؟ الضّعيف الأعزل أم القوي المسلّح؟

استخدم هذا البناء الصّرفي ثلاث مرّات، وجاء بلفظ واحد، و هو من أبنية الصّفة المشبّهة الكثيرة الاستعمال في العربيّة، ويأتي للدلالة على الصّفات العارضة الطّارئة، غير الرّاسخة، مما يعجل بزواله، كما قد يدلّ على الأدواء والعيوب الباطنة الهيجانات والخفة،<sup>1</sup> وصفة القوّة في الاحتلال هي من الصّفات العارضة الطّارئة، التي قد تتلاشى في يوم من الأيام، وقد يسلب الله عليه قوّة أكبر من قوّته فتسحقه فيصبح يتسوّل الأمن والسّلام؛ لذلك وصف الكاتب الاحتلال بصفة الجبن، لأنّ استعراض القوّة على المستضعفين يزري بصاحبه، ويقدح في رجولته وشهامته.

أمّا البناء - فعل - فشملته السياقات التالية:

أ- طار طائر النّحس.

ب- أيّامه كلّها نحسات، بل دهره، كلّه يوم نحس.

ت- يطير طائر النّحس.

<sup>1</sup> ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني الأبنية العربية، دار عمّار، عمّان، الأردن، ط2، 2007، ص:69.

ذكر هذا البناء الصّرفي في أربعة مواضع، ومثله وصف واحد هو: **نحس**، الذي يتعلّق بالاستعمار، و يمكن الاستدلال من تكرار هذه الصّفة في هذا المقال على ثبوتها ودوامها في صاحبها، و هو الاستعمار؛ لأنّ الشّيء إذا تكرّر تأكّد، ويظهر من خلاله تيقن الكاتب من أنّ الاحتلال كالمرض الخبيث لا يمكن التخلّص منه لا بحوار أو مفاوضات سلمية، بل يستوجب في حقه البتر النهائي، والاستئصال الكلّي من الجذور، وهذا اليأس الذي أبرزه هذا الوصف يرشدنا إلى الحالة النفسية الصّعبة التي كان عليها الكاتب، وهو يعاين المجازر التي اجترحها الفرنسيون آنذاك في حقّ الشعب الجزائري.

و تردّد البناء الصّرفي "أفعل" في هذا المقال أربع مرّات، وهو في العادة يستخدم «في الألوان، كأسود و أزرق، والعيوب الظاهرة أو الأدواء، كأعور وأعمى، والحرى، كأحور وأدعج»<sup>1</sup>

وتضمّنت هذا البناء الصّرفي السيّاقات الأربعة التّالية:

أ- أيّامه ولياليه كلّها سود حوالك.

ب- من يكون البادئ يا ترى؟ الضّعيف الأعزل أم القويّ المسلّح؟

ت- يجربّ الجبان القويّ سيفه في الضّعيف الأعزل.

ث- انجلت في بضعة أيّام عن ألوف من القتلى العزّل الضّعفاء.

تدل الصّفة المشبّهة "أسود" على اللّون المفضل لدى الاحتلال، إنّه لون مليئ بالقتامة، موغل في الحلقة، فهو اللّون الأسود الحالك، الذي فرضته فرنسا على جموع الجزائريين، وشمل جميع الميادين، و هو لون رامز -أيضا- إلى واقع أليم ومزير، ينضح بالألم والقهر والدّم والأحزان والغبن، فالجهل والفقر والامية والإذلال والحرمان كلّها ظلمات بعضها فوق بعض، تراكمت لتوسّع المصيبة، وتعمّق

<sup>1</sup> فؤاد حنا طرزي، نفس المرجع السابق، ص: 181.

الخطب، وسبب ذلك أنّ الاحتلال الغاصب أعلن الحرب على الجزائريين في مختلف الجبهات والميادين بغية تركيعهم وإخضاعهم.

أمّا الصّفة "أعزل": فقد ذكرت (في ثلاثة مواضع)، و تعلّقت بموصوف واحد هو الشعب الجزائري، ودلّت على حالة الضّعف العسكري التي عرفها الجزائريون، كما تشير - أيضا - إلى أنّ الشعب الجزائري شعب مسالم وغير عدواني.

أمّا البناء الصّرفي "فَعَال" فقد استعمل مرّة واحدة فقط، وتضمّنه السياق التّالي:

"يجرّب الجبان القويّ سيفه في الضّعيف الأعزل."

فالوصف "جبان" أخذ من الفعل: جَبُنَ، ليدلّ على حقارة الاستعمار وجبنه؛ لأنّه لا يستعرض قوّته إلّا على من لا قوّة له. و لما كانت هذه طبيعة معروفة في كل مستبدّ، وحقيقة أكّدتها كلّ الممارسات الاستعمارية على مرّ التاريخ، اكتفى الإبراهيمي باستعمالها مرّة واحدة فقط.

يتبدّى من خلال هذا التّقديم لدلالة المشتقات المستعملة أنّها تضامنت مع بعضها لتنتهي إلى نهاية واحدة، و تؤكّد على حقيقة مفردة هي أنّ الفكر الاستعماري عدوّ للإنسانية كلّها، مناقض للإرادة الإلاهية، ممّا يستوجب على العقلاء في العالم أجمع محاربتة بكلّ الطّرق الممكنة دون أيّ تردّد.

# خاتمة

يستخلص من خلال دراستنا لبعض آثار البشير الإبراهيمي تميّزها بسمات أسلوبية عديدة، قام عليها نظامها اللغوي في مختلف مستوياته، مما أضفى عليها جاذبية وجمالية وسحرا، لكن بنوع من التّمايز بين مختلف الأجناس الأدبية المدروسة، و تجلّى هذا الاستعمال المثير للإمكانيات اللغوية المختلفة في الملامح الأسلوبية التالية:

### أولاً: السمات الصوتية:

#### 1- مقال الثامن من مايو 1945

- تمّ رصد أغلب البنيات الدّالة على وحشية الاستعمار، لدراسة المقاطع الصوتية المهيمنة، وأسفرت العملية الإحصائية لها عن حضور مكثّف للمقاطع القصيرة (ص ح)؛ لأنّ هذا النوع من المقاطع لا يتطلّب نفساً طويلاً، وهو يتناسب مع حالة الغضب و الحرقّة، التي تعتصر ذات الكاتب من جزاء هول هذه النكبة، زيّادة على إسهامه في إثارة الأسماع، وزيّادة حدّة الانتباه، بسبب تكوينه البسيط، وحركته الإيقاعية الظاهرة. و نظراً لإيقاعه القصير والسريع فهو ينسجم مع مشاعر الحيرة والقلق التي تختلج بها نفس المتكلّم.

- فرضت المقاطع المتوسطة المغلقة (ص ح ص) حضورها، لكونها الأنسب في التعبير عن مقامات الصّرامة والجدّ والحسم، متغلّبة على المقاطع المتوسطة المفتوحة، نظراً لكثرة شيوعها في الكلام العربي، منافسة بذلك المقاطع القصيرة، ومحاولة إحداث نوع من التّوازن في الإيقاع. واحتلّت المقاطع المتوسطة المفتوحة (ص ح ح) المرتبة الثالثة بسبب شيوع أصوات اللّين، التي عكست درجة الألم الذي يكابده الكاتب، وتعدّ المقاطع المفتوحة أكثر وضوحاً في السّمع، وعاملاً

مساعدة لبثّ الشكوى، وإخراج حرقه الحزن، والتّهويل من آثار الخطب الذي أصاب الجزائر، وهو ما دفع الكاتب لاستخدامها في مناداة مخاطبيه.

## 2- الخطبة المدروسة:

- استبان من السّلام الصّوتية المرصودة في الخطبة الاستعمال المكثّف لأربع وحدات صوتية صغرى هي: التّاء و الهاء و الميم و النّون. و هذا التّنوع الأصواتي أدّى إلى إثراء النّص إيقاعيا ودلاليا، وتولّد عن هذا التّناعم بين هذه الوحدات انسجام وتناسق بين أصوات الكلمات، استحالت به أكثر جذبا، وأقوى تأثيراً.

- أكثر الكاتب من استخدام التّكرار لبعض الحروف بغية تنمية الخصوبة الإيقاعية له، وحتى يتسنى له استمالة المتلقّين والتأثير فيهم، وكسب تعاطفهم.

- إثراء للمنظومة الموسيقية عمد الكاتب إلى استخدام المقاطع المفتوحة تارة والمغلقة تارة أخرى.

- لم يكتف الكاتب باستخدام الوحدات الصّوتية الصّغرى، بل راح يرفع الإيقاع باستخدام المحسنات التّالية: الجناس والسّجع والمقابلة. وقد نتج عن هذا التّنوع طاقة إيقاعية و موسيقية جدّابة.

- الملاحظ على الألفاظ المسجوعة أنّها متساوية من جهة العدد والوزن والقافية، لذلك يمكن نسبتها إلى السّجع المرصّع، وهذه المطابقة بين الألفاظ المسجوعة علامة على جمال الاستعمال وحسنه، وسبب في جودة الإيقاع الموسيقي وروعته.

- أضفى استخدام الفاصلة على النّص قيمة صوتية منتظمة، فنتج عن ذلك أثر جمالي.

-أدى توظيف الجناس باعتباره مظهرا من مظاهر الموسيقى الداخلية، وضربا من ضروب التكرار وأحد البواعث الجمالية التي تستدعي انتباه المتلقي، إلى تقوية نغمية جرس الألفاظ، وإكسابها انسجاما إيقاعيا قويّ الوقع على النفس.

- إن استخدام البديع التقابلي في هذه الخطبة، يدلّ على إدراك الكاتب قيمة هذا المظهر اللغوي دلاليا وجماليا.

### 3- الرسالة المدروسة:

-استخدم الكاتب في رسالته من الأدوات الصوتية الفنية ما يتناسب من المعاني التي أراد البوح بها، ليعبر عما خطر في ذهنه، وما اختلجت به نفسه من خواطر وأفكار، إذ شاعت في هذه الرسالة الأصوات الهادئة الرقيقة ، نتيجة غربة الكاتب عن وطنه، وحنينه إليه.

### ثانيا: السمات الصرفية:

- إن ما يسجل على الإبراهيمي في هذه الأرجوزة هو الاستدعاء المكثف للأسماء، وإقحامه داخلها عددا معتبرا من المصادر ليعبر عن موقفه من الرئاسة والرؤساء والحكام، ومن أبرزها ما تعلق بمصادر الفعل الثلاثي المجرد، وخاصة ما جاء بزنة - فَعَلَ- الذي يُعتقد أنه المصدر الأصلي للفعل الثلاثي، وأنه الأكثر استعمالاً وشيوعا في الكلام.

- كما عرفت هذه المدونة الشعرية حضورا مثيرا للجموع، و بالأخصّ جموع التفسير الدالة على الكثرة التي تعبر عن العدد الكثير، والتوسع والامتداد مما يؤدي إلى زيادة في التوهج الدلالي.



- استحوذت المعارف على مساحة عريضة من المدونة، وهذا التنوع والتعدد الذي ميّزها أدى إلى شحن المدونة دلاليا وإيقاعيا، بما أنّ لكلّ نوع منها مذاقا خاصا، وخصوصية و هوية متميّزة.

- التفت الكاتب للتكرير ليستخدمه في مقامات مختلفة، حتى يوّلد في نفس المتلقّي الشعور بالتعميم والإطلاق، حين يفتح لمخيلته مجالاً فسيحا غنيا بالدلالات والتأويلات.

- وعرفت المدونة الشعرية حضور اسم الفاعل أيضا، وكان اختلاف السياقات التركيبية التي ورد فيها عاملا مهماً في تنوع دلالاته وتكاتفها.

- استعمل الكاتب الصيغ الفعلية: بسيطة و مركّبة و ماضية ومضارعة ومجرّدة ومزيدة، وإخبارية و طلبية، و هذه التلويّنات التي عرفتها الأفعال أدّت إلى إخصاب النصّ دلاليا، مشكّلة بذلك بروزا أسلوبيا واضحا، و لعلّ توظيفها بهذه النسبة العالية عائد إلى أنّ الإبراهيمي يستهدف المعنى الذي تفيده، فالفعل المضارع يفيد التجدد والاستمرار، في حين أنّ الماضي يفيد الإخبار والتقرير والثبوت، ليؤكد على أنّ الرئاسة و القيادة سلوك بشري ثابت، تقتضيه الأديان و القوانين والمصالح، أمّا الرؤساء فهم متجدّدون ومتغيّرون.

#### رابعا: السمات التركيبية:

- عرف النظام التركيبي لهذه الخطبة بروزا واضحا للجملة البسيطة، وسبب ميل الكاتب لهذه البنى القصيرة يعود إلى خفتها، وسهولة فهمها، وإمكانية استيعاب الأسماع لها واستساغتها.

- كما شهدت سيطرة كبيرة لبنيات الإثبات؛ إذ لا نكاد نعثر على بنيات النفي إلا في ستة عشر موضعاً، ولعلّ هيمنة الإبلاغ على النص، هو الذي جعل الإبراهيمي يقوم بتوطين أسلوب الإثبات، و الاستئناس بالنفي بين الحين والآخر.

- أكثر الكاتب من استخدام الجمل الإخبارية؛ لأنها الأقدر على وصف وسرد ما هو كائن في أرض الواقع.

- من المتغيرات التي طرأت على البنية التركيبية في هذه الخطبة تفشي الانزياح التركيبي في صورتيه: التقديم و التأخير، ممّا أضفى على الدلالة رقة وحرية وطبيعة جمالية.

- امتازت الخطبة المدروسة بانتشار البنيات الوصفية بكثرة، التي وصفت الأفعال والأحوال والعلائق والمشاعر، مشبعة في النص جواً تأثيرياً وإقناعياً.

#### خامساً: السمات الدلالية من خلال المقال المدروس :

- اتسم هذا المقال باهتمامه على العديد من الحقول الدلالية، التي توغلت في بنيته العميقة، وأبانت عن شساعة الأفق لدى الكاتب، لأنها طرقت تيمات متنوّعة، فوصفت الحرب ووسائلها والاستعمار وممارساته، و الأفعال وردودها، وأبرزت جسامة الخطب وعظم المصيبة التي ألمّت بالجزائريين.

# الملحق

أولاً: السيرة الذاتية للشيخ

البشير الإبراهيمي

ثانياً: المتون المدروسة.

يتعرّض الملحق إلى موضوعين بارزين هما: السيرة الذاتية للإبراهيمي، والمتون الإبراهيمية المدروسة.

### أولاً: السيرة الذاتية للبشير الإبراهيمي:

#### - نشأته وتعلّمه:

ولد الشيخ البشير الإبراهيمي في الرابع عشر من يونيو عام 1889، في قبيلة ريغة الشّهيرة بأولاد إبراهيم بقرية رأس الوادي بولاية سطيف.<sup>1</sup> نشأ في إحدى البيوت التي حفظت رسم العلم وتوارثته عبر الأجيال، وخرّجت في القرون الخمس الأخيرة علماء في العلوم العربية، عملوا على نشرها في ربوع الجزائر المختلفة، ومنهم من أثر الهجرة إلى القاهرة في سبيل الاستزادة من العلم والتّوسّع فيه .

بدأ محمد البشير الإبراهيمي تعليمه في بيت والده، فحفظ القرآن الكريم في آخر الثامنة من عمره، على يد بعض من أقاربه، تحت إشراف عمّه الأصغر الشيخ محمد المكيّ الإبراهيمي - رحمه الله - حامل لواء الفنون العربية من نحو وصرف واشتقاق، ولما بلغ السنّ التاسعة حفظ فنون العلم المهمّة، مثل ألفية ابن مالك، وألفية ابن معطي الجزائري وما بلغ الرّبعة عشر حتّى حفظ ألفيتي الحافظ العراقي في السّير والأثر، كما حفظ جمع الجوامع في الأصول، وتلخيص المفتاح للقاضي القزويني، ونظم الدّول لابن الخطيب، والكثير من شعر أبي عبد الله بن خميس التّلمساني، ومعظم رسائل بلغاء الأندلس مثل ابن الشّهيد. ثمّ وجّهه عمّه نحو دواوين فحول المشاركة، ورسائل بلغائهم فحفظ بعضاً من شعر المتنبيّ وشعر

<sup>1</sup> خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين، ج6، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002، ص:54.

الطائيين وديوان الحماسة، وحفظ كثيرا من رسائل سهل بن هارون وبيدع الزمان ، كما حفظ كتاب كفاية المتحفّظ للأجدابي الطرابلسي ، وكتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني، وكتاب الفصيح لثعلب، وكتاب إصلاح المنطق ليعقوب السكيت. ولمّا بلغ الرابعة عشر من العمر مرض عمه مرض الموت، فخلفه وشرع في تدريس العلوم التي درسها للطلّبة الذين كانوا زملاءه ولغيرهم من البلدان الأخرى، وتولّى أبوه إطعامهم وإيواءهم، كالعادة في حياة عمّه.<sup>1</sup>

### – رحلاته:

حينما جاوز الإبراهيمي العشرين من عمره تآقت نفسه إلى الهجرة إلى المشرق العربي، فاختر المدينة المنورة؛ لأنّ والده هاجر إليها فراراً من ظلم فرنسا، فالتحق به متخفياً أوائل سنة 1912، وفي طريقه مرّ على القاهرة وأقام بها ثلاثة أشهر، وحضر بعض دروس العلم في الأزهر، وتعرّف على أشهر علمائه، من أمثال: الشيخ سليم البشري، والشيخ محمد بخيت، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ عبد الغني محمود، والشيخ السّمالوطي ، والشيخ سعيد الموجي، وختم الإبراهيمي رحلته لمصر بزيارة الشّاعرين الكبيرين : أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، وأسمعها شيئاً ممّا يحفظ لهما فسعدا بذلك.

دفعه نهمه العلمي إلى التوجّه إلى المدينة المنورة، وكان وصوله إليها سنة 1911، وهناك اجتمع بأبيه، وطاف بحلق العلم في الحرم النبوي مختبراً، فلم يرق له شيء منها، عدا العلم الصّحيح الذي وجدّه عند الشّيخين: الشيخ العزيز الوزير

<sup>1</sup> ينظر محمد البشير الإبراهيمي-أنا- الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر، ع: 87، ماي-جوان، 1985م.

التونسي ، والشيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي، فأعجب بهما ولازمهما، فأخذ عن الأول الموطأ دراية، ولازم بعض دروسه، ولازم الثاني في درسه لصحيح مسلم، واستحكم منهما التجربة،<sup>1</sup> فتبحر في الدراسات الإسلامية عامة والأصولية خاصة، واستلم زمام التدريس: «فكان يتلقى ويلقي محاضرات ودروساً يحضرها الناس، وكان أثناء ذلك لا يفتأ يناظر بعض العلماء الحجازيين أو ممن يقطنون الحجاز مجاورة، ويناقشهم في آرائهم، وكانت السيرة النبوية مادة من المواد التي كان يلقيها هناك».<sup>2</sup>

أخذ الشيخ علم التفسير عن الشيخ الجليل إبراهيم الأسكوبي، وأخذ الجرح والتعديل وأسماء الرجال عن الشيخ البرزنجي الشهرزوري، وأخذ أنساب العرب وأدبهم الجاهلي، والسيرة النبوية عن الشيخ محمد عبد الله زيدان الشنقيطي، ثم عكف على تعلم المنطق على يد الشيخ عبد الباقي الأفغاني بمنزله، وقرأ على الأديب محمد العمري الجزائري أمهات الأدب المشهورة كالكمال للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الإصبهاني، وكان بين هذا وذاك يتردد على المكتبات الجامعة، مثل مكتبة شيخ الإسلام عارف، ومكتبة السلطان محمود ، ومكتبة الشيخ الوزير، ومكتبة بشير آغا، وغيرها من المراكز الثقافية المتعددة حتى نمت شخصيته العلمية والثقافية، وتقوى تكوينه الفكري.

<sup>1</sup> محمد البشير الإبراهيمي - أنا - الثقافة ص 15.

<sup>2</sup> عبد المالك مرتاض، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ط، 1981، ص 109

ظلَّ الإبراهيمي في الحجاز يغترف من ينابيع المعرفة إلى أن جاءت الحرب العالمية الأولى، فدفعته ظروفها سنة 1917 إلى مغادرة المدينة باتجاه دمشق، مرفوقاً بوالده، وكانت هذه بداية رحلة علمية أخرى، مكّنته من ملاقاته رجال العلم بها، من أمثال الشيخ بهجة البيطار، والأستاذ عبد الحكيم الطرابلسي والأستاذ جودت المارديني، والأستاذين قاسم ورضا، والأستاذ عبد القادر بن المبارك، والشيخ محمد رشيد رضا. ولم يلبث الإبراهيمي إلاّ شهراً حتى انهالت عليه الرغبات في التّعليم بالمدارس الأهلية، فاستجاب لبعضها، كما أصبح يتوسّط حلقة الدّرس في الوعظ والإرشاد بالجامع الأموي يقدّم دروساً على طريقة الأمالي، وذلك بإملاء حديث شريف مع الإسناد، ثمّ يملي تفسيره بما يوافق روح العصر وأحداثه، فسمع النّاس شيئاً ما ألفوا سماعه سابقاً إلاّ في دروس الشيخ بدر الدّيني الحسيني، ثمّ دعتّه أوّل حكومة بعد خروج الأتراك إلى تدريس الآداب العربية بالمدرسة السلطانية الثّانوية الوحيدة إذ ذاك، فتخرّج عنه جماعة من الطّلبة، صاروا فيما بعد أعمدة الأدب العربي في سوريا ومنهم: الدّكتور جميل صليبا، والدّكتور أديب الرّماني، والدّكتور المحايري، والدّكتور عدنان الأتاسي. ونظراً للانطباع الحسن الذي ترسّخ عنه في المدينة المنوّرة ألحّ عليه الأمير فيصل بن الحسين بالعودة إلى المدينة المنوّرة ليتولّى إدارة المعارف بها، لكنّه اعتذر وعاد إلى الجزائر مع أوّل فرصة أتاحت له.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> محمد البشير الإبراهيمي، أنا، نفس المرجع، ص(16-17-18).

- عودته إلى الجزائر:

شاعت الأقدار أن يعود البشير الإبراهيمي إلى الجزائر في نهاية سنة 1920، ويلتقي برفيقه في الجهاد؛ الشيخ عبد الحميد بن باديس باني النهضة العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية بالجزائر، بعد أن التقى به في المدينة المنورة، وتناقشا طويلاً حول أوضاع الجزائر ووسائل إنقاذها سنة 1913، وكانت هذه المناقشات البداية الأولى التي وضعت الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي لم تبرز للوجود إلا في سنة 1931، وشهدت عودتهما إلى الجزائر بداية الخطة المرسومة، التي كانت تقضي بإحياء الدين والعربية، وقمع الابتداع والضلال، ومحاربة الفكر الاستعماري.

لقد اطلع البشير الإبراهيمي على جهود ابن باديس في مجال العلم ومحاربة البدع والضلال، فأكبر فيه ذلك، وأصبح العضد الأيمن له، وراح يؤازره، فبدأ بعقد الندوات العلمية للطلبة، والدروس الدينية للجماعات القليلة، ثم تدرج لإلقاء المحاضرات على الجماهير الحاشدة، ثم أسس مدرسة صغيرة لتنشئة طائفة من الشبان نشأة خاصة وتمرينهم على الخطابة والكتابة وقيادة الجماهير، وحينما تكامل العدد وتلاحق المدد تم الإعلان عن تأسيس الجمعية سنة 1931، وانتخب المجلس الإداري من رجال أكفاء، وانتخب ابن باديس رئيساً، والبشير الإبراهيمي وكيلاً نائباً عنه، وهو الذي أعدّ لائحته الداخلية التي تشرح أعمالها، فقبلت بالتأييد من الجميع .

وفي السنة الأولى للجمعية قرّرت إدارة الجمعية تعيين العلماء الكبار على عواصم المقاطعات الثلاث، للإشراف على الحركة الإصلاحية والعلمية



في المقاطعة كلّها، فعين إبراهيمي بمقاطعة وهران وعاصمتها العلمية القديمة تلمسان، فأنشأ فيها مدرسة دار الحديث، وتولّى تعليم الطّلبة الكبار بنفسه، وكان يتنقّل في العطلة الصّيفية في الإقليم الوهراني للوعظ والإرشاد، وتفطّنت فرنسا لخطورة نشاطه عليها، فنفته إلى الصّحراء سنة 1940،<sup>1</sup> وبعدها بأسبوع توفي الشيخ عبد الحميد ابن باديس، فانتخبه المجلس الإداري للجمعية رئيساً لها، فانكبّ على تسييرها انطلاقاً من منفاه، بمدينة آفلو عن طريق تبادل الرّسائل بينه وبين أعضائها، وبعد الإفراج عنه سنة 1943، استأنف نشاطه بعزم وهمة، واتّخذ الجزائر العاصمة مركزاً لرئاستها، كما أسند إليه إخوانه في الجمعية رئاسة تحرير جريدة البصائر فقبلها مكرهاً. فكان يقوم للجمعية بكلّ واجباتها، ويقوم للجريدة بكلّ شيء.<sup>2</sup>

ونظراً لتزايد طلبية العلم على الجمعية، وارتفاع المستوى التّعليمي، الذي يتطلّب المزيد من الأموال، اضطرّ البشير الإبراهيمي إلى الرّحيل إلى الشّرق، بتكليف من جمعية العلماء، سنة 1952، ومن بواعث هذه الرّحلة أمران:

**الأول:** السّعي لدى الحكومات العربية لتقبل بعثات من أبناء الجزائر.

**الثاني:** مخاطبة حكومات العرب والمسلمين في إعانة الجمعية مالياً، حتّى تستطيع أن تواصل أعمالها، كما بذل جهداً في الوصول إلى أجهزة الإعلام لعرض القضية الجزائرية، فأصبح يسجّل أحاديثه النّضالية عن كفاح الجزائر، انطلاقاً من إذاعة صوت العرب بالقاهرة، وكان الإبراهيمي يتابع أحداث الثّورة المسلّحة وتطوّراتها،

<sup>1</sup> محمد البشير الإبراهيمي، أنا، نفس المرجع ص: من (19 إلى 27).

<sup>2</sup> نفسه، ص: 27.

وأمر جميع أتباعه بتأييدها، والالتحاق بكتائب الجهاد، ومن أهمّ الأوطان التي زارها في هذه المرحلة: تونس-ليبيا- مصر-العراق- الكويت-سوريا- فلسطين- الحجاز- وتركيا وأفغانستان وباكستان والهند، وتعرّف على شخصية المودودي، الذي سرّ به كثيراً.<sup>1</sup>

- **وفاته:** في التاسع عشر ماي عام 1965 أسلم الإبراهيمي روحه الطاهرة إلى خالقها، عن عمر يناهز ستّة وسبعين عاماً، وكان لهذا اليوم الأثر البالغ في نفوس الشعب الجزائري، ونعاه العالم العربي والإسلامي ونكّس أعلامه، معلناً الحداد، ودفن - رحمه الله - بمقبرة (سيدي محمد) بالجزائر العاصمة، فرتاه عدد كبير من شعراء الجزائر ومن أبرزهم الشّاعر الكبير محمد العيد آل خليفة الذي رثاه بقصيدة حزينة تحت عنوان: "أبت النفس أن تراك عديماً"<sup>2</sup> ومن ضمن ما جاء فيها مايلي:

1. قم بحقّ الإخاء وارثِ حميما راحلا مخلص الولاء صميما
2. صدّ عنك الذي دنا منك وُدّا وحننا عاطفا عليك كريما
3. صدّ عنك (البشير) شبّ حنايا الصّدّ در نارا وهدها تحطيما
4. حمّ موت البشير فاكتأب الشعب و أصغى إلى النّعْي كظيما
5. فجعت أمة العروبة في الها دي لمن ظلّ نهجها المستقيما
6. كان للعلم في الجزائر روضا مستطابا يحيي النفوس شميما
7. ولقد أسّس المعاهد فيها منذ عهد وخطّ التّعليما
8. فقد ( المجمع الكناني ) عضوا نادر الكفاء بالغريب عليما

<sup>1</sup> محمد عباس، نفس المرجع، ص(55-56).

<sup>2</sup> محمد العيد آل خليفة، الديوان، دار الهدى للطباعة والنشر، دط، 2010، ص:442 إلى 444.

9. كان بحرا من المعارف زحاً راً وذخرا من الفنون جسيما  
 10. و دماغا وعى (المحيط) محيطا ولسانا حوى (اللسان) قويما  
 11. راض فصحي اللّغى فأوتي فيها منطقا ساحرا وذوقا سليما  
 12. رافق الكتب والمكاتب دهرا وتقصى أعلامها تعميما  
 13. فبدا عصرها القديم جديدا وبدا عصره الجديد قديما

### شهادات المعاصرين له:

كان البشير الإبراهيمي قويّ الشّخصية، ثاقب الفكرة، بعيد النّظر، متعمّقا في معظم علوم اللّغة، ممّا جعل صيته ينتشر، ومكانته تسمو في نفوس، وكان رجل عقيدة وعمل. رفض مناصب عديدة عرضت عليه وهو خارج البلاد، منها مشيخة جامع الأزهر، ولم يقبل إلا بعضوية مجمع اللّغة العربية بالقاهرة.<sup>1</sup> ومن الشّخصيات التي أشادت به:

• **الدكتور منصور فهمي:** قال بعد أن سمع خطبة ألقاها الإبراهيمي في جمع غير حضره عدد كبير من أئمة الأدباء المصريين:

« إنّي لم أسمع ولم أر في حياتي من هو أفصح أو أبلغ من الشّيخ البشير، وإنّي أدعو جميع العلماء والأدباء في الوطن العربي إلى أن يُلقوا إليه مقاليد اللّغة والبيان. ثم التفت نحو الإبراهيمي وقال له: أنت ملك اللّغة العربية في هذا العصر، لقد ملكت كافة نواصيها.»<sup>2</sup>

<sup>1</sup> نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص534.

<sup>2</sup> عادل نويهض، الأعمال الخاصة بالجزائر (4)، البشير الإبراهيمي عظيم من الجزائر، دار الأبحاث، الدار البيضاء، دط، دت، الجزائر، ص23.

• **الأديب الكبير كامل كيلاني:** «أتجه نحو الإمام العظيم، باسطاً يده إليه وهو

يقول له: إنّي أوّل من يعلن مبايعته لك كملك للغة العربية في عصرنا هذا.»<sup>1</sup>

• **إبراهيم مذكور** (رئيس مجمع اللغة العربية-القاهرة-) قال فيه: «البشير مصلح

ومجدّد، مجاهد ومناضل، عالم ومربّ».<sup>2</sup>

• **جميل صليبا:** (أحد تلاميذ الإبراهيمي بدمشق) وهذا قوله فيه: «من عجيب أمر

الشيخ أنّ النّاس كانوا لا يهتمّون به عند لقائه لأوّل مرّة، حتّى إذا تكلم أو احتجّ أو

خطب ألهب النفوس حماسة وجعل القلوب تشرئبّ إليه للاستمتاع بفصاحة لسانه،

وسحر بيانه. يدخل المجلس كزهرة ذابلة فإذا هو بعد الأخذ بناصية الكلام أشبه

شيء بكوكب درّي».<sup>3</sup>

• **عبدالرحمن شيبان** (وزير سابق للشؤون الدينية) قال فيه: «لقد كان رحمه الله إماماً

في العربية وبلاغتها تفقه في أسرارها، وتغذى بآدابها، واستنار بقرآنها...».<sup>4</sup>

• **بوعلام بسايح:** (وزير سابق للبريد والمواصلات) قال: «لقد ملك ناصية اللغة

العربية، فكان خبيراً بأسرارها، ضالماً في أساليبها، بارعاً في فنونها وآدابها، له

عليها سلطة وسلطان، تطاوعه كلّما عالج موضوعاً من المواضيع، وتنقاد له كلّما

اتّخذها أداة للمحاجبة والجدال. ليست طريقته في الكتابة أسلوباً يحتذى فحسب،

إنّما هي مدرسة ونموذج، وشرعة في جزالة اللفظ، ومتانة العبارة، وقوّة الحجّة».<sup>5</sup>

<sup>1</sup> عادل نويهض، الأعمال الخاصة بالجزائر (4)، ص: 23.

<sup>2</sup> محمد البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء، نفس المرجع السابق، ص: 51.

<sup>3</sup> مقتطفات من مذكرات الدكتور جميل صليبا، نفس المرجع، ص: 57.

<sup>4</sup> الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية، نفس المرجع، ص: 73.

<sup>5</sup> الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الرائد، المرجع السابق، ص: 60.

• **زهور ونيسي** (وزيرة الحماية الاجتماعية السابقة) قالت فيه: «كان إبراهيمي الكلمة الصادقة التي لا تبلى لها جدّة، والكلمة المختلصة النابضة أبداً، والكلمة المنهج الرّشيد.. شامخة وارفة الظلّ، رانية القطوف.»<sup>1</sup>

• **الدكتور محي الدين صابر** (المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) قال: «إنّ للإمام الشّيخ فوق نضاله وعطائه الوطني والقومي، والفكري مكانة خاصّة في البيان العربي، فقد كان أمّة وحده في نصاعة الأسلوب، وشرف البيان.»<sup>2</sup>

• **شكري فيصل**: (الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة-) قال فيه: «لم يكن إبراهيمي خطيباً فحسب، بالمعنى الذي يغلب على الخطب والخطباء، ولكنّه كان مع ذلك وإلى جانب ذلك مفكراً من الطراز الأوّل.. وكان مفكراً يحترم نفسه وعقله وفكرته ودعوته.»<sup>3</sup>

• **ماري نجم** (باحثة - لبنان) قالت فيه: «هو من أبرز حراس لغة العرب وأقواهم حرصاً على حفظها. سله ما تشاء وعن أيّ كاتب أو شاعر أردت؟ إنّه بحر زاخر من المعلومات الأدبية والعلمية.»<sup>4</sup>

• **ابن باديس**: «عجبت لشعب أنجب الشّيخ إبراهيمي أن يضلّ في دين، أو يخزي في دنيا، أو يذلّ لاستعمار.»<sup>1</sup>

<sup>1</sup> بعض من رؤية العلامة إبراهيمي في الإصلاح الاجتماعي، نفس المرجع، ص: 92

<sup>2</sup> محمد البشير إبراهيمي والدعوة القومية، نفس المرجع، ص: 119.

<sup>3</sup> -قضايا الفكر في آثار إبراهيمي، نفس المرجع ص 191.

<sup>4</sup> إبراهيمي والمجمع العلمي العربي، نفس المرجع، ص 335.

• **المستشار عبد الله العقيل:** «كان العلامة الإبراهيمي عالماً في الفقه والتشريع واللغة والأدب، وخطيباً مفوهاً وشاعراً كبيراً يهزّ المنابر بجزالة ألفاظه، ويثير المشاعر بقوة أشعاره، إذا خطب فهو الأسد الهصور في زئيره والبركان الثائر في هديره، يأخذ بمجامع القلوب ويشدّ إليه الأسماع ويجلجل بكلمة الحق وينبيري للدفاع عن الإسلام بقوة الحجة ونصاعة البرهان وجزالة اللفظ، وحلو البيان».<sup>2</sup>

لقد كتب عنه الكثيرون وأثنوا عليه، وأشادوا بتعمّقه في مختلف علوم اللّغة، وقدرته على تجاوز الصّعاب والمحن التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك.

### مؤلفاته:

يقول الإبراهيمي عن هذا الأمر: لم يتّسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تآكل الأعمار أكلاً، ولكنتني أتسلى بأنني ألّفت للشعب رجالاً، وعملت لتحرير عقوله تمهيداً لتحرير أجساده، وصحّحت له دينه ولغته فأصبح مسلماً عربياً، وصحّحت له موازين إدراكه فأصبح إنساناً أبيعاً، وحسبي هذا مقرباً من رضى الرّبّ ورضى الشّعب. ومع ذلك فقد ساهمت بالكتابة في موضوعات مفيدة ، ولكن لم يساعدي الفراغ ولا وجود المطابع على طبعها، وقد بقيت كلّها مسودّات في مكتبتي بالجزائر وهي:

\* **عيون البصائر:** وهي مجموعة المقالات التي كتبها بقلمه في جريدة البصائر في سلسلتها الثانية.

<sup>1</sup> المستشار عبد الله العقيل، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، ج1، تق: مصطفى مشهور/محمد مهدي

عاكف/بدر محمد بدر/عبد الله الطنطاوي، دار البشير ط2، 2008، ص807 .

<sup>2</sup> - نفسه، ص804.

- \* كتاب بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر.
- \* كتاب النقايات والنقايات في لغة العرب.
- \* كتاب أسرار الضمائر في العربية.
- \* كتاب التسمية بالمصدر.
- \* كتاب الصفات التي جاءت على وزن فعل.
- \* كتاب نظام العربية في موازين كلماتها.
- \* كتاب الاطراد والشذوذ في العربية. رسالة في الفرق بين لفظ المطرد والكثير عند بن مالك.
- \* كتاب ما أخلت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة.
- \* رسالة في ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاث أحرف لا اثنان.
- \* رواية كاهنة الأوراس .
- \* رسالة في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعامية.
- \* كتاب حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام.
- \* كتاب شعب الإيمان.<sup>1</sup>

### ثانيا: المتون المدروسة

#### مقال ذكرى 8 ماي

يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرّز الحواشي بالدماء المظلولة، مقشعرّ الأرض من بطش الأقوياء، مبتهاج السماء بأرواح الشهداء، خلعت شمسها طبيعتها فلا

<sup>1</sup> محمد البشير الإبراهيمي، -أنا-المرجع السابق، ص: (32-33).

حياة ولا نور، وخرج شهره عن طاعة الربيع فلا ثمر ولا نور، وغابت حقيقته عند الأقلام فلا تصوير ولا تدوين.

يوم ليس بالغريب عن (رزنامة) الاستعمار الإفريقي بهذا الوطن، فكم له من أيام مثله، ولكن الغريب فيه أن يجعل - عن قصد - ختاماً لكتاب الحرب، ممن أنهكتهم الحرب على من قاسمهم لأواءها، وأعانهم على إحراز النصر فيها؛ ولو كان هذا اليوم في أوائل الحرب لوجدنا من يقول: إنه تجربة، كما يجرب الجبان القوي سيفه في الضعيف الأعزل.

اثنان قد خلقا لمشأمة الاستعمار والحرب؛ ولحكمة ما كانا سليلي أبوة، لا يتم أولهما إلاّ بثانيهما، ولا يكون ثانيهما إلاّ وسيلة لأولهما؛ وقد تلاقت يداهما الآثمتان في هذا اليوم في هذا الوطن، هذا مودّع إلى ميعاد، فقفعة السلاح تحيته، وذلك مزعم أن يقيم إلى غير ميعاد، فجنث القتلى من هذه الأمة ضحيته. تستحسن العقول قتل القاتل، وتؤبدها الشرائع فتحكم بقتل القاتل؛ ولكن الاستعمار العاتي يتحدّى العقول لأنه عدوها، والشرائع لأنها عدوه، فلا يقوم إلاّ على قتل غير القاتل- يغلو في التآله الطاغي، فيتحدّى خالق العقول، ومنزل الشرائع، وينسخ حكم الله بحكمه، ورحمة الله بقسوته، فيقتل الشيوخ والزمنى والأطفال.

أين النعمان بن المنذر ويوماه من الاستعمار وأيامه؟ كان للمنذر يومان: يوم بؤس ويوم نعمى، وبينهما مجال واسع للبخت، وملعب فسيح للحظ، فإذا طار طائر النّحس في أحد يوميه وقع على حائن أتت به رجلاه، أو محدود لم يلتق مع السعد في طريق، أمّا الاستعمار فأيامه كلّها نحسات، بل دهره، كلّه يوم



نحس مستمرّ، محيت الفواصل بين أيّامه و لياليه ، فكّلها سود حوالك، يطير  
 طائر النّحس منها فلا يقع إلاّ على أمم آمنة مطمئنّة؛ وأين قتلى ضمخت  
 دماؤها الغريين، من قتلى ضمخت دماؤها أديم الأرض، وخالطت البحار حتى  
 ماء البحار أشكل؟

أمّة كا لأمم حلّت بها ويلات الحرب كما حلّت بغيرها، وذاتت لباس الجوع  
 والعري والخوف، وتحيفت الحرب أقواتها وأموالها، وجرّعت الثّكل أمّهاتها واليتم  
 أطفالها، وأكلت شبابها، وقطعت أسبابها، وصليت نار الحرب ولم تكن من  
 جناتها، وقدمت من ثمن النّصر مئات الألوف من أبنائها قاتلوا لغير غاية، وقتلوا  
 من غير شرف، في حين كانت الأمم تقتتل على الملك، والملك مجد وسيادة،  
 وعلى الحرّية، والحرّية حياة وعزّة؛ أمّا هذه الأمّة فكانت تقاتل لخيال من أمل،  
 ودّماء من حياة، وصبابة من رجاء، وخبب من وعد علا نداؤه، وتجاوبت في  
 الخافقين أصداؤه، من ديمقراطية زائفة كذب نبيّها مرتين في جيل واحد، فلمّا  
 سكن الإعصار وتنفست الأمم في جو من السلم، وتهيأت كلّ أمّة أن تستقبل  
 بقايا النّار من شبابها، وكلّ أم أن تعانق وحيدها، عاودت الاستعمار ألوهيته  
 وحيوانيته في لحظة واحدة، يحادّ الله بتلك، ويغتال عباده بهذه، وعاد بالنّقّتل  
 على من كانوا بالأمس يمدّون حياته بحياتهم، ليريهم مبلغ الصّدق في تلك  
 الوعود، ويحدّثهم بلغة الدّم ومنطق الأشلاء أنّه إنّما أقام سوق الحرب ليشتري  
 حياته بموتهم، وليرمّم جداره بهدم ديارهم، فإذا بقي منهم كلب بالوصيد، أو من  
 ديارهم قائم غير حصيد، قضى ذلك المنطق فيه بالإبادة والمحو، وجعل أيّامه  
 خاتمة لأيّام الدّم والحديد، وعطفه على عدوّ الأمم المشترك عطا بالفاء لا بتمّ؛

وكذلك كان، فقد فتح النَّاسُ أعينهم في يوم واحد على بشائر تدقّ با لنَّصر، وعلى عشائر من المنتصرين تساق للنَّحر؛ وفتحوا آذانهم على مدافع للتبشير، وأخرى للتدمير؛ وعلى أخبار تؤذّن بأنّ الدماء رقات في العالم كلّه، وأخرى تقول: إنّ الدِّماء أريقت في جزء صغير من العالم، هو تلك القرى المنكوبة من مقاطعة قسنطينة. وفي لحظة واحدة تسامع العالم بأنّ الحرب انتهت مساء أمس ببرلين وابتدأت صباح اليوم بالجزائر، وفيما بين خطرة البرق، بين الغرب والشرق، أعلنت حرب من طرف واحد، وانجلت في بضعة أيّام عن ألوف من القتلى العزل الضّعفاء، وإحراق قرى وتدمير مساكن، واستباحة حرّيات ونهب أموال؛ وما تبع ذلك من سجن وتعزيم واعتقال؛ ذلكم هو يوم الثامن ماي.

و من يكون البادئ يا ترى؟ الضعيف الأعزل أم القوي المسلّح؟

لك الويل أيّها الاستعمار! أهذا جزاء من استتجدته في ساعة العسرة فأنجذك، واستصرخته حين أيقنت بالعدم فأوجدك؟ أهذا جزاء من كان يسهر وأبناؤك نيام، ويجوع أهله وأهلك بطان، ويثبت في العواصف التي تطير فيها نفوس أبنائك شعاعاً؟ أيشرفك أن ينقلب الجزائري من ميدان القتال إلى أهله بعد أن شاركك في النَّصر لا في الغنيمة ولعلّ فرحه بانتصارك مساو لفرحه بالسلامة، فيجد الأب قتيلاً، والأمّ مجنونة من الفرع، والدّار مهدومة أو محرقة، والغلّة متلفة، والعرض منتهكاً، والمال نهبا مقسماً، والصغار هائمين في العراء

يا يوم!... لله دماء بريئة أريقت فيك، و لله أعراض طاهرة انتهكت فيك، والله اموال محترمة استبيحت فيك، و لله يتامى فقدوا العائل الكافي فيك، والله أيامى

فقدن بعولتهن فيك، ثم كان من لئيم المكر بهنّ أن منعن من الإرث والتزوج، والله  
صُباة أموال أبقتهن يد العائنين، وحبست فلم تقسم على الوارثين.

يا يوم!... لك في نفوسنا السمة التي لا تمحي، والذكرى التي لا تنسى، فكن  
من أيّ سنة شئت فأنت يوم 8 ماي وكفى. وكلّ مالك علينا من دين أن نحبي  
ذكراك؛ وكلّ ما علينا لك من واجب أن ندون تاريخك في الطروس لئلا يمسه  
النسيان من النفوس.

### ثانيا: أول خطبة جمعة بمسجد "كتشاوي" بعد الاستقلال

الحمد لله ثمّ الحمد لله، تعالت أسماؤه وتمت كلماته صدقا وعدلا، لا مبدل  
لكلماته، جعل النّصر يتنزّل من عنده على من يشاء من عباده حيث يبتليهم  
فيعلم المصلح من المفسد ويعلم صدق يقينهم وإخلاص نياتهم وصفاء سرائرهم  
وطهارة ضمائرهم. سبحانه تعالى جعل السيف فرقانا بين الحقّ والباطل، وأنتج  
من المتضادات أضدادها، فأخرج القوّة من الضّعف ووّلّد الحرّية من العبودية  
وجعل الموت طريقا إلى الحياة، وما أعذب الموت إذا كان للحياة طريقا، وباعه  
عباده المؤمنون الصّادقون على الموت، فباعوا بالصفقة الرّابحة، و﴿اشترى من  
المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون  
وعدا عليه حقا﴾.

سجانه تعالى جده، تجلّى على بعض عباده بالغضب والسخط فأحال مساجد  
التّوحيد بين أيديهم إلى كنائس للتثليث، وتجلّى برحمته ورضاه على آخرين فأحال  
فيهم كنائس التثليث إلى مساجد للتوحيد، وما ظلم الأولين ولا حابي الآخرين،

ولكنّها سنّته في الكون وآياته في الآفاق يتبعها قوم فيفلحون، ويعرض عنها قوم فيخسرون.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده، صدق وعده ونصر عبده وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده. وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله شرع الجهاد في سبيل الله، وقاتل لإعلاء كلمة الله حتى استقام دين الحق في نصابه وأدبر الباطل على كثرة أنصاره وأحزابه وجعل نصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة منوطا بالإيمان والصبر، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكلّ متبع لهداه داع بدعوته إلى يوم الدين.

ونستنزل من رحمات الله الصّيبة، وصلواته الزّاكية الطّيبة لشهدائنا الأبرار ما يكون كفاء لبطولتهم في الدّفاع عن شرف الحياة وحرّمات الدّين وعزّة الإسلام وكرامة الإنسان وحقوق الوطن.

واستمد من الله اللّطف والإعانة لبقايا الموت وآثار الفناء ممن ابتلوا في هذه النّورة المباركة بالتّعذيب في أبدانهم والتّخريب لديارهم والتّحيف لأموالهم. و أسأله تعالى للقائمين بشؤون هذه الأمة ألفة تجمع الشّمْل، ووحدة تبعث القوّة ورحمة تضمّد الجراح، وتعاوننا يثمر المنفعة، وإخلاصا يهوّن العسير، وتوفيقا ينير السّبيل، وتسديدا يقوّم الرّأي ويثبّت الأقدام وحكمة مستمدّة من تعاليم الإسلام وروحانية الشّرق وأمجاد العرب، وعزيمة تقطع دابر الاستعمار من النفوس، بعد أن قطعت دابره من الأرض.

ونعوذ بالله ونبرأ إليه من كلّ داع يدعو إلى الفرقة والخلاف، وكلّ ساع يسعى إلى التّفريق والتّمزيق وكلّ ناعق ينشق بالفتنة والفساد.

ونحیی بالعمار والثمار والغیث المدرار هذه القطعة الغالية من أرض الإسلام التي نسمیها الجزائر، والتي فیها نبتنا، وعلى حبها نبتنا، ومن نباتها غدينا وفي سبيلها أودينا.

أحییك يا مغنی الكمال بواجب وأنفق في أوصافك الغرّ أوقاتي.

يا أتباع محمد عليه السلام هذا هو اليوم الأزهر الأنور وهذا هو اليوم الأغرّ المحجّل، وهذا هو اليوم المشهود في تاريخكم الإسلامي بهذا الشمال، وهذا اليوم هو الغرّة اللائحة في وجه ثورتكم المباركة، وهذا هو التّاج المتألّق في مفرقتها، والصّحيفة المذهّبة الحواشي والطرز من كتابها.

وهذا المسجد هو حصّة الإسلام من مغنم جهادكم، بل هو وديعة التاريخ في ذممكم، أضعتموها بالأمس مقهورين غير معذورين واسترجعتموها اليوم مشكورين غير مكفورين، وهذه بضاعتكم ردّت إليكم، أخذها الاستعمار منكم استلاباً، وأخذتموها منه غلاباً، بل هذا بيت التّوحيد عاد إلى التّوحيد وعاد التّوحيد إليه فالتقيتم جميعاً على قدر.

إنّ هذه المواكب الحاشدة بكم من رجال ونساء يغمرها الفرح ويطفح على وجوهها البشر لتجسيماً لذلك المعنى الجليل، وتعبيراً فصيح عنه، وهو أنّ المسجد عاد للسّاجدين الرّكع من أمة محمد، وأنّ كلمة لا إله إلا الله عادت لمستقرّها منه كأن معناها دام مستقرّاً في نفوس المؤمنين، فالإيمان الذي تترجم عنه كلمة لا إله إلا الله، هو الذي أعاد المسجد إلى أهله، وهو الذي أتى بالعجائب وخوارق العادات في هذه الثّورة.

وأما والله لو أنّ الاستعمار الغاشم أعاده إليكم عفوا من غير تعب، وفيئة منه إلى الحقّ من دون نصب، لما كان لهذا اليوم ما تشهدونه من الرّوعة والجلال.

يا معشر الجزائريين: إذا عدّت الأيام ذوات السّمات، والغرر والشّيمات في تاريخ الجزائر فسيكون هذا اليوم أوضحها سمة وأطولها غرّة وأثبتها تمجيدا، فاعجبوا لتصاريف الأقدار، فلقد كنّا نمرّ على هذه السّاحة مطرّقين، ونشهد هذا المشهد المحزن منطوين على مضض يصهر الجوانح ويسيل العبرات، كأنّ الأرض تلعننا بما فرطنا في جنب ديننا، وبما أضعنا بما كسبت أيدينا من ميراث أسلافنا، فلا نمك إلاّ الحوقلة والاسترجاع، ثم نرجع إلى مطالبات قولية هي كل مانملك في ذلك الوقت، ولكنّها نبّهت الأذهان، وسجّلت الاغتصاب وبذرت بذور الثّورة في النفوس حتى تكلمت البنادق.

أيّها المؤمنون: قد يبغي الوحش على الوحش فلا يكون غريبا، لأنّ البغي مما ركّب في غرائزه، وقد يبغي الإنسان على الإنسان فلا يكون ذلك عجيبا لأنّ في الإنسان عرقا نزّاعا إلى الحيوانية وشيطانا نزّاعا بالظلم وطبعا من الجبلة الأولى ميّالا إلى الشرّ، ولكنّ العجيب الغريب معا، والمؤلم المحزن معا، أن يبغي دين عيسى روح الله وكلمته على دين محمّد الذي بشر به عيسى روح الله وكلمته.

يا معشر المؤمنين: إنكم لم تسترجعوا من هذا المسجد سقوفه وأبوابه وحيطانه، ولا فرحتم باسترجاعه فرحة الصّبيان ساعة ثم تنقضي، ولكنكم استرجعتم معانيه التي كان يدلّ عليها المسجد في الإسلام ووظائفه التي كان يؤدّيها من إقامة شعائر الصّلوات والجمع والتّلاوة ودروس العلم النافعة على اختلاف أنواعها، من دينية ودينيّة فإنّ المسجد كان يؤدي وظيفة المعهد والمدرسة والجامعة.

أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ: " إِنَّ اللَّهَ ذَمَّ قَوْمًا وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ " البقرة : ١١٤ ، ومدح قوما ) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ) التوبة : ١٨

يا معشر الجزائريين: إن الاستعمار كالشيطان الذي قال فيه نبينا صلى الله عليه وسلم)) :إن الشيطان قد ينس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنّه رضي أن يطاع فيما دون ذلك))، فهو قد خرج من أرضكم، ولكنّه لم يخرج من مصالح أرضكم، ولم يخرج من ألسنتكم، ولم يخرج من قلوب بعضكم، فلا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه، وما أبيع للضرورة يقدر بقدرها.

يا معشر الجزائريين: إن الثورة قد تركت في جسم أمتكم ندوبا لا تندمل إلا بعد عشرات السنين وتركت عشرات الآلاف من اليتامى والأيتامى والمشوهين الذين فقدوا العائل والكافل وآلة العمل فاشملوهم بالرعاية حتى ينسى اليتيم مرارة اليتيم، وتنسى الأيم حرارة النكل، وينسى المشوه أنه عالة عليكم، وامسحوا على أحزانهم بيد العطف والحنان فإنهم أبناؤكم وإخوانكم وعشيرتكم.

يا إخواني: إنكم خارجون من ثورة التهمت الأخضر و اليابس، وإنكم اشتريتم حرّيتكم بالثمن الغالي، وقدّمتم في سبيلها من الضحايا ما لم يقدمه شعب من شعوب الأرض قديما ولا حديثا، وحزتم من إعجاب العالم بكم ما لم يحزه شعب تائر، فاحذروا أن يركبكم الغرور ويستزلكم الشيطان، فتشوهوا بسوء تدبيركم محاسن هذه الثورة أو تقضوا على هذه السمعة العاطرة.

إنَّ حكومتكم الفتية منكم، تَلَقَّتْ تركةً مثقلةً بالتكاليف والتبّعات في وقت ضيقٍ لم يجاوز أسابيع، فأعينوها بقوة، وانصحوها في ما يجب النصح فيه والتي هي أحسن، ولا تقطعوا أوقاتكم في السّافس والصّغائر، وانصرفوا بجميع قواكم إلى الإصلاح والتّجديد، والبناء والتّشيد، ولا تجعلوا للشيطان بينكم وبينها منفذا يدخل منه، ولا لحظوظ النّفس بينكم مدخلا.

وفّقكم الله جميعاً، وأجرى الخير على أيديكم جميعاً، وجمع أيديكم على خدمة الوطن، وقلوبكم على المحبّة لأبناء الوطن، وجعلكم متعاونين على البرّ والتّقوى غير متعاونين على الإثم والعدوان.

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

النور. 55.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم وهو الغفور الرحيم.

### ثالثاً: جنس الرسالة:

#### تحية غائب كالآيب

حيّ الجزائر عني يا صبا... و احمل إليها مني سلاما تباري لطافته لطافتك، و تساري إطفاته إطفاتك، فقديما حمّلك الكرام الأوفياء مثل هذه التّحية إلى من يكرّم عليهم، أو ما يكرم عليهم، فحملتها روحاً، و أديتها بوحاً، و أعلنتها شذى و فوحاً، و كنت بريد الأرواح إلى الأرواح، بألفاظ غير مكتوبة، و معان غير مكذوبة، و قديما أفضى إليك الشّعراء بشجونهم، و انتمنوك على جدّهم ومجونهم،



فاحتملت غثًا و سمينًا، و كنت على الأسرار أمينا، فكأنك كنت لهم محطة إرسال و استقبال معًا، يحملونك الرسائل تخيلاً، ويتلقون أجوبتها إحساسًا، وما عرف واش ولا شعر رقيب، وما كنت لديهم الثقة الأثير، إلا لأنك ( ابن الأثير ) . و كأن محطات الحقيقة اليوم وضعت بإشارتك و تأثرت بإثارتك، و كأن شأنك و شأنهم في ذلك إرهاب بحقيقة حوموا عليها ولم يردوا، و جمجموا عنها ولم يفصحوا، و ادخر الله تحقيقها لهذا الزمان، و لا عجب فكل حقيقة مبدأها خيال.

لي إليك وسيلة مرعبة المتات بما أسلف أوائلني فيك من مدح، و بما أذاعوا لك من فضل، و بما رفعوا لك من ذكر، فالذي تؤدّيه عني اليوم هو ( ثمن الإعلان ) وورثته عن سلف، ولم يسقط حقي فيه تقادم الزمان .

أنت يا صبا ريح، وكأنّ فيك قطعة من كلّ روح، يجد فيها كلّ غريب أنسا، وكلّ حبيب سلوى، وكلّ مكروب تنفيسًا، خلال كلّها جلال، وما ذلك الروح الذي يجده الواله في أنفاسك، إلا أنفاس المحبين تمتزج بأنفاسك فيجدونها بردًا على الأكباد، وبشاشة في الأسارير ورضى في السرائر. فلعمرك... لئن كان في الريح لواقح الأشجار، ففيك وحدك لقاح النفوس، ولئن كان فيها ما يحرق الورق، ففيك وحدك ما يطفئ الحرق.

حسبك شرفًا -يا صبا- أن ألتقي الناس فيك على وصف، وإن اختلفت بهم المنازع: جهل الجاهلون آثارك فقالوا: ما أسراك! وكلّ ريح سارية، وعرف العارفون فضلك وكرمك فقالوا: ما أسراك! وما كلّ شجرة وارية، وبين السرى و السرو مفاوز هي مسافة ما بين الحسّ الكثيف و الحسّ الشفاف.

سر - يا صبا- طاب مسراك، و صفا مجراك، في جوّ ضاحك الصّفحة،  
وفضاء سافر الغرّة، لا جبلا نعمان يعترضان مهبّك، ولا عواصف الدّبور تعارض  
مدبّك، فإذا لاحت لك بواذخ الأطلس فاسلك منها ما سلك بنو هلال، فرقة عن  
اليمين و عن الشّمال، و خذ من آثارهم بما يجدي، فكلكما نجدي، وستقع في  
شمالك على الخوولة، وفي يمينك على العمومة، فابثت أسرارك، و انثت أخبارك،  
فهناك محطة الهوى والشّوق.

أدّ التّحية عني للجزائر التي غدّت و ربّت، و أنبتت القوادم في الجناح،  
وأسلفت الأيادي البيضاء، و أسدت العوارف الغرّ، و أشربت من الطّفولة حبّ  
العروبة و الإسلام، و أخذت باليد إلى رياضهما، ففتقت اللّسان على أشرف لغة  
وسعت وحي الله ووحى العقول، و فتحت القلب لأكمل دين جمع الرّوح و المادّة،  
ثمّ أورت - فيما أورت من مآثر العرب و فضائل الإسلام - أنفا حميا، و فؤادا  
ذكيا، و لسانا جريئا، و همّة بعيدة، و إباء للمشارب الكدرة، و قناة لا تلين إلاّ  
للحقّ، و زيادا عن حرّات الحمى و الدّين، و نفسا لو تراءت لها زخارف الدّنيا  
من وراء الدّنايا ما خاضتها إليها، وروحانية أحد طرفيها في الأرض، و الآخر  
في السّماء تأمر في ذلك كلّه و تنهى .

ثم عمّم التّحية إلى كلّ من تديّر الجزائر من إخوان الصّدق، و أحلاف الحقّ:  
من علماء جلاهم الإسلام سيوفا، و برّاهم سهاما، و قوّمهم رماحا، ثمّ وحدّتهم  
العقيدة على غاية، و جمعهم الحقّ على بساط، وألّف بينهم الجهاد في ميدان،  
فاجتمعت قلوب على هداية بها وأسنّتهم على دعاية إليها، و أيديهم على بناء  
لها . و من أنصار كانوا للدّعوة السّلفية الإصلاحية خزرجهما و أوسهما، و كانوا

للنهضة الجزائرية عمادها وأسّها، و كانوا الأحجار الأولى لبناء الجزائر الجديد،  
و الكتائب المبكرة لإحياء مجد العرب بعزّ الإسلام .  
و من شبّان ربّناهم للجزائر أشبالا، و وترّناهم لعدوها قسيّا و نبالا، و صوّرنا  
منهم نماذج للجيل الزّاحف، بالمصاحف، و علمناهم كيف يحيون الجزائر،  
و كيف يحيون فيها .

قل للجزائر الحبيبة هل يخطر ببالك من لم تغيبني قطّ عن باله؟ و هل طاف  
بك طائف السّلو، و شغلك مانع الجمع و موجب الخلو، عن مشغول بهواك، عن  
سواك؟ إنّه يعتقد أنّ في كلّ جزيرة قطعة من الحسن، و فيك الحسن جميعه،  
لذلك كُنّ مفردات و كنت جمعا، فإذا قالوا الجزائر الخالدات رجعنا فيك إلى توحيد  
الصّفّة و قلنا الجزائر الخالدة و ليس بمستكر أن تجمع الجزائر كلّها في واحدة.

لن أنسى - يا أمّ - أنّك كنت لي ماخطة الغرس، و ماشطة العرس، فلا  
تنسي أنّي كنت لك من عهد التّمائم إلى عهد العمائم، ما شغلت عنك إلاّ بك، و لا  
خرجت منك إلاّ عائدا إليك، لا تنسي أنّني ما زلت ألقى الأذى فيك لذيذا،  
و العذاب في سبيلك عذبا، و النّصب في خدمتك راحة، و العقوق من بعض  
بنيك برا، و الحياة في العمل لك سعادة، و الموت في سبيلك شهادة، و لا تنسي  
أنّي عشت غيظا لعداك و شجى في حلوقهم، و كدرا لصفوهم، و أنّني ما زلت  
أقارع الغاصبين لحقّك في ميدان . و أكافح العابثين بحرمانك في ميدان، و أعلم  
الغافلين من أبنائك في ميدان، ثلاثة ميادين، استكفيتني فيها فكفيت، و رميت بي  
في جوانبها فأبليت، و لا منة لي يا أمّ عليك، وإنّما هي حقوق أوجبتها شرائع  
البرّ، قام بها الكرام، و خاس بعهدا اللّئام.

خطت الأقدار في صحيفتي أن أفتح عيني عليك و أنت موثقة، فهل في غيب الأقدار أن أغمض عيني فيك و أنت مطلقة؟ و كتبت الأقدار علي أن لا أملك من أرضك شبرا، فهل تكتب لي أن أحوز في ثراك قبراً؟

الله في تقدير السنين أسرار، فبها تحسب الأعمار، وفيها تؤتي الأشجار الثمار، و فيها يتجدد الحنين و الذاكرة، و فيها يهيج الشوق بين المتجانسات فينشأ بين الفعل و الانفعال وجود، و لقد غبت عن الجزائر سنة و بعض السنة، فكنت أغلب الشوق فأغلبه، فلما قيل: هذا يوم 7 مارس - وهو موفى سنة الفراق - هجم علي من الشوق ما لا يغلب، فتمثلت بقول الوزير ابن الخطيب السلماني:

و جاشت جنود البين و الصبر و الأسى علي فكان الصبر أضعفها جندا  
غبت عن الجزائر بجسمي سنة و بعض السنة ، و لكنني ما غبت عنها بروحي و فكري دقيقة ولا بعض الدقيقة، و ما عملت لغيرها عملا و لاجزاء من عمل، فلساني رطب بذكرها، و شخصي عنوان عليها و رمز إليها، و أحاديثي تعريف بها و إغلاء لقيمتها، و محاضراتي في المحافل الحاشدة في الشرقين هي فضائلها شائعة، و مفاخرها ذائعة، و مباخرها ضائعة، و أعمالها تمجيد لها و رفع لشأنها، و تنويه بنهضتها و تشريف لجمعية علمائها، و ما الجزائر إلا جمعية العلماء، لولاها لكانت الجزائر مثل جزائر واق الواق اسما يجري على اللسان، و مسمى معدوما في الوجود، لا ينكر هذا إلا صبي أو غبي، أو عقل وراءه خبي. أشهد لقد كنت ألقى في أسفاري أنواعا من التعب فلا يهونها علي و لا يغريني بالإقدام على غيرها إلا يقيني أنها مزيد في قيمة الجزائر وقيمة جمعية العلماء،

و سعدت بقاء كثير من عظماء الشرق و علمائه و أمرائه وقادة الرأي فيه، فما عدت ذلك إلا من سعادة الجزائر و جمعية العلماء، و والله ما أنسانيها تبدل المناظر، و تنوع الأشخاص، و لا لفتني عنهما تعاقب المحاسن على بصري، و توارد معانيها على بصيرتي، بل كانتا دائما شغل خواطري، و نجوى سرائري، و طالما طرقنتي منها أطياف، كأنها أسياف، فأرتاع و ألتاع، و أكاد أطيّر شوقا، ثم يمسح ذلك كله عن نفسي أنّ في سبيلهما سكوني واضطرابي، و لو خرجت تاجرا لكنت في الأخرين صفقة، و لو خرجت متروحا لكنت كمن هجر الجام ومديره، و الرّوض غديره، إلى جفاة السّفْر، و جفاء القفر .

أيّها الوطن الحبيب:

رضيت بقسمة الله أن لم يجعلني أبا لأبناء الصّلب و أفلاذ القلب و حدهم، ولو خلقت بهم لحبوت و أبوت، و عثرت في مصلحتهم و كبوت، و لصنعت لهم ما تصنع الطّير لأفراخها... بل جعلني أبا لأبنائك كلّهم، يلوذون من علمي بكنف رعاية، و يعوذون من حلمي بسور حماية، فأسوق ضالّهم ليهتدي، و أحثّ مهتديهم ليزداد هداية.

و رضيت فوق الرّضا بأبوّتك لي أن رضيت ببنوتي لك، و يمينا لو تبرجت لي المواطن في حلّها، و تطامنت لي الجبال بقلّها، لتفتتني عنك لما رأيت لك عديلا، و لا اتخذت بك بديلا، و إذا كانت أوطان الإسلام كلّها وطن المسلم بحكم الدين، فإن اختصاصك بالهوى و الحبّ من حكم الفطرة السّليمة، و لنا في رسول الله أسوة حسنة في حبّه لمكة و حنينه إليها .

و رضيت في أكمل الرضى أن كان جهد المقل مني يرضيك، و ما هو إلا  
لبنة في بنائك، و قطرة في إنائك، و رعي لذمتك، و سعي في كشف غمتك،  
و رضيت من الجزاء على ذلك كله برضى الله و قبوله، فلا يهولنك فراغك مني  
أياماً، فعسى أن يكون المسك ختاماً، وعسى أن تسعد بآثار غيبيتي أعواماً .

أيها الوطن الحبيب:

إخوتك في الوطن العربي الأكبر رفاق سفر، و لكنهم ساروا بالأمس  
و خلفوك، و ذكر بعضهم بعضاً و نسوك، فلتهنأ اليوم أن واحداً من أبنائك  
ألحقك بالسائرين، ثم جلى بك فأصبحت في المقدمة، و ذكر بك الناسين، فلهجت  
باسمك الألسنة، و إنهم شركة مساهمة لم يكن لك فيها سهم، فلتقر عينا بابنك  
الذي أصبحت به في الشركة ذا سهم رابح، كما كنت به في موقف النضال ذا  
سهم مصيب و أنت تدري من هو ذلك الابن.

أيها الوطن الحبيب:

أما الشوق إليك فحدث عنه و لا حرج، و أما فراقك فشدّة يعقبها الفرج، و أما  
الحديث عليك فأزهار تضيّع منها الأرج، و أما ما رفعت من ذكرك فسل من دبّ  
و درج، و أما الانصراف عنك فأرجاف بالغى لم يجاوز صاحبه اللوى  
و المنعرج، و أما الأوبة فما زلت أسمع الواجب يهتف بي: أن يا بشير، إذا  
قضيت المناسك، فعجل الأوبة إلى ناسك...

و سلام عليك يوم لقيت من عقبة و صحبه برّاً، فكنت شامخاً مشمخراً، و يوم  
لقيت من بيجو و حزيه شرّاً، فسلمت مضطراً، و أمسيت عابساً مكفهراً،  
وللانتقام مسراً، و سلام عليك يوم تصبح حرّاً، متهللاً مفتراً، معتزاً بالله لا مغتراً .

و معذرة إليك إذا كنت ارتخيت، ثم انتخيت، فإنّما هي نخوة الأباة الأشاوس،  
يدفعون بها وساوس الصّدور، و يدفعون بها في صدور الوسائوس .

### رابعاً: الأرجوزة الهزلية "رواية الثلاثة حول الرؤساء والرئاسة والحكام ما لهم

وما عليهم "

1. أعطوا الرئاسة حقّها ----- أعطوا الرئاسة حقّها
2. إن العقوق مزلّة ----- تعس امرؤ قد عقّها
3. الحرّ يعلي شأنها ----- والغرّ يبغي محقّها
4. إن الرؤوس رئيسة ----- لم تعدّ فينا أفقّها
5. الله أحسن صوغها ----- وأجلها وأدقها
6. أو ما تراها أشرفت ----- لا شيء يعلو فوقها
7. ما القول فيمن حطها ----- ما القول فيمن دقها؟
8. أو هدها أو قطها ----- أو شجها أو شقها
9. حقّ على الرؤساء أن ----- يعطوا الجماعة شقّها
10. هم معشر لا يملكو ----- ن من الجماعة رقّها
11. و عليهم أن يحسنوا ----- تصريفها أو سوقها
12. وعليهم أن يحملوا ----- ما قد تجاوز طوقها
13. وعليهم أن يجنّبوا ----- ما لا يلائم ذوقها
14. وعليهم أن يرهبوا ----- ربا تولى خلقها
15. وعليهم أن يفلقوا ----- رأسا يحاول فلقها
16. وعليهم أن يسحقوا ----- خلقا يسبب سحقها

17. وعليهم أن يقتلوا ----- بُرْعُوئَهَا أَوْ بَقَّهَا
18. وعليهم أن يحفظوا ----- أبدا عليها رزقها
19. وعليهم أن يجرعوا ----- محض الحياة ومذقها
20. وعليهم أن يتبعوا ----- يسر الأمور و رفقها
21. وعليهم أن يجمعوا ----- بعصا الكياسة فرقها
22. و على الجماعة أن تفي ----- لهم وتعطي صفقها
23. تعنوا لهم وتمد في ----- الطاعات دأبا عنقها
24. إن كنت كبش كتيبة ----- فاغش الكتيبة وألقها
25. فالخيل في الهبوات تع ----- رف هجنها أو عتقها
26. إن البروق كواذب ----- والغيث يظهر صدقها
27. و السحب لا تحيي الثرى ----- ما لم تتابع ودقها
28. إن الفخار معارج ----- من يخشها لا يرقها
29. والنخلة القرواح لا ----- تجني التتابلُ عذقها
30. إن الفضيلة خمرة ----- فأت المحامد تسقها
31. هي خمرة الأرواح لا ----- أعني المُدام وزقها
32. إن العوالم أفصحت ----- ووعى الغيالم نطقها
33. المجد حصة من سعى -- ----- بالجد ينفض طُرقها
34. خاض الصواعق لم يهب ----- في جو جرية صعقها
35. ومن الذوايل سمرها ----- ومن الأسنة زُرقها
36. يلقي الخطوب عوابسا ----- بشَّ الأسرَّة طلقها



37. أسرار ربك بعضُها ----- عقل تولى خرقها
38. العلم يسر فتحها ----- والجهد عسر غلقها
39. إن شئت تفقه سرها ----- فاقرا الحوادث وافقها
40. لا تستجيب لقاعد ----- فائق المكارم تلقها
41. و الأرض لا تعطي الغنى ----- إن لم تجود عرقها
42. إن الحياة موارد ----- للحق صابت غدقها
43. فالذمُّ يشرب صفوها ----- و الغمر يشرب رنقها
44. إن الليالي لجة ----- والكل يحذر غرقها
45. تزجي إلى كرمائها ----- دُهم الخطوب وبلقها
46. ذو اللب يلبس لليالي ----- كيسها أو حمقها
47. خير الرجال السابقين ----- فتى يجاري شبقها
48. نسقَ الأمور قلائداً ----- غراً فأحسن نسقها
49. وسقَ العظامم محملاً ----- خفاً فأجمل وسقها
50. ما هاب في غمراتها ----- رعد الخطوب وبرقها
51. شر الخلائق أمة ----- علم المهيمن فسقها
52. فأذلها وأقلها ----- عدًا وقتراً رزقها
53. ضاعت وإن كثر الحصا ----- أمم أضاعت خلقها
54. أو ما ترى أن قد علا ----- غربُ الممالك شرقها
55. إن الأكارم عصابة ----- نمت المكارم عرقها
56. في الجاهلية فسُّها ----- أوفى فعفى شقها

57. ثم انبرى الاسلام يرتقُ----- بالفضيلة فتقها
58. النور منبعث السنا ----- يهدي العوالم رَشَدَهَا
59. والعلم يقتاد الحجى ----- للحق يذكي سوقها
60. حذقت فنون العلم----- والتاريخُ سجل حِدْقَهَا
61. خفقت بنودهم على----- كل الممالك خفقتها
62. سل (طارقا) وسلِ المدائن----- إذ تولى طَرْقَهَا
63. وإلى الفتوح جلائلا ----- غرا ومهد طَرْقَهَا
64. سل بالمشارك عنهم ----- بغدائها ودمشقها
65. مهدُ المعارف منهما ----- نشق الأعاجم نشقها
66. عبقت برِّيَّاتها المشارق ----- والمغرب عبقتها
67. حتى انبرى التفريق يفتق ----- بالرديلة رتقها
68. رشقتهم نبلُ العدا ----- والدهر سدد رشقها
69. مَشَقَّ السيوف لحربهم----- جهرا وواصل مشقها
70. يا ساخرا بي كلما ----- سمع الحقيقة فهقها
71. الخير ما بينته \*\*\*\*\* والشر أن لا تفقها

### خامساً: القصيدة الشعريّة: سكتٌ ... وقلت...

(هدية إلى حماة العروبة في المغرب الأقصى)

1. سكتٌ، فقالوا: هدنة من مسالم ----- وقلت، فقالوا: ثورة من محارب
2. وبين اختلاف النطق و السكت للنهى -- مجال ظنون، واشتباه مسارب
3. وما أنا إلا البحر: يلقاك ساكناً ----- ويلقاك جياشاً مهول الغوارب

4. وما في سكوت البحر منجاة راسب - ولا في ارتجاج البحر عصمة سارب
5. ولي قلم آليث أن لا أمده -----بفقتل موار، أو بختل موارب
6. جرى سابقاً في الحق ظمان عائقاً ---لأمواه دنياه الثرار الزغارب
7. يسدده عقل رسا فوق ريوه ----- من العمر، رواها معين التجارب
8. إذا ما اليراع الحرُ صر صريره ---- نجا الباطل الهاري بمهجة هارب
9. ومن سيئات الدهر أحلاف فتنة -----وجودهم إدى الرزايا الكوارب
10. ومن قلمي انهئت سحائب نقمة -----عليهم بودق من سمام العقارب
11. فيا نفس لا يقعد بك العجز، وانهضي --- بنصرة إخوان، وغوث أقارب
12. حرام، قعود الحر عن ذود معتد -----رمى كل ذود البلاد بخارب
13. وبسل، سكوت الحر عن عسف ظالم ---- رمی كل جنب للعباد بضارب
14. يسمن ذئبَ السوء قومي سفاهة ----- بما جب منهم من سنام وغارب
15. وما كان جند الله أضعف ناصرا ---- ولا سيفه الماضي كليل المضارب
16. ومن جنده ما حط أسوار مارد -----وما صنع الفار المهين بمارب
17. ومن جنده الأخلاق: تسمو بأمة ----- إلى أفق سعد للسماك مقارب
18. وتتحط في قوم فيهون مثلما -- -- ترى العين من مهوى النجوم الغوارب
19. ينال العلا شعب يقاد إلى العلى -----بنشوان، من نهر المجرة شارب
20. رعى الله من عرب المشارق إخوة----- تتادوا فدوى صوتهم في المغارب
21. توافوا على داع من الحق مسمع----- ووفوا بنذر في نمام الأعارب
22. هم رأس مالي، لا نضار وفضة ----- وهم ربح أعالي ونجح مآربي
23. وهم موردي الأصفى المروي لغلتي-----إذا كدرت أم الخيار مشاربي

قائمة

المصادر

والمراجع

### مكتبة البحث

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق.

أولاً: الكتب العربية.

الإبراهيمي (محمد البشير)

1. عيون البصائر، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، مطابع الشروق، بيروت، د ط ، 1985.

2. آثار محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقا: أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، ج2، ج3، ج4، ج5، (1929-1940)، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997.

الإبراهيمي (خولة طالب)

3. مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، د ط ، 2000.

ابن الأثير: (ضياء الدين)

4. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، تق/ وتقا: أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ط2 ، د ت.

ابن الأثير: (مبارك بن محمد الشيباني الجزري أبي السعادات، مجد الدين)

5. البديع في علم العربية، تح: فتحي علي الدين ، مكة المكرمة، ط1، 1999.

الأسيم راجي:

6. المعجم المفصل في علم الصرف، مراجعة: إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993

الأفغاني: (سعيد بن محمد بن أحمد)

7. الموجز في قواعد العربية، ج1، دار الفكر، بيروت- لبنان، د ط ، 2003م.

أحمد مختار عمر:

8. دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، د ط ، 1997.

9. علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ط 5 ، 1998 .

الأزهري خالد:

10. شرح التصريح على التوضيح، ج2، تص: لجنة من العلماء، دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، د ت.

الأنباري (محمد بن القاسم)

11. كتاب الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د

ط، 1987.

أنيس إبراهيم:

12. الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1992.

13. دلالة الألفاظ مكتبة الأنجلو المصرية، ط5،، 1984.

14. من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1978.

15. موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2 ، 1952.

ابن إياز:

16. شرح التعريف بضروري التصريف، تح: هادي نهر وهلال ناجي، دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002.

البحراوي سيد:

17. موسيقى الشعر عند شعراء أبوللو، القاهرة، د ط ، د ت.

بدوي (أحمد أحمد)

18. من بلاغة القرآن، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، د ط ، 2005.

بشر (كمال محمد)

19. دراسات في علم اللغة ، دار المعارف بمصر، ط9، 1986.

الكوش (الطيب)

20. التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، مكتبة الإسكندرية، ط3،  
1992.

بلاسي: (نبيل أحمد)

21. الاتجاه العربي و الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية  
العامة للكتاب، د ط، 1990.

بلوحي محمد:

22. الخطاب النقدي المعاصر من السياق إلى النسق (الأسس والآليات)، دار  
الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط1، 2002 .

بوحوش رابح:

23. الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مديرية النشر، جامعة باجي مختار، عنابة،  
الجزائر، د ط/ دت.

بوخدود (علي بهاء الدين)

24. المدخل الصرفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،  
ط1، 1988.

بوزوينة (عبد الحميد)

25. بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي - دراسة وصفية تحليلية - ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د ط ، د ت.

**يومنجل (عبد المالك)**

26. النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، ط1، 2009.

**تمام حسان :**

27. اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1994.

28. البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993.

29. مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ط ، 1990.

**التونجي محمد:**

30. المعجم المفصل في الأدب، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1999.

**الثعالبي: (أبو منصور عبد الملك النيسابوري)**

31. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج1، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1983.

**الجاحظ: (أبو عثمان عمرو بن بحر)**

32. البيان والتبيين، قدم له وبوبه وشرحه علي أبو ملح، مج 1، منشورات دار ومكتبة الهلال، دط، 2002 .

**الجرجاني: (علي بن محمد السيد الشريف)**



33. معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر، د ط ، د ت.

الجرجاني: (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد النحوي)

34. أسرار البلاغة، قراءة وتعليق: أبو فهر محمود محمد شاكر ، دار المدني، جدة، ط1، 1991.

35. دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق أبو فهر، محمود محمد شاكر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004.

36. كتاب المفتاح في الصرف، تح: علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1987.

جميل عبد المجيد:

37. بلاغة النص، مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط ، 1999.

الجندي أنور:

38. المساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2008.

الجندي علي:

39. فن الجناس: بلاغة-أدب-نقد، دار الفكر العربي، د ط، د ت.

ابن جني: (أبو الفتح عثمان)

40. الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج1، ج3المكتبة العلمية، د ط، د ت.

41. سر صناعة الإعراب، ج1، تح: حسن هنداوي ، دار القلم، دمشق، ط2، 1993.

42. اللّمع في العربية، تح: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي للنشر، عمان،الأردن، د ط، 1988.

43. المنصف، شرح لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري،ج1، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، إدارة إحياء التراث القديم، ط1، 1954.

#### ابن حاجب:

44. كافية ، مكتبة البشرى، كراتشي، باكستان، ط2011، 2.

45. مجموعة الشافية، تح: محمد عبد السلام شاهين، مج1، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2014.

#### ابن الحاجب: (أبو عثمان بن عمر النحوي)

46. الإيضاح في شرح المفصل، ج1، تحقيق: موسى بناي العليلى، د ط، 1982.

#### حاجي خليفة ( مصطفى بن عبد الله):

47. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1 ، تص/ وت: الغني محمد شرف الدين والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، دت.

#### حجازي (محمود فهمي)

48. مدخل إلى علم اللغة، طبعة جديدة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، دت.

**الحديدي (عبد اللطيف محمد السيد)**

49. فن المقال في ضوء النقد الأدبي، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، ط3، مصر.

**حركات مصطفى:**

50. نظرية الإيقاع، الشعر العربي بين اللغة والموسيقى، دار الآفاق للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط ، 2008.

**الحري (فرحان بدري)**

51. الأسلوبية في النقد العربي الحديث، -دراسة في تحليل الخطاب-مجد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان ط1، 2003.

**حسن (اسماعيل عبد الرزاق)**

52. لآلئ التبيان في المعاني والبديع والبيان، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1985.

**حماسة (محمد عبد اللطيف)**

53. بناء الجملة العربية، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط ، 2003.

54. النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي- الدلالي، دار الشروق، القاهرة ، ط1، 2000.

**الحملاوي: (أحمد بن محمد بن أحمد)**

55. شذا العرف في فنّ الصّرف، تخ: أبو الأشبال أحمد بن سالم المصري، دار الكيان للطباعة والنّشر، الرياض، د ط، د ت.

الحناش محمد:

56. البنوية في اللسانيات، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1، 1980.

الحيدرة (علي بن سليمان اليمني)

57. كشف المشكل في النحو، تح: هادي عطية مطر الهلالي، مج2، مطبعة الإرشاد، د ط، د ت.

خفاجي (محمد عبد المنعم ، ومحمد السّدي فرهود وعبد العزيز شرف)

58. الأسلوبية والبيان العربي ، الدّار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1992.

ابن خلکان:

59. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، مج 5، دار صادر ، بيروت د ط، د ت.

ابن خالويه: (أبو عبد الله الحسين بن أحمد)

60. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د ط، 1985.

آل خليفة (محمد العبد)

61. الديوان، دار الهدى للطباعة والنشر، د ط ، 2010.

خليل (أحمد عمارة)

62. في نحو اللغة وتراكيبها ، عالم المعرفة، جدة، ط1، 1984.

الخفاجي (ابن سنان)

63. سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982.

درار (أنيسة بركات)

64. أدب النضال في الجزائر من سنة 1945 حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرعاية، الجزائر، د ط ، 1985.

درار مكي:

65. المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية ، دار الأديب للنشر والتوزيع، ط2، 2006.

درويش أحمد:

66. دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط ، د ت.

بن ذريل عدنان:

67. اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، د ط ، 1980 .

ابن رشيق: (أبو علي الحسن القيرواني)

68. العمدة في محاسن الشعر و آدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجبل للنشر ، ط5، 1981.

الرافعي (مصطفى صادق)

69. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 2005.

ربابعة (موسى سامح)

70. الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها ، دارالكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2003.

رخيلة عامر:

71. 8 ماي 1945، المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت.

الركيبي (عبد الله)

72. تطور النثر الجزائري الحديث، ( 1930-1974)، الجزائر، دار نافع للطباعة، د ط ، د ت.

رمضان (عبد التواب)

73. المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، د ت.

رمضان (عبد الله)

74. الصيغ الصّرفية في العربية في ضوء علم اللّغة المعاصر، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية ، ط1، 2006.

الزجاجي:

75. الجمل، شر: الشيخ بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، د ط، 1926.

الزركشي: (بدر الدين محمد بن عبد الله)

76. البرهان في علوم القرآن، ج3، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث القاهرة، د ط ، د ت.

الزركلي (خير الدين)

77. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستشرقين، ج6 ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002.

زكي (نجيب محمود)

78. جنة العبيط، دار الشروق، ط2، 1982.

الزّمكاني: (كمال الدين عبد الواحد بن عبدالكريم)

79. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تح: خديجة الحديثي مطلوب أحمد  
مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1994.

السّاقى (فاضل مصطفى)

80. أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، تق: تمام حسان، مكتبة  
الخانجي بالقاهرة، د ط ، 1977.

السّبكي (الشيخ بهاء الدين)

81. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج1، تح: عبد الحميد هنداوي ،  
المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، ط1، 2003.

الاسترابادي: (رضي الدين محمد بن الحسن )

82. شرح شافية ابن الحاجب، شرح عبد القادر البغدادي، ج1، تح وضب: محمد  
نور الحسن، محمد الزّرفاف، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية،  
بيروت، لبنان، د ط ، 1982.

السحيمي: (سلمان بن سالم بن رجاء)

83. دراسة صوتية تحليلية لحرف الإعراب وحركته في اللغة العربية ، دار  
البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط1، 1996.

السّد: (نور الدين)

84. الأسلوبية وتحليل الخطاب: دراسة في النقد العربي الحديث، (الأسلوبية والأسلوب)، ج 1، دار هومة للطباعة والنشر، د ط/ دت.

سعد الله (أبو القاسم)

85. دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007.

السّعران محمود :

86. علم اللغة - مقدّمة للقارئ العربي- دار النهضة العربية للطباعة والنّشر، بيروت، د ط، د ت.

السّمراي (فاضل صالح)

87. بلاغة الكلمة في التّعبير القرآني ، شركة العاتك لصناعة الكتاب، للطباعة والنّشر و التّوزيع، القاهرة، ط2، 2006.

88. الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، دار الفكر، عمان، الأردن، ط2، 2007.

89. الجملة العربية والمعنى ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

90. معاني النّحو، ج4 ، دار الفكر للطباعة و النّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000.

91. معاني الأبنية العربية ، دار عمّار، عمّان، الأردن، ط2، 2007.

السّيد (مرسي أبو ذكري)

92. المقال وتطوره في الأدب المعاصر، ج1، دار المعارف، د ط ، 1981-1982.

السّيد: (عز الدين علي)



93. الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، داراقرأ، بيروت، ط1، 1984.
- سبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر):
94. الكتاب، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.
95. الكتاب، ج4، تح وشر: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1982.
- ابن سبدا: (أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي)
96. المخصّص، مج 14، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.
- السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)
97. الأشباه والنظائر في النحو، ج2، تح: غازي مختار طليمات ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دط ، دت.
98. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، تص: فؤاد علي منصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1998.
99. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج 2/3، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- شاهين (عبد الصبور)
100. المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، دط، 1980.
- الشايب أحمد:

101. الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، مكتبة النهضة المصرية، ط8، 1991.

ابن الشجري (هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي):

102. الأمالي الشجرية ، ج1، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 1992.

أبو شريفة عبدالقادر وحسين لافي و داود غطاشة:

103. علم الدلالة والمعجم العربي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1989.

شلبي (عبد الجليل عبده)

104. الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، ط3، 1987.

الشوملي (علي موسى)

105. شرح ألفية ابن معطي، ج1 ، مكتبة الخريجي، الرياض، ط1985، 1.

شوقي بك أحمد:

106. دول العرب وعظماء الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط ، 1970.

الصالح صبحي:

107. دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د ط ، 2009.

صمود حمّادي:

108. الوجه واللقا في تلازم التراث والحداثة، الدار التونسية للنشر، ط1، 1988.

ضيف شوقي:

109. تاريخ الأدب العربي، ج3-العصر العباسي الأول-دار المعارف، ط8، د  
ت.

عبد الجودي (الطفي فكري محمد)

110.جمالية الخطاب في النصّ القرآني ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،  
القاهرة، ط1، 2014.

عبدالقادر عبد الجليل:

111. علم الصرف الصوتي، سلسلة الدراسات اللغوية، د ط ، 1998.

عبد المطلب محمد:

112.البلاغة والأسلوبية مكتبة لبنان ناشرون والشركة المصرية العالمية للنشر-  
لونجمان- ط1، 1994.

عتيق عبد العزيز:

113.علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط ، د ت..

عزّ الدين إسماعيل:

114.الأدب وفنونه-دراسة ونقد- دار الفكر العربي، القاهرة، ط9، 2004.

عزام محمد:

115.الأسلوبية منهاجاً نقدياً، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق،  
سوريا، ط1، 1989.

العسكري: (أبو هلال)

116. كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، نص: السيد محمد أمين الخانجي،  
مطبعة محمود بك، الأستانة ط1، د ت.

**ابن عصفور الإشبيلي:**

117. الممتع في التصريف، ج1، تح: فخر الدين قباوة ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

**العلوي اليمني: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم**

118. الطراز لأسرار البلاغة وعلم حقائق الإعجاز، ج2، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، د ط ، د ت.

**علي محفوظ:**

119. فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار النصر للطباعة، مصر، د ط، د ت.

**عمارة محمود محمد:**

120. الخطابة بين النظرية والتطبيق، مكتبة الإيمان بالمنصورة، جامعة الأزهر، ط1، 1997.

**عمارة: خليل أحمد**

121. في نحو اللغة وتراكيبها ، عالم المعرفة، جدة، ط1، 1984.

**العقاد: (عباس محمود)**

122. أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف، القاهرة، ط6، د ت.

123. اللغة الشاعرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د ط ، 1995.

**124. العقيل عبد الله:**

125. من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، ج1، تق: مصطفى مشهور/محمد مهدي عاكف/ بدر محمد بدر/ عبد الله الطنطاوي ، دار البشير، ط2 ، 2008.

عودة خليل أبو عودة:

126. التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن - دراسة دلالية مقارنة- مكتبة المنار الأردن، ط1، 1985.

عياد شكري محمد:

127. اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية ، ط1، دت.

عيد محمد:

128. المستوى اللغوي للفصحى و اللهجات وللتنثر والشعر، عالم الكتب، القاهرة، د ط ، 1981.

العيد: يمني

129. في معرفة النص- دراسات في النقد الأدبي ، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1985.

غاليم محمد:

130. التوليد الدلالي في اللغة والمعجم، دار توبقال للنشر، المغرب، د ط، 1987.

الغلابيني مصطفى:

131. جامع الدروس العربية، ج1،، ج2 مراجعة: عبد المنعم خفاجة ، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط28، 1993.

فارس أحمد محمد:

132. النداء في اللغة والقرآن ، دار الفكر اللبناني، ط1، 1989.

ابن فارس: ( أبو الحسين أحمد بن زكريا)

133. الصّاحبي في فقه اللغة، تعليق: أحمد جسن بسج ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

134. معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر.

الفرطوسي صلاح مهدي و هاشم طه شلاش:

135. المهدب في علم التصريف ، مطابع بيروت الحديثة، ط1، 2011.

فضل حسن عباس:

136. البلاغة فنونها وأفنانها - علم البيان والبديع - دار الفرقان للنشر، ط10، 2005.

فضل صلاح:

137. علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998.

الفضيلي عبد الهادي:

138. مختصر النحو ، دار الشروق للنشر، جدة، ط7، 1980.

الفهري عبد القادر الفاسي:

139. اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط3، 1993.

فياض سليمان:

140. الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط ، 1990.

قدامة بن جعفر: (أبو الفرج الكاتب البغدادي)

141. نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1980.

قدور أحمد محمد:

142. مبادئ اللسانيات ، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008.

القزويني: (الخطيب)

143. التلخيص في علوم البلاغة، ضبط عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي، ط2، 1932.

144. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبدیع)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، د ت.

قطب سيد:

145. التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق، القاهرة، ط17، 2004.

146. النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، دار الشروق، القاهرة، ط8، 2003.

قليلة عبده عبد العزيز:

147. البلاغة الاصطلاحية ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1992.

قنديل فؤاد:

148. أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدراسات العربية ، القاهرة، ط2،  
2002.

القوال أنطوان:

149. فن الخطابة، كتاب القارئ، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط1، 1997.

طبق عبد الجواد محمد:

150. دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية ، دار الأرقم للطباعة والنشر،  
القاهرة، ط1، 1993.

طرزي فؤاد حنا :

151. الاشتقاق، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 2005،

الطرابلسي محمد الهادي:

152. خصائص الأسلوب في الشوقيات، مج عدد 20، منشورات الجامعة  
التونسية، د ط ، 1981.

الطمار محمد:

153. تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط  
، 1981.

كريم زكي حسام الدين:

154. التحليل الدلالي، إجراءاته ومناهجه، ج1، د ط، د ط.

كشك أحمد:



155. من وظائف الصّوت اللغوي- محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، دار  
غريب للطباعة، القاهرة، ط1، 2006.

اللبدي محمد سمير نجيب:

156. معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار  
الفرقان، الأردن، ط1، 1985.

لاشين عبد الفتاح:

157. التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ للنشر،  
الرياض، السعودية، د ط ، د ت.

ابن مالك:

158. منهج السالك على ألفية ابن مالك، شرح الأشموني، ج1، تح: محمد محي  
الدين عبدالحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، ط1، 1955.

ابن مالك محمد الطائي النحوي:

159. إيجاز التعريف في علم التصريف، تح: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية،  
ط1، 2009.

المالقي: أحمد بن عبد النور

160. رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد محمد الخراط،  
مطبوعات مجمع اللّغة العربية، دمشق، د ط ، د ت.

محمد محي الدين عبد الحميد:

161. ألفية ابن مالك، ج1، شر: ابن عقيل ، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980.

162. التحفة السنوية شر: المقدمة الأجرومية ، مكتبة دار السلام بالسعودية، ودار الفحاء بسوريا، ط1، 1994 .

المرادي:الحسن بن قاسم

163.الجنبي الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1992.

المراغي أحمد مصطفى:

164.علوم البلاغة(البيان والمعاني والبديع) ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1993.

مرتاض عبد المالك:

165.الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ط، 1981.

166.نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر1925-1954 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2 ، 1983.

167.فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1983.

168.التصّ الأدبي، من أين؟ و إلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت.

امروء القيس:

169.الديوان، تح: مصطفى عبد الشّافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004.

المسيري منير محمود:

170. دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، تق: عبد العظيم المطعني  
وعلي جمعة ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2005، 1.

المسدي عبد السلام:

171. الأسلوبية والأسلوب، طبعة منقحة و مشفوعة ببليوغرافيا الدراسات الأسلوبية  
والبنوية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، د ت.

172. الشرط في القرآن، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1980.

173. مدخل إلى النقد الحديث، الحياة الثقافية، فيفري 1979، تونس، 2009 .

المشري علي كاظم:

174. الفروق اللغوية في العربية ، دار صفاء للنشر ، عمان، ط1، 2011.

مصلوح سعد:

175. الأسلوب- دراسة لغوية إحصائية- عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1992.

مطلوب أحمد:

176. فنون بلاغية: البيان- البديع ، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1975.

المقدسي أنيس:

177. الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين،  
بيروت، لبنان، ط6، 2000.

ابن منظور:

178. لسان العرب، مج3/5، ج: 24 / 36، تن: عبد الله علي الكبير-محمد أحمد  
حسب الله-هاشم محمد الشادلي، دار المعارف المصرية، د ط، د ت.

مكاوي عبد الغفار:

179. ثورة الشعر الحديث من بoudoir إلى العصر الحاضر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1972 .

المهدي إبراهيم الغويل:

180. السّياق و أثره في المعنى - دراسة أسلوبية- أكاديمية الفكر الجماهيري، بنغازي، ليبيا، د ط، 2011 .

ميشال زكريا:

181. الألسنية التّوليدية والتّحليلية وقواعد اللغة العربية(النظرية الألسنية) ، المؤسسة الجامعية للدراسات و التّشر والتّوزيع، ط2، 1986.

ناظم حسن:

182. البنى الأسلوبية، دراسة في أنشودة المطر، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط1، د ت.

أبوناظر مورييس:

183. إشارة اللغة ودلالة الكلام، أبحاث نقدية، دار مختارات بيروت، د ط ، 1999.

نجم محمد يوسف:

184. فن المقالة، دار الثقافة للنشر و التوزيع، بيروت، د ط، د ت .

نحلة محمود أحمد:

185. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية ط، 2002.

نور سلمان:

186. الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

نويهض عادل:

187. الأعمال الخاصة بالجزائر(4)، البشير الإبراهيمي عظيم من الجزائر، دار الأبحاث، الدار البيضاء، الجزائر، د ط، د ت.

هادي نهر:

188. الصّرف الوافي- دراسات و صفة تطبيقية- عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.

هارون عبد السلام:

189. الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001.

الهاشمي: السيد أحمد

190. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط 27، 1969.

191. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضب: يوسف الصّميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ط، د ت.

192. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، دار ابن خلدون، د ط، د ت.

ابن هشام الأنصاري:

193. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1، شرح محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ط، د ت.

الولي محمد:

194. الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، د ط ، 1990 .

يحياوي رشيد:

195. الشعرية العربية (الأنواع والأغراض) ، إفريقيا الشرق، ط1، 1991.

ابن يعيش: موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي الموصلي:

196. شرح المفصل، ج7، ج8 تع: جماعة من العلماء ، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د ط.

197. شرح المفصل للزمخشري، ج4، ج5 ، تق: إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2001، 1.

ثانثاً: الكتب المترجمة:

أوغدن وريتشاردز:

198. معنى المعنى - دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرّمزية - تق، وتر: كيان

199. أحمد حازم يحيى، دار الكتاب الجديدة المتحدة، د ط، د ت.

أوزوالد ديكر ووجان ماري سشايفر:

200. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، تر: منذر عياشي، طبعة منقحة

المركز الثقافي العربي، د ط، د ت.

بالمر، ف:

201. علم الدلالة تر: مجيد عبد الحليم الماشطة، الجامعة المستنصرية: كلية الآداب، د ط ، 1985، ص: 104.

**برتيل مالرج:**

202. علم الأصوات، تر: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، د ط ، 1984.

**بيير جيرو:**

203. الأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط2، 1994.

**جان كانتينو:**

204. دروس في علم أصوات العربية، تر: صالح القرمادي، نشریات مركز

الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، د ط ، 1966.

**جورج موان:**

205. مفاتيح الألسنية، تر: الطيب البكوش، منشورات الجديد، تونس، ط1،

1981.

**جون لاينز:**

206. اللغة والمعنى والسياق، ج1، تر: عباس صادق الوهاب، مراجعة: يوثيل

عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1987.

**جون كوهن:**

207. بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ، و محمد العمري ، دار توبقال للنشر،

، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986 .

**جوليا كريستيفا:**

208. علم النص، تر: فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997.

**رومان ياكسون:**

209. قضايا الشعرية ، تر: محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988 .

**رينيه ويليك ، وواطسن وارين:**

210. نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1981.

**ستاروينسكي (جان):**

211. النقد والأدب، تر: بدر الدين القاسم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، دمشق، ط1، 1976.

**ستيفن أولمان:**

212. دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، دط، دت.

**سلمان حسن العاني:**

213. التشكيل الصوتي في اللغة العربية، فونولوجيا العربية، تر: ياسر الملاح و محمد محمود غالي ، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1983.



فردينان دي سوسير:

214. علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلبي،  
دار آفاق عربية، بغداد، د ط، 1985.

كلود جرمان و ريمون لوبلاش:

215. علم الدلالة، تر: نور الهدى لوشن ، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي،  
ط1، 1997.

ماريو باي:

216. أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998.

هنريش بليث:

217. البلاغة والأسلوبية، تر: و تق: وتغ: محمد العمري. إفريقيا الشرق، د ط  
، 1999.

ثالثا: الكتب الأجنبية:

218. **Blachère :**

219. Grammaire de l'arabe classique. Paris 1975

220. **Todorov.T:**

221. Littérature et signification, ed Larousse, 1967, paris.

222. **Gules Marouzeau:**

223. précis de stylistique, française, ed masson, paris, 1969 .

224. **M.Riffater:**

225. éssais de Stylistique structurale, Paris, 1971.

226. **Charles Bally:**

227. traité de stylistique française, Paris, 1951.

228. **Roman Jakobson:**

229. éssais de linguistique générale, ed Minuit, tome 1,

Paris, 1968.

**رابعاً: الرسائل**

**أرسلان حفيظة رشيد علي:**

230. الجملة الخبرية والجملة الطلبية تركيباً ودلالة، رسالة دكتوراه في اللغة العربية،  
جامعة اليرموك، الأردن، ط1، 2004.

**عباس محمد:**

231. البشير الإبراهيمي، أديباً، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران.

**قواس نبيل:**

232. سجينات أبي فراس الحمداني، دراسة أسلوبية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة  
الماجستير في الأدب العباسي، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009.

**خامساً: المجلات والدوريات:**

**الإبراهيمي محمد البشير:**

233. -أنا- الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر، ع: 87، ماي-جوان،

**الإبراهيمي محمد البشير والمجمع العلمي العربي:**

234. الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر، ع: 87، ماي-جوان، 1985.

بركات أنيسة:

235. أدب النضال في الجزائر من سنة 1954 حتى الاستقلال، مجلة الثقافة الجزائرية، ع: 95.

جمال الجاسم المحمود:

236. فن المقالة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية - مج: 24، ع: 1، 2008 .

بن ذريل عدنان:

237. الأسلوبية، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع: 25، 1982.

السّامرائي إبراهيم:

238. أصالة العربية في عيون البصائر، مجلة الثقافة، ع: 87.

السّعفي حمودة:

239. علاقة اللغة بالفكر الديني من خلال التأويل ، مجلة حوليات الجامعة التونسية، ع: 36 لسنة 1995 .

شيبان عبد الرحمن:

240. الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي واللغة العربية ، مقال بمجلة الثقافة.

صمود حمادي:

241. المناهج اللغوية في دراسة الظاهرة الأدبية ( مقال ضمن اللسانيات واللغة العربية)، تونس، 1981.

صولة عبد الله:

242. فكرة العدول في البحوث الأسلوبية المعاصرة، مجلة دراسات سال، ع1، فاس المغرب، 198.

العطار سليمان:

243. الأسلوبية علم وتاريخ، مجلة فصول، مج:1، ع2، مناهج النقد الأدبي المعاصر، الهيئة المصرية العامة 1981.

الغزالي محمد:

244. مع البشير الإبراهيمي في القاهرة، مقال بمجلة الثقافة، وزارة الثقافة و السياحة بالجزائر، ع: 87، 1985.

الفرجاني جمعة العربي:

245. مفهوم الكلام والجملة والتّركيب عند القدامى والمحدثين، مقال، المجلة الجامعة، ع15، مج2، جامعة الزاوية، 2013.

مرتاض عبدالمالك:

246. دراسة أسلوبية بعنوان: "محمد البشير الإبراهيمي أمير البيان، كرائم اللّغة وفصاحة اللسان، مجلة جذور، ج23، مج: 10، مارس 2006، المملكة العربية السعودية.

247. الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ط، 1981.

موكاروفسكي يان:

248. اللّغة المعيارية واللّغة الشعريّة، مجلة فصول، مج 5، ع 1-2، 1984.

سادسا: بحوث و مقالات على صفحة الأنترنيت:

علاء إسماعيل الحمزاوي، كلية الآداب، جامعة المنيا.

249. بحث بعنوان: الجملة الدنيا والجملة الموسعة في كتاب سيبويه-دراسة

وصفية تحليلية-

مونسي الحبيب:

250. مقال بعنوان: أول خطبة جمعة بمسجد "كتشاوى" بعد الاستقلال، شبكة

ملتقى الخطباء. WWW.KHUTABAA.COM

# فهرس المحتويات

**الفهرس:**

البسمة.

آية قرآنية.

مقولة لحاجي خليفة.

الإهداء.

شكر و تقدير.

دلالة بعض الرموز المستعملة في البحث.

مقدمة..... (أ +ب+ت)

مدخل: الأسلوبية و ظاهرة الخطاب اللغوي لدى البشير الإبراهيمي....13

أ- الأسلوبية(الماهية والاتجاهات والسّمات).....14

ب- الخطاب اللغوي لدى البشير الإبراهيمي.....39

\* المقالة (المقالة التقديية- المقالة السّياسية- المقالة الاجتماعية) ..39

\* الخطبة (الخطبة الأدبية - الخطبة السّياسية- الخطبة الدّينية)....48

\* الرّسالة.....53

\* أدب الرّحلة وأدب السّيرة.....57

\* الخاطرة.....59

\* الشّعْر: الرّجز + القريض (القصيد) .....61

\* قطوف من إنتاجه الشّعري.....64

الفصل الأوّل: المستويات الأسلوبية الصّوتية في أدب البشير الإبراهيمي 66

● المبحث الأوّل: المستوى الصّوتي.....68

- دراسة صوتية لمقال بعنوان: ذكرى 8 ماي 1945 ..... 81
- دراسة صوتية لأول خطبة جمعة بمسجد "كتشاوى" بعد الاستقلال.. 102
- تحليل السّلام والوحدات الصّوتية ..... 108
- دراسة صوتية لرسالة إبراهيمية بعنوان: تحية غائب كالآيب..... 128.
- البنيات الصّوتية..... 134.
- الفصل الثاني: المستويات الأسلوبية الصّرفية في أدب البشير الإبراهيمي**
- توطئة: المستوى الصرفي. .... 146
- دراسة صرفية لأرجوزة هزلية، تحت عنوان: رواية الثلاثة؛ حول الرّئاسة والرؤساء والحكام.
- \* نصّ الأرجوزة الهزلية: رواية الثلاثة. .... 151
- \* أولاً: أبنية الأسماء:..... 155
- (صيغ المصادر - صيغ الجموع - الأسماء المعارف - الأسماء النكرة - صيغ أسماء الفاعل)
- \* ثانياً: أبنية الأفعال: (الصيغ الفعلية المفردة - الصيغ المركبة)..... 186
- \* أبواب الأفعال ومعانيها..... 193
- الفصل الثالث: المستويات الأسلوبية التّركيبية في أدب البشير الإبراهيمي.**
- توطئة: المستوى التّركيبي..... 204
- قراءة أسلوبية في المستوى التّركيبي في أول خطبة إبراهيمية بعد الاستقلال
- أولاً: أنماط الجملة البارزة في هذه الخطبة..... 210
- \* الجمل بين البساطة والتّركيب..... 210



- 230.....\* الجمل بين الإثبات والنفي.....
- 235.....\* الجمل بين الإنشاء والخبر.....
- 247.....\* بعض خصائص البنية التركيبية:.....
- 248.....أ- التقديم والتأخير:.....
- 259.....ب-البنيات الواصفة:.....
- الفصل الرابع: المستويات الأسلوبية الدلالية في أدب إبراهيمي:**
- 264.....• توطئة حول المستوى الدلالي:.....
- الحقول الدلالية المهيمنة على المقال.
- 272.....\* حقل أوصاف يوم 8 ماي.....
- 276.....\* حقل الحرب ووسائلها.....
- 277.....\* حقل الألفاظ الدالة على الدمار والممارسات الوحشية:.....
- 279.....\* حقل الممنوعات.....
- 280.....\* حقل الألفاظ الدالة على مواقف وتنازلات جزائرية:.....
- 281.....\* حقل النتائج المساوية النهائية.....
- 284.....\* حقل الوصف.....
- 289.....\* حقول أنماط الألفاظ.....
- 290.....- الألفاظ الدالة على الموضوعية.....
- 292.....- حقل الألفاظ العاطفية:.....
- 293.....- حقل الألفاظ الإيحائية.....
- 296.....\* حقل أشكال الترابط الدلالي:.....
- 303.....\* حقل المشتقات البارزة:.....

- 318.....\*دلالات الأبنية:
- 324.....خاتمة: تتناول النتائج المتوصل إليها من وراء هذا البحث.
- 264..... • ملحق:
- 265.....1-السيرة الذاتية للبشير الإبراهيمي
- 270.....2-شهادات معاصريه فيه.
- 274.....3- مختارات من المتون المدروسة.
- 291..... • المصادر والمراجع.
- 319..... • فهرس المحتويات.

## ملخص البحث باللغة العربية:

تتميز مؤلفات البشير الإبراهيمي بالتنوع والتعدد، و تزخر علاوة على ذلك بجماليات أسلوبية، لا يلبث القارئ أن يقرأها و يعاود قراءتها جرّاء الأسلوب الممتع، والأصوات المتجانسة و المتضامّة مع نسق الخطاب وملابسات الحياة اليومية؛ لذلك سعت هذه الدراسة إلى الإفادة من الخطوط الأساسية للأسلوبية، لتطبيقها على الآثار الإبراهيمية المختارة، وذلك بتتبّع ظواهرها الأسلوبية و تعابيرها الفنيّة، للوقوف على درجة الجمال والإمتاع فيها.

وقد جاءت هذه الدراسة في أربعة فصول ومدخل ومقدمة وخاتمة وملحقين، وتركّزت على جانبين: أولهما نظري وسعّه المدخل، وتناول في جزئه الأول ماهية الأسلوبية وأبرز علمائها و اتجاهاتها ومقولاتها، واهتم جزؤه الثاني بأنواع الخطاب اللغوي لدى البشير الإبراهيمي، شعرا كان أو نثرا. والجانب الثاني تطبيقي وهو الأبرز، شملته الفصول الأربعة، وفيه اعتمدت على المنهج الأسلوبي الذي يتخذ من اللغة أساسا للدراسة الفنية، على اعتبار أنّ اللغة هي الأداة التي يستخدمها المبدع في تشكيل مادّته الفنيّة، فتتبعّت الظواهر اللغوية المميّزة، وقيمت بإبراز أسلوبيتها في مختلف مستويات اللغة.

ففي المستوى الصوتي اخترت مقالة وخطبة ورسالة، وركّزت من خلالها على المقاطع والسّلام الصوتية، ووحدات التّجنيس والسّجع والطّباق والمقابلة لما لها من دور بياني وإيحائي، وما تفصح عنه من إيقاعات مؤثّرة ومعان ودلالات.

ثم تطرّقت إلى المستوى الصّرفي لأركّز على تلكم التّنوعات التي طالت البنية الصّرفية، أسماء كانت أو أفعالا، وانعكاساتها على البنية العامّة للأرجوزة الشعريّة التي طبّقت عليها إجراءات الأسلوبية، والتفتّ بعد ذلك نحو أسلوبية البنية التّركيبية، فعرّجت على تنوّعات الجملة و تلوّنات الأساليب الإنشائية،

وطغيان أسلوب الإثبات على النفي في أول خطبة للإبراهيمي بعد الاستقلال، ثم وقفت على أسلوب الانزياح -بلونيه- الذي شكّل ظاهرة عجيبة، لا يكاد يستغني عنها الإبراهيمي في مختلف آثاره.

و حينما ظهرت الحقول الدلالية المؤتلفة عبر تعدّد نسق الخطاب شكّل تجانسها عبر هذه الألوان الأدبية ظاهرة أسلوبية دلالية جعلتني ألقت صوب نسجها، وأحاول تبرير مدى استعمالها في الخطاب الإبراهيمي، كما قمت بإبراز سمات الألفاظ ودقة اختيارها، وناقشت العلاقات الترابطية بين كلماتها والمتمثلة في: الترادف والتقارب اللفظي، وذلك بالإشارة إلى إحياءاتها داخل سياقاتها التعبيرية، وانتهت الدراسة بخاتمة رصدت أهم نتائج هذا البحث. وأنهيت البحث بخاتمة تعدّ نتائج لهذا التحليل الأسلوبي، وألحقته بملحق متكوّن من شقين: تضمّن أولهما السيرة الحياتية للبشير الإبراهيمي، وشهادات المعاصرين له، و تضمّن شقّه الثاني مختارات الفنون التي اتخذتها ميدانا للبحث، و التي وسعت هذه المظاهر الأسلوبية أو بعضا منها.

### Résumé en français

*Les œuvres d'Al-Bashir Al-Ibrahimi se caractérisent par leur diversité et leur pluralisme, ainsi que par leur esthétique stylistique, qui font le récepteur les lire et relire grâce au bon style, des sons cohérents et harmonieux avec le système de discours et les circonstances de la vie quotidienne. On tente, dans cette recherche, à exploiter les procédures principales de la Stylistique, en les appliquant aux genres littéraires sélectionnés, et explorant leurs phénomènes stylistiques et leurs expressions artistiques, pour en découvrir sa merveille.*

*L'étude est divisée en quatre chapitres: une approche, une introduction, une conclusion et deux annexes. On fait le point sur deux parties, la première étant théorique comprend la définition de la stylistique, ses éminents savants, ses orientations et ses énoncés, la deuxième partie s'intéresse aux types linguistiques du discours d'Al-Bachir al-Ibrahimi tant en poésie qu'en prose. La deuxième partie est la plus pratique et la plus importante, elle comprend les quatre chapitres, basés sur la méthode stylistique qui considère la langue comme la base de l'étude artistique, comme elle est le moyen utilisé par le*

*créateur pour créer son art, j'ai suivi les principaux phénomènes linguistiques, mettant en évidence sa stylistique à différents niveaux de langage.*

*Au niveau phonétique, j'ai choisi un article, un discours et une lettre, basés sur les sections et l'échelle phonétique, les unités de naturalisation, l'assonance, l'antithèse et la collation en raison de leur rôle rhétorique.*

*Puis j'ai abordé le niveau morphologique en me concentrant sur les variations de la structure morphologique, que ce soit des noms ou des actions, et leurs réflexions sur la structure générale du poème dont j'ai appliqué les procédures stylistiques, puis je me suis tourné vers la stylistique de la structure structurelle, passant par les variations de la phrase et des styles, la domination du style affirmatif plus que le négatif dans le premier discours d'Al-Ibrahimi après l'indépendance, j'ai jeté la lumière sur la dérivation qui est un phénomène principal dans toutes les œuvres d'Al-Ibrahimi.*

*Lorsque les champs sémantiques compilés sont apparus à travers le pluralisme du système de discours, leur homogénéité à travers ces genres littéraires est devenue un phénomène stylistique sémantique que je tente de mettre en évidence, essayant de démontrer son utilisation dans le discours d'Al-Brahimi. J'ai également mis en évidence les caractéristiques des mots et leur sélection précise, en discutant les interrelations entre leurs mots, tels que la synonymie en référence à leurs implications dans leur contexte d'expression. Enfin, j'ai conclu en citant les principaux résultats de la recherche.*

*Cette étude a conclu avec les résultats de cette analyse stylistique, suivie d'une annexe comprenant deux parties: la première est la biographie d'Al-Ibrahimi, et les témoignages de ses contemporains, La deuxième partie comprend une sélection des arts choisi comme corpus de la recherche, qui a élargi ces aspects stylistiques ou certains d'entre eux.*

### **Abstract in English**

*The works of Al-Bashir Al-Ibrahimi are characterized by their diversity and pluralism, as well as their stylistic aesthetics, that makes the receptor read and reread them, due to the brilliant style, the sounds that are consistent and harmonious with the system of discourse and the circumstances of daily life; for this purpose, this research attempts at benefiting from the main issues of Stylistics, applying them on the selected literary genres, by exploring their stylistic phenomena and their artistic expressions to find out their splendor .*

*The study is divided into four chapters: an approach, an introduction, a conclusion and two appendixes. It focuses two parts, the first is theoretical concluding the definition of stylistics, its prominent scientists, its orientations*

and statements, the second part was concerned with the types of linguistic discourse of Al-Bashir al-Ibrahimi both poetry and prose. The second part is the practical and the most important one, it includes the four chapters, basing on the stylistic method which considers the language as the basis for the artistic study, as language is the means used by the creator in constructing his art, I have followed the main different linguistic phenomena, highlighting its stylistics at different levels of language

At the phonetic level, I have chosen an article, a speech and a letter, focusing on the sections and phonetic scale, naturalization units, assonance, antithesis and collation because of their rhetorical role. Then I have dealt with the morphological level focusing on the variations of the morphological structure, whether names or actions, and their reflections on the general structure of the poem on what I have applied the stylistic procedures, then I have turned towards the stylistics of the structural structure, passing by the variations of the sentence and the styles, the domination of the affirmative style more than the negative ones in the first discourse of Al Ibrahima after the independence, I have shed the light on the derivation which is a wonder phenomenon in all works of Al Ibrahimi.

When the compiled semantic fields appeared through the discourse system pluralism, their homogeneity through these literary genres became a semantic stylistic phenomenon that I attempt at highlighting, trying to demonstrate its use in Al-Ibrahimi discourse. I have also highlighted the characteristics of the words and their accurate selection, discussing the interrelationships between their words such as synonymy, by reference to their implications within their context of expression. Finally I have concluded by citing the main findings of the research.

The research ended with a conclusion with the results of this stylistic analysis, followed by an appendix including two parts: the first is the biography of Al-Ibrahimi, and the testimonies of his contemporaries, The second part includes a selection of the arts taken as a corpus of the research, which expanded these stylistic aspects or some of them.